

العجلوني وآفاق المعرفة والانتماء

الدراسات - الحوارات - الشهادات - المراثي



إعداد وتقديم

صالح البوريني

سمير اليوسف



العجلوني

وآفاق المعرفة والانتفاء

العجلوني

وآفاق المعرفة والانتماء

(الطبعة الأولى)

إعداد وتقديم

سمير اليوسف صالح البوريني

2023

• العجلوني وآفاق المعرفة والانتماء

• إعداد وتقديم : سمير اليوسف وصالح البوريني

• الطبعة الأولى 2023

• الإخراج الفني : سمير اليوسف هاتف 0799677569

• التدقيق اللغوي : صالح البوريني هاتف 0798789447

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2023/5/2213)

بيانات الفهرسة الأولية للكتاب:

عنوان الكتاب	: العجلوني وآفاق المعرفة والانتماء
تأليف	: اليوسف، سمير سعيد شحادة
تأليف (آخرون)	: صالح أحمد محمد عمران
بيانات النشر	: عمان: سمير سعيد شحادة اليوسف، 2023
رقم التصنيف	: 189.69
الواصفات:	: / الفكر الإسلامي // الحضارة الإسلامية // الفلسفة الإسلامية // الأردن/

يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنية أو أي جهة حكومية أخرى.

• (ردمك) : ISBN 978-9923-0-0659-7

• جميع الحقوق محفوظة للمؤلف. لا يُسمح بإعادة إصدار هذا الكتاب، أو أي جزء منه، أو تخزينه في نطاق استعادة المعلومات، أو نقله بأي شكل من الأشكال، دون إذن خطي مسبق من المؤلف.

• All rights reserved. No part of this book may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted in any form or by any means without prior written permission of the author.

• طبع هذا الكتاب بدعم من:

د. سمير الدروبي - م. مروان الفاعوري - د. زيد المحيسن - أ. أحمد السويطي

«عندي قلق دائم أن أموت دون أن أكون قد تمثّلت

كل جماليات ومعارف ثقافة أمتنا الهائلة..!!»

إبراهيم العجلوني

الإهداء

إلى روح

إبراهيم العجلوني ..

من قلوب محبيه،

تقديراً و عرفاناً ...

المقدمة

يحتوي هذا الكتاب على أربعة أبواب : الشهادات والدراسات والحوارات والمراثي؛ وقد كانت أقلامُ كتابه الكرام تسابقُ مشاعرهم، وتغالِبُ مشاغلهم، وتستجيبُ لخطراتهم، ويقطُرُ مداها على صفحات أذهانهم ؛ قبل أن ينطبعَ على أوراق دفاترهم، أو يُنشرَ على صفحات مواقعهم . وقد كانوا جميعا مبادرين إلى تمهيد أرضه، وإرساء قواعده، ووضع لبناته، ورفع بنائه، وإنارة شُرُفاته، منذ أن أُلقيت إليهم فكرته، وتناهى إليهم نَبأُ البدء بإعداده.

ذلك لأن هذا الكتابَ هو هديتهم إلى روح فقيدهم إبراهيم العجلوني، وصديقهم الذي فجعوا بموته، وفجأهم نبأ وفاته . نعم، لأن هذا الكتاب هو قطعة من ذواتهم، ونبضٌ من أفئدتهم، وفيضٌ من مشاعرهم، ودفقٌ من قرائحهم، وقبسٌ من أنظارهم، وسيلٌ من أفكارهم، فهو عليهم عزيز، وإليهم أثير، وبحبهم جدير، كجدارة المرحوم العجلوني، بالود والإخاء، والحب والوفاء، وصادق الدعاء .

ولعل هذا الكتاب أن يكون عاجلَ البشارة، ولافت الإشارة، إلى غيث يتبع، وعلم ينفع، من مؤلفات العجلوني، وتراثه العظيم، تقوم له الهمم، وتتولى إليه العزائم، لتستخرج نفائسه، وتقفو آثاره، وتجمع ثماره، لتفيد منها الأمة، وتستعين بها على صناعة نهضتها، وامتلاك وعيها، وتبين سبيلها .

إذن هو هدية محبي العجلوني إلى روحه الطيبة، وإلى أمته العربية والإسلامية التي أحبها، وإلى أسرته الأردنية الفلسطينية الواحدة، وإلى حبيبته «عمان» التي ودعها معاتباً فقال :

عتبتُ على عمان عتب مودع

أمضته فيها الحادثات قراعا

أضاعتني الأيام فيها ولو درت

لعز عليها أن أكون مضاعا

وما أنا بالجاني عليها وإنما

نهضتُ خصاماً دونها ودفعا

وهو أيضاً هديةً من محبي العجلوني (المقدسي) إلى بيت المقدس، أرض الإسراء والمعراج، وإلى مدينة القدس، وإلى مسجدها الأقصى، الذي سماه العجلوني «المسجد المصفد»، ونادى أمته لينهضوا إلى تحريره قائلاً:

قوموا إلى التهجدِ

في المسجد المصفدِ

وأنسوا محرابه

في ليله المسهدِ

وبأكروه جحفاً

غداة صخوة الغدِ

وحرروا أركانه

من ربقة التهؤدِ

هذا الكتاب أيها القراء الأعزاء، هو مصباحٌ أشعلته أقلامٌ نخبة من أصدقاء الفقيه من داخل الأردن ومن خارجه، ووجهت شعاعه إلى آفاق عطاء الفيلسوف العجلوني، ومساحات انتمائه الصادق، وإرثه المعرفي الزاخر، لتنير السبيل إلى عبابه، وتعين على النفاذ إلى لبابه؛ فقد أثرى -رحمه الله- المكتبة العربية والإسلامية ببضعةٍ وأربعين مؤلفاً، كلها جدير بالدراسة والتمحيص، والتأمل والتدبر، والقراءة المستأنية الجادة، ولا غرؤ في ذلك، فقد كان رحمه الله ذا ثقافة موسوعية عالية، ورؤية شمولية، ومشروع نهضوي كبير .

ولسنا نبتغي الإطالة في الحديث عن الفقيد العزيز، فهذا الكتاب يُفيض في ذلك، وحسبنا أن نسجل الشكر للإخوة الكتاب الأعزاء أصحاب الهمم، وحملة القلم، الذين أسهموا بشهاداتهم ودراساتهم وإبداعاتهم في إنجاز هذه الهدية السنوية، وهذه الصفحات المشرقة البهية، التي نتشرف بإهدائها إلى روح فقيدنا المرحوم الأديب والشاعر والكاتب والناقد والمفكر والفيلسوف إبراهيم العجلوني، رحمه الله تعالى، وأن نوجه الشكر أيضا لكل من تعاون معنا وأسهم في إنجاز هذا العمل؛ ولا سيما أولئك الذين قدموا الدعم المالي لطباعته، فلهم جميعا وافر الشكر والامتنان.

سمير اليوسف / صالح البوريني

عمّان 2023/4/30

الدراسات

إضاءة على كتاب إبراهيم العجلوني

«هذه الكتب القيمة (ملاحظات أولية)»^(١)

د. سمير محمود الدروبي
جامعة مؤتة / قسم اللغة العربية
مجمع اللغة العربية الأردني
١٤٤٤هـ / ٢٠٢٣م

تقديم

يتناول هذا البحث واحداً من كتب الأديب الفيلسوف الأردني إبراهيم العجلوني (١٩٤٨ - ٢٠٢٢م)، وهو «هذه الكتب القيمة» الذي أنجزه في شهر أيلول من عام ٢٠٢٢م أي قبل بضعة أشهر من وفاته.

وقد تناول العجلوني في كتابه القيم ستة من الكتب بالنقد والتحليل، وهي كما رتبها: «نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام»، لعلي سامي النشار؛ و«الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم الأندلسي؛ و«الإسلام في مرآة الغرب» لكارين أرمسترونغ؛ و«أشهد أن محمداً رسول الله» لآنا مارشيمل؛ و«محمد الرسالة والرسول» لنظمي لوقا؛ و«الإعلام بمناقب الإسلام» لأبي حسن العامري.

ومع أن عدد صفحات كتاب العجلوني لم تزد على اثنتين وأربعين ومئة صفحة من القطع الصغير، إلا أن أنظار العجلوني، وعمق ملاحظاته على الكتب التي تناولها، وسعة مصادره

(١) بحث مقدم لذكرى الأديب الفيلسوف إبراهيم العجلوني

وموارده، وبخاصة أن كتابه جاء خلاصة لتجاربه في النقد والفلسفة والبحث، وغاية العجلوني من كتابه أن يكون حاملاً لرسالته إلى أبناء أمته، وكل هذا لا يمكننا من إبراز تجلياته وتحليلاته لكل ما جاء في الكتاب، ورأيت أن الاقتصار على واحدٍ من هذه الكتب، أجدى لهذا البحث الذي تناولت فيه مراجعة العجلوني لأول كتاب هو «نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام» الذي يُعد موسوعة في موضوعه.

وقد خلصت من القراءة الفاحصة لكتاب العجلوني بصورة عامة ولما كتبه عن كتاب النشار إلى أنه يمكن النظر فيه من خلال المحاور التالية:

أولاً- مسك الختام في مؤلفات العجلوني.

ثانياً- مقاصد العجلوني وغاياته من كتابه.

ثالثاً- الزائعات والمحامد التي استوقفت العجلوني في موسوعة النشار.

رابعاً- مآخذ العجلوني على موسوعة النشار.

خامساً- التساؤلات التي طرحها العجلوني على موسوعة النشار وردوده عليها.

سادساً- رفض العجلوني لأطروحة المعجزة الإغريقية، الواردة عند النشار.

سابعاً- المعجزة الإسلامية هي المعجزة الحقيقية عند العجلوني.

ونبدأ بأول محور من هذه المحاور السبعة التي دار المقال حولها:

أولاً- مسك الختام في مؤلفات العجلوني:

شرفني المرحوم الأستاذ العجلوني بإهدائي نسخة من كتابه الموسوم بـ «هذه الكتب القيمة: ملاحظات أولية» بتاريخ ١٥ / ١١ / ٢٠٢٢م، وقد سعدت سعادة غامرة بهذا الكتاب النفيس، الذي قرأت مقدمته، وبعض مقالاته على عجل، وأدركت أن قراءة هذا الكتاب، تحتاج إلى تأن وتأمل فيما كتب العجلوني، إذ تدل مقدمة الكتاب على منهجيته ومقاصده من تأليف هذا الكتاب القيم الذي سامر به القراء، وأتحفهم باستخراج كنوز هذه الكتب، والكشف عن دررها، كما وقعت على نفس العجلوني ذاته.

وكتاب العجلوني لا يقدم دراسة موضوعية، تعتمد على التعميش والبحث في المصادر، ولا يهدف إلى عرض الأفكار وتحليلها، ولكنه كما يقول: «يعوّل على وقع الأفكار والأطاريح والحقائق على ذات الكاتب، ويرى إلى ما تستثيره فيه من بواعث النظر ودوافع التدبر»^(١).

لقد نبه العجلوني القارئ إلى أهمية هذه الكتب التي يبدي عليها ملاحظاته التي عدّها صيداً للخاطر أثناء قراءتها، أو هي صُوى وعلامات تقوده فيما بعد إلى مزيد من النظر والتمحيص وأردف ذلك قائلاً: «... ناهيك بها ضرباً من التحايل على لحظات العمر الهاربة أن تستأني قليلاً، حتى تكون ثمّ توصية أو شهادة أو استغفار»^(٢).

ويبدو لي أن العجلوني المؤمن، قد استشعر دنو المنية، وقرب الأجل، وذلك من خلال إشارته إلى لحظات العمر الهاربة التي تمر طائفة من الإنسان، مسرعة به نحو حتفه، وهي عبارات فيلسوف متصوف يحدق في قضية الموت الذي يتخطف البشر، وينظر إلى الزمن الذي لا يتوقف ولا يكف عن الدوران، فلا يترك لبني الإنسان مجالاً للتريث، ولا يمنحهم مهلة للاستغفار أو الوصية.

وقد يظن أحدهم أن كلمات العجلوني عن الموت، تدل على خوفه أو رعبه من هادم اللذات، ومفرق الجماعات، كما هو حال كثير من البشر، ولكن ذلك مدفوع بقوة يقينه وإيمانه العميق بالله، وأن الموت حق على بني البشر.

ولكن هذه الإيماءات الواردة في مقدمة كتاب العجلوني، تؤكد لنا حقيقة مهمة في فكره وفي تطلعه الدائم إلى فهم حضارة أمته، والدفاع عنها بقلمه، وبرهان ذلك قوله: «عندي قلق دائم أن أموت، دون أن أكون قد تمثلت كل جماليات ومعارف ثقافة أمتنا الهائلة...»^(٣).

فالعجلوني لم يكن راغباً في الحياة ليكنز المال، أو ليحصل مناصب الدنيا التي كان من أزهدهم الناس بها - بينما غيره ممن يقصرون عنه بألوف الدرجات علماً وخلقاً، وإبداعاً ووطنية، وغيره وإخلاصاً لأمتهم، قد حازوا منها ما حازوا، وما زالت نفوسهم تقول: هل من مزيد!!

(١) العجلوني، إبراهيم: هذه الكتب القيمة: ملاحظات أولية. ط ١، دار الخليج، عمان، ٢٠٢٢م: ص ٥.

(٢) العجلوني، المرجع السابق: ص ٥.

(٣) اليوسف، سمير: إبراهيم العجلوني مرايا الحضور. ط ٢، دار الخليج، عمان، ٢٠٢١م: ص ٥.

إن خوف العجلوني من الموت واستشعاره لشبحه، وحكمه الجاري في البرايا يعود إلى إخلاص الرجل لتراث أمته، ورغبته في سبر أغواره، والكشف عن خباياه وأسراره، وذخائره وكنوزه، ليسخر قلمه وعقله، وعلمه وفهمه وطول باعه، وسعة اطلاعه في الذود عن قضايا أمته، ودحر أعدائها. ولا ريب أن العجلوني يصدر في نظرتة للموت عن نظرة فلسفية عميقة، ورؤية إيمانية واضحة، تركز على أن الموت أمر الله وقدره، وحكمه النافذ على بني البشر، يقول العجلوني في ذلك:

عمرنا يا صاح أحلامٌ تمر

ملؤها زيفٌ وما في ذاك سر

سوف نمضي غير مأسوف علينا

إن أتانا من عظيم الذات أمر^(١)

لقد كتب العجلوني مقدمته الوجيزة لآخر كتاب نشره في حياته الحافلة بالتأليف، في الحادي عشر من أيلول عام ٢٠٢٢م، وانتقل إلى رحمة الله ورضوانه في الرابع من كانون الأول من شهر ديسمبر من العام نفسه، فتكون المدة الزمنية بين نشره لكتابه ووفاته، أقل من ثلاثة أشهر.

ويبدو لي أن ما خطه يراع العجلوني في كتابه «هذه الكتب القيمة»، هو آخر ما كتب من أعماله، وأنه يمثل خلاصة قراءاته ومطالعاته، ولباب محاضراته وندواته، وزبدة أفكاره وكتاباتة، وكأنه أراد أن ينقل تجربته الخصبة، وأنظاره العميقة، إلى القارئ، ويحيل القراء على هذه الكتب التي رأى أنها قيمة أساسية في تشكيل وعي القارئ ومعرفته، وفي اطلاعه على تراث أمته، وما يجري له من تجاهل ونسيان، علماً بأنه الأساس الذي قامت على إنجازاته الحضارة الحديثة.

واللافت للنظر، أن ما كتبه العجلوني، قبل اثنتي عشرة سنة من وفاته، عن أحمد أمين، الذي أملى كتابه «يوم الإسلام» على أحد تلاميذه، بعد أن ضعف بصره، وأدركه الإعياء، شبيه إلى حد كبير بما آلت إليه الحالة الصحية للعجلوني في السنوات الأخيرة من حياته.

(١) اليوسف، المرجع السابق، ص ١٠٤.

ولعله من المناسب أن نقتبس ما كتبه العجلوني في مقاله «فصل في الإبصار والبصيرة» عن أحمد أمين، يقول العجلوني بعد أن سرد أسماء بعض مؤلفات أحمد أمين: «... وكثير غير ذلك، فضلاً عن رئاسته لتحرير مجلة «الثقافة»، التي كانت رصيفة للرسالة. نذكر ذلك كله، وبتصور تلك الساعات الطوال، التي كان يقضيها يومياً في تقليب الصفحات أو تديجها، ثم نتصور إلى ذلك كيف بدأ الوهن يدب إلى بصره رويداً رويداً. وكيف كان يستشعره أولاً بأول، ثم كيف بدأت الغشاوات تحول بينه وبين رؤية سطور ما يقرأ.

ومن يقرأ كتاب «يوم الإسلام» الذي أملاه هذا المعلم الكبير إملاء، وجهد أن يكون رسالة منه إلى مفكري الأمة وسياسيها وأجيالها الجديدة، يلمس من هذا الكتاب الذي جاء فصلاً واحداً طويلاً، تدافع الأفكار فيه أرسلالاً دون توقف، يلمس حرص رجل الوعي والإصلاح، على أن لا يكتم أمته شهادته، وأن يضمونها وهي آخر ما كتب، خلاصة أنظاره، وجهوده المعرفية، التي نسي في مكابذاتها بصره، وفقد حبيتيه، اللتين احتسبهما عند الله، الذي لا يضيع أجر المحسنين».

قلت: إن الرجلين أحمد أمين وإبراهيم العجلوني يصدران عن نبع مستمد من روح الأمة، ويحملان همماً ثقافياً واحداً، ألا وهو رسالة الإصلاح، ونهضة الأمة، وإذا كان أحمد أمين أحد كبار كتاب زمانه وباحثيه، وأبرز أساطين كتابة فن المقالات في مصر، بل في الوطن العربي كاملاً في النصف الأول من القرن العشرين، فإن العجلوني هو السابق المجلي في كتابة المقالات في الأردن، والبلاد العربية، في الربع الأخير من القرن العشرين، وفي أول عقدين من القرن الحادي والعشرين، بل هو من أحياء فن المقالة بعد ذهاب دهاقتها، وتخطف الموت لرؤوس فرسانها، وأعلامها كالزيات، والرافعي، والمنفلوطي، وطه حسين، ومحمود شاكر، ومحمد كرد علي وغيرهم كما يرى ناصر الدين الأسد^(١).

ثانياً- مقاصد العجلوني وغاياته من كتابه :

والقارئ لكتاب العجلوني «هذه الكتب القيمة» يدرك أنه أراد أن يقدم شهادته ومحض نصيحة لأمته، مرشداً إياها إلى هذه الكتب القيمة التي بث في ملاحظاته عليها كثيراً من

(١) العجلوني، إبراهيم: وحي الآفاق، ط ١، أروقة الدراسات والنشر، عمان، ١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م: ج ٢، ص ٢٦٤-٢٦٥.

أنظاره، ورؤاه وموقفه من تاريخ الفكر الإسلامي، ومن نبي الإسلام عليه السلام، سابراً لأغوارها، وكاشفاً عن نفاسة أفكارها.

أمضى العجلوني ما نيف على نصف قرن من الزمان باحثاً وكاتباً، وصحفيًا ومحرراً، ورفد المكتبة العربية بستة وأربعين كتاباً مطبوعاً، في الفكر والشعر، والنقد والنثر، والحضارة والفلسفة، وهي كتب جلييلة يعرف قدرها من اطلع عليها، ونهل من معينها العذب.

ودبح بيراعه السيال مئات المقالات الأدبية والفكرية والنقدية والفلسفية، التي نشرها في الصحف والمجلات الأردنية والعربية، وكان له جمهور واسع من المحبين، الذين يترقبون ما يوجد به قلمه المعطاء يومياً أو أسبوعياً على القراء، الذين عرف كثير منهم إخلاص العجلوني، وثباته على الحق، وأنه الرجل الطاهر الذي لا يُباع ولا يشتري.

وقد وضع لنا العجلوني موقفه من رسالة الكاتب، ومهمته، واستقلاله الفكري، عندما اتصل به أحد القراء واسعي الاطلاع، وقال له: «إنهم يقولون إنك كاتب سلطة^(١)، فرد العجلوني على ذلك الرجل المثقف قائلاً: «.. ثم إن كلامنا هذا ذو اتصال وثيق بالأسباب التي تدفع الكاتب الحر (المستقل)، الذي يرى أنه يمثل وعي أمته، إلى رفض الرضوخ إلى أية سلطة غير سلطة ضميره، أو أن يدخل في حوزة مذهبية تغلق عليه آفاق تفكيره، أو أن ينخرط في «صف» أو «جماعة»، قد يعلم متأخراً أنها جزء من صورة مرسومة ثابتة المعالم، على ما قد تتمتع به ألوانها من شدة أو خفوت، إن السلطة العليا، عند الكاتب الحر هي ضميره، الذي صاغه وعيه، وإيمانه، وانتماؤه، وكل سلطة أخرى مرفوضة، إلا أن تكون بسبيل من ذلك كله»^(٢).

وبناء على ما سبق، العجلوني لم يقف قلمه على الارتزاق، أو نيل العطايا، بل كان قوالياً للحق، مدافعاً عن الحرية، داعياً إلى النهضة، لا يكتب إلا ما يراه صواباً، ولم يؤجر قلمه لتيار أو جماعة أو حزب، بل كان قلماً حراً ينافح به عن قرآن الأمة، ونبيها ودينها، ولغتها وفكرها، وحضارتها وثوابتها، ورموزها وأعلامها، ويرد به كيد أعداء الأمة من الصهاينة، ومن آزرهم وقواهم من الغربيين المستعمرين، ومن ترامى على أعتابهم من مؤجري الأقلام المنافقين، الذين يسعون إلى كبج نهضة الأمة.

(١) العجلوني، المرجع السابق: ج ٢، ص ١٩٠.

(٢) العجلوني، المرجع السابق: ج ٢، ص ١٩٠.

لقد كان كتاب العجلوني «هذه الكتب القيمة» ثالثة الأثافي في عام وفاته إذ أصدر قبله كتابين هما: «صفو الاعتبار من حصائد الأنظار» و«مقامات للصحو والشهادة»، ونشرهما في العاصمة الأردنية عمان، وصدرتا عن دار الخليج عام ٢٠٢٢م.

وقد أبدى العجلوني في كتابه «هذه الكتب القيمة» ملاحظاته ونقده، على ستة من الكتب التي رأى أنها ما زالت قادرة على رفق وعينا المعاصر، ونشر التنوير بين القراء العرب والمسلمين، وقد توزعت هذه الكتب على التراث، وعلى الاستشراق، وعلى ما كتب المعاصرون من المفكرين العرب والمستشرقين عن الإسلام، وسيرة المصطفى عليه السلام، وتاريخ الفكر العربي.

أما ما عرضه العجلوني من كتب التراث في كتابه، فهو:

١- كتاب «الفصل في الملل والأهواء والنحل» لابن حزم الأندلسي، الذي يُعد كتابه أول موسوعة في مقارنة الأديان.

٢- كتاب «الإعلام بمناقب الإسلام» لأبي الحسن العامري، وقد حقق الكتاب ودرسه أحمد عبد الحميد غراب.

وتناول العجلوني كتابين من كتب المستشرقين بالمناقشة والتحليل، وهما:

١- كتاب «الإسلام في مرآة الغرب» لكارين آرمسترونغ.

٢- كتاب «وأشهد أن محمداً رسول الله»: تبجيل النبي في الدين الإسلامي»، ترجمة: عيسى العاكوب.

وأبدى العجلوني ملاحظاته على دراستين عربيتين معاصرتين:

الأولى: «محمد الرسالة والرسول» تأليف نظمي لوقا، وقام محمد الياز بدراسة الكتاب وتقديمه.

والثانية: «نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام» لعلي سامي النشار.

وما كتب العجلوني عن كل واحد من هذه الكتب، التي عدّها أصولاً في «رفد وعينا المعاصر وإنارته»^(١)، يحتاج إلى مراجعة مستقلة، لما عرف عنه من غزارة الأفكار، وتعدد

(١) العجلوني: هذه الكتب القيمة (ملاحظات أولية): ص ٥.

الأنظار، وسعة المصادر التي يصدر عنها، والموارد التي يرددها، والمراجع التي يتكأ عليها فيما يكتب، إضافة إلى متابعة كل جديد من الكتب، جامعاً إلى ذلك أسلوبه المحكم المكثف، الذي يُلَمَّع في مطاويه بالألفاظ القرآنية، والعبارات التراثية، واللغة الاصطلاحية الدقيقة، لكل ما كتب عنه، أو تناوله في محاضراته ونداوته.

والكلمة الجامعة في أسلوب العجلوني ما قاله عنه العلامة ناصر الدين الأسد، في تصديره لكتاب العجلوني «وحي الآفاق»، يقول الأسد: «إبراهيم العجلوني صاحب أسلوب، لا يخطئه القارئ، بين ما يقرأ من أساليب فهو صاحب المعنى الغزير في اللفظ الوجيز. وتلك هي البلاغة عند العرب. وهو أسلوب افتقدناه، وافتقدنا أصحابه منذ حين، إلى أن بدأ إبراهيم العجلوني الكتابة، فأحيا لنا فن المقالة، التي نشأ جيلنا في رحابها..»^(١).

وبناء على ما سبق من أسلوب أدينا، الذي جعل مناه على إجازة اللفظ، وإشباع المعنى، أي على التعبير بالقليل من المفردات على الكثير من المعاني، كما يرى البلاغيون، فإننا لا نستطيع أن نتوقف عند كل مراجعات العجلوني، وملاحظاته الأولية على هذه الكتب القيمة، ولذا انعقد الرأي على تقديم إضاءة أو ملحوظة على بعض ملاحظاته المعنونة بـ «ملاحظات أولية على هامش موسوعة الدكتور علي سامي النشار «نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام»^(٢)؛ لأن سعة إطلاع العجلوني، وطول باعه، وتبحره في الفكر الفلسفي عند المسلمين، وعند الغربيين على حدّ سواء، ربما مكنته من التحشية والاستدراك على ما طرحه النشار في مجلد يكون مستدركاً وتعقيماً، وشرحاً وتصحيحاً، ونقداً، وتعليلاً لموسوعة النشار التي نيفت على ستمئة وألف صفحة.

إن العجلوني قد جعل لكتاب النشار مركز الصدارة بين الكتب الستة، التي راجعها، ووشحها بملاحظاته القيمة، التي يمكن أن تعدّ دروساً في بابها، ولكنه لم يكن متابعاً لآراء النشار وأطاريحه فيما كتب، بل كانت له موافقات للنشار على كثير من آرائه، وأبدى العجلوني اعتراضه وتشككه ونقده لبعضها الآخر، وعدّه منكرًا من القول، أو إطلاقاً للكلام على عواهنه، أو افتراضاً غير بصير^(٣).

(١) العجلوني، وحي الآفاق: ج ١، ص ٥

(٢) العجلوني، هذه الكتب القيمة: ص ٧

(٣) انظر: العجلوني، المرجع السابق: ص ١٢.

ثالثاً- الزائعات والمحامد التي استوقفت العجلوني في موسوعة النشار «نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام»:

أ- إنَّ النشار قد ردَّ مغالطة علمية تاريخية، ترى أن المسلمين قد «خضعوا لسيطرة الفكر اليوناني»^(١) الذي بهرهم، وقبلوا المنطق الأرسطي منهجاً وقانوناً، يعصم الذهن من الزلل، وقد روج لهذه المغالطة كثير من المستشرقين والباحثين العرب، أمثال: أندريه لاند الفرنسي، وإبراهيم بيومي^(٢).

ويشير العجلوني إلى كتاب النشار «مناهج البحث عند مفكري الإسلام»، الذي بيّن فيه أن المسلمين لم يقفوا من المنطق اليوناني موقف التابع من المتبوع، بل إنهم قابلوه بالنقد والرد، وأثّلوا لمنهج جديد، هو المنهج الاستقرائي التجريبي، وهو ما أكده روجر بيكون^(٣) ناقل المذهب التجريبي عن المسلمين إلى الأوروبيين.

ويسمّي العجلوني للقارئ مجموعة من المصادر، التي تناولت المنطق الأرسطي بالنقض والهدم، منها: «القسطاس المستقيم» لحجة الإسلام أبي حامد الغزالي، و«الردّ على المنطقيين»، و«نقض المنطق» وكلاهما لشيخ الإسلام ابن تيمية، ويشير العجلوني إلى ما كتبه ابن الوزير اليماني، عن ترجيح منطق القرآن على أساليب اليونان^(٤)، إلى غير ذلك من المصادر.

ب- نوه العجلوني بالخلق العلمي الرفيع عند النشار، الذي احتفى بشيوخه وطلابه على حدّ سواء، فقد أشار إلى أهمية أعمال شيوخه، وما لهم من فضل في تسديد خطواته العلمية، ويذكر منهم: محمود الخضيرى، ومحمد مصطفى حلمي، ومحمد عبد الهادي أبو ريذة وغيرهم من ناحية. كما أن النشار ذكر بعضاً من تلاميذه وأحال القراء إلى أبحاثهم^(٥).

ويعقب العجلوني على صنيع النشار وأخلاقياته في البحث العلمي، ويعدّ ذلك «سمة نادرة

(١) العجلوني، المرجع السابق: ص ١٤.

(٢) العجلوني، المرجع السابق: ص ١٤.

(٣) انظر: العجلوني، المرجع السابق: ص ١٤-١٥.

(٤) انظر: العجلوني، المرجع السابق: ص ١٥.

(٥) انظر: العجلوني، المرجع السابق: ص ١٥-١٦.

في المشتغلين في العلم، على نحو ما نسمع ونرى^(١)، وكرر العجلوني ذلك قائلاً: «وهي - كما قلت آنفاً - سمة نادرة، على الأقل فيما نشهد في حياتنا العلمية والثقافية أيامنا هذه...»^(٢).

قلت: إن تعقيب العجلوني السابق، يدل على فساد هائل يعتور الحياة الأكاديمية في كثير من الجامعات العربية، التي توسعت توسعاً كبيراً في المرحلة الجامعية الأولى، وفي برامج الدراسات العليا، التي أصبحت سوقاً استثمارية لكثير من الجامعات، وبخاصة بعض الجامعات الأهلية أو الخاصة، التي تتبارى فيما بينها على جلب الطلاب، طمعاً في تحصيل الرسوم، وتحقيق الربح المادي السريع، خلافاً لما هو حال الجامعات الأهلية، في الدول المتقدمة، التي تضع المعايير الدقيقة للتدريس والمدرسين وقبول الطلاب.

ج- أشار العجلوني إلى سبق النشار في الكشف عن «الأصول البعيدة للماسونية اليهودية في الأزمنة الحديثة»^(٣)، إذ تحدث في كتابه عن إحدى طوائف يهود، التي تجالبت مع ميلاد المسيح عليه السلام، وكانت لها أسرار لا يطلع عليها إلا أعضاؤها، الذين جرى تمحيصهم، وإثبات إخلاصهم لها، ووضعهم على محك الاختبار الدقيق قبل نظمهم في سلكها.

ويرى العجلوني أنه لا بُدَّ من أخذ العبرة من هذه الحقيقة التاريخية، سيما بعد أن تحالفت الاستعمار الغربي مع الماسونية، وأصبحت لهم الهيمنة السياسية والاقتصادية والإعلامية، واتخذوا من الدولة الصهيونية أداة للتدمير والاعتصاب، وسلب الثروات، واحتلال الأرض، وتدنيس المسجد الأقصى الذي لا يخفون مخططاتهم لهدمه، وإقامة هيكل مزعوم على أنقاضه.

ويرى العجلوني أن وقف شرور الغزاة، وصد خطرهم، لا يكون إلا بصحوة العرب والمسلمين، واستردادهم «عافيتهم الروحية، وإراداتهم الجهادية»^(٤)، فيتم حينذاك تحرير الأرض والإنسان، والسيادة والقرار.

(١) انظر: العجلوني، المرجع السابق: ص ١٥.

(٢) انظر: العجلوني، المرجع السابق: ص ١٦.

(٣) العجلوني، المرجع السابق: ص ١٨.

(٤) العجلوني، المرجع السابق: ص ١٩.

د- يبرز العجلوني في ملاحظاته تأكيد النشار في كتابه على حقائق مهمة ربما خفي بعضها على جمهرة القراء، ومن هذه الحقائق، أن سعيدي بن يوسف الفيومي، الذي يعده مؤرخو الفكر اليهودي القدماء منهم والمعاصرون «أعظم رجال الفكر اليهودي قاطبة»^(١)، هو أحد تلاميذ فرقة المعتزلة الإسلامية، بل كان في مصنفاته مقلداً لهم، ودائراً في فلكهم، هو وغيره من مفكري اليهود، الذين تخرجوا من مدرستي الاعتزال والأشاعرة^(٢).

هـ- يبدي العجلوني إعجاباً بالرؤية النقدية الواضحة عند النشار، التي تجلت في موسوعته عند تأريخه للفرق الإسلامية نشأة وأعلاماً، وآراء ومقولات، وقد تجلت رؤيته الفلسفية، في كثير من القضايا والموضوعات، التي طرحها، علماً بأن هذا الحضور الشخصي الذي اتسم به عمل النشار، يفتقر إليه كثير من مؤرخي الثقافة والفكر.

و- يقدر العجلوني جهود النشار في حشد الأدلة والبراهين في دراسته للفرقة الكرامية (أتباع محمد بن كرام)، التي طرح حولها تساؤلاً عمماً إذا كنا «أمام مذهب عبقرى أصيل، استند على النصوص القرآنية وعلى السنة»^(٣).

ويرى العجلوني أن هذا يفترض «إمكان قيام فلسفة إسلامية خالصة انطلاقاً من القرآن الكريم والسنة المطهرة»^(٤)، ويخلص العجلوني إلى أن النشار أورد كثيراً من الدلائل على ذلك في فصول كتابه، إضافة إلى تأكيده على اشتغال أعمال منظري المذهب الأشعري على كثير من عناصر الفلسفة الإسلامية الخالصة، وبخاصة ما ورد في أعمال أعلام الأشاعرة أمثال: الباقلاني، والجويني، والغزالي، والآمدي، الذين يمثلون نماذج من الاستقلال الفلسفي في الإسلام، الذي يجب على المعاصرين من المفكرين أن يتخذوا منه قدوة ونبراساً، في سبيل الاستقلال الفلسفي، عن التبعية للفلسفة الغربية، ويعد أعمال الفيلسوف المغربي^(٥) طه عبد الرحمن إنجازاً مهماً في هذا المضمار.

رابعاً- ما أخذ العجلوني على موسوعة النشار:

- (١) العجلوني، المرجع السابق: ص ١٩.
- (٢) انظر: العجلوني، المرجع السابق: ص ٢٠.
- (٣) العجلوني، المرجع السابق: ص ٢٩.
- (٤) العجلوني، المرجع السابق: ص ٢٩.
- (٥) العجلوني، المرجع السابق: ص ٣٠.

أ- اعتماد النشار في دراسته لفرقتي المختاربية (نسبة إلى المختار بن عبيد الله الثقفي)، والكيسانية على مصادر شيعية، مثل: «المقالات» للقمي، و«مروج الذهب» للمسعودي، و«بحار الأنوار» للمجلسي وغيرها من المصادر. ولكن العجلوني لا يوجه نقداً مباشراً لقيمة هذه المصادر التي لم يكن المقام متسعاً للحديث عنها، إلا أنه يستدل على تأثيرها السلبي فيما كتبه النشار عن الخليفة معاوية بن أبي سفيان الذي وصفه بـ «الطليق وابن آكلة الأكباد»، وعن عبد الله بن الزبير الذي وصفه بـ «الذئب الغادر»^(١) ولا يخفى ما في ذلك من الطعن والتطاول على بعض كبار الصحابة، وهو مما لا يرضاه علماء أهل السنة فضلاً عن عامتهم؛ لأنه لا يعود بخير على أمة محمد صلى الله عليه وسلم، التي تكالب عليها المستعمرون في عصرنا، وأدى إلى طمع الأعداء.

ب- تقديم النشار صورة مثالية للمختار بن عبيد الله الثقفي، اعتماداً على الروايات الشيعية، التي تعكس رؤيتهم للمختار الثقفي، علماً بأن كثيراً من المؤرخين لا يتفقون مع النشار على ذلك^(٢).

ج- يرى العجلوني أن الجزء الثالث من كتاب النشار، الذي تناول فيه نشأة التشيع وتطوره: «يكاد أن يكون في كثير منه تأريخاً شيعياً بل رافضياً. وربما كان لحب آل البيت دور في ذلك»^(٣). وربما ظن بعض القراء أن العجلوني قد أصدر حكماً جائراً على كتاب النشار، ولكن أدنى قراءة لذلك الجزء، تدل على مدى ولوع النجار في روايات وأخبار تنافي العقل، وتطعن في عقائد الأمة.

د- يأخذ العجلوني على النشار، أنه قد وضع قارئ كتابه في «مصطخب من الخرافات الداحضة، والتصورات الغريبة، لدى تأريخه لفرق الشيعة..»^(٤) كما بين النشار أن فكرة «الثار» هي أهم عامل في تكوين هذه الفرق.

ويرد العجلوني نشأة هذه الفرق إلى عاملين أساسيين:

(١) انظر: العجلوني، المرجع السابق: ص ٣٠.

(٢) انظر: العجلوني، المرجع السابق: ص ٣٠.

(٣) العجلوني، المرجع السابق: ص ٣١.

(٤) العجلوني، المرجع السابق: ص ٣١.

الأول: مظالم الأمويين والعباسيين للعلويين.

والثاني: تغلغل المجوس الذين ركبوا موجة حب آل البيت بين المسلمين، واتخذوا منه ذريعة يتسللون منها إلى الحقد والانتقام من العرب، والطعن في أمهات المؤمنين، وسب الصحابة عليهم رضوان الله تعالى.

هـ- يقف العجلوني موقف المتشكك من فكرة «المهدي» التي رد النشار نشأتها إلى «فترة من فترات الحسرة، التي تسود العالم الإسلامي، حين تسلب منه السلطات الدينية، فيؤمل الناس في ظهور رجل أو إمام ينافح عن الدين»^(١)، ويضيف النشار إلى هذا الأثر النفسي أثراً يهودياً وآخر زردشياً^(٢).

ويبيد العجلوني ملاحظتين على فكرة المهديّة:

الأولى: أنها ليس لها حضور لدى الأوساط العلمية والفلسفية.

والثانية: أنها شاعت بين العامة من مضطهدي الأمم^(٣).

ويدعو العجلوني إلى تجاوز فكرة الإمام أو الفرد المخلص «المهدي»، إلى فكرة «الجماعة المخلصة»، أو إلى المفهوم القرآني لخير أمة أخرجت للناس، و«بذلك وحده يكون الخلاص الواقعي المشهود القائم بأسبابه، من تظاهر قوى الخير والإصلاح، وبتقاسم تكاليف الإصلاح بين جميع القادرين في الأمة على حملها وأدائها»^(٤).

و- لاحظ العجلوني تكراراً في الباب السادس من المجلد الثاني، إذ انعقد هذا الباب على ثمانية فصول، خص بها النشار «تجليات الغلو الشيعي في تطوره التاريخي»^(٥)، وخلص إلى أن هذه الفصول، لم تقدم جديداً للقارئ؛ لأن هذه التجليات قد عرضت فيما تقدم من أبواب الكتاب، ويرى العجلوني أن النشار كان قادراً على تقديم خلاصات لهذه الأبواب^(٦).

(١) العجلوني، المرجع السابق: ص ٣١.

(٢) انظر: العجلوني، المرجع السابق: ص ٣١.

(٣) انظر: العجلوني، المرجع السابق: ص ٣٢.

(٤) العجلوني، المرجع السابق: ص ٣٢.

(٥) العجلوني، المرجع السابق: ص ٣٢.

(٦) انظر: العجلوني، المرجع السابق: ص ٣٢.

ي- الإيجاز والاختصار أحياناً، إذا كان النشار قد أسهب وكرر في فصول الباب السادس من المجلد الثاني، فإن العجلوني يرى إيجازاً واختصاراً فيما كتبه النشار في المجلد الثالث من كتابه عن كتب: «الفرق بين الفرق» للبغدادي، و«مقالات الإسلاميين» للأشعري، و«المنقذ من الضلال» للغزالي، و«الرسالة القشيرية» للقشيري وغيرها من الكتب، التي هي من أمهات المصادر الفلسفية في الإسلام، ولكن هذا الإيجاز لم يكن مخلاً كما يرى العجلوني^(١).

خامساً - التساؤلات التي طرحها العجلوني على موسوعة النشار وردوده عليها :

والقارئ لملاحظات العجلوني على كتاب النشار الموسوم بـ «نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام»، يجده قد طرح ثلاثة تساؤلات، أو قضايا جوهرية سلكها النشار في كتابه، وكأن هذه القضايا الشائكة، قد أصبحت عنده مسلمات وحقائق لا تقبل النقض أو حتى المناقشة.

أما السؤال الأول، فيدور حول موقف الإسلام من البحث الميتافيزيقي، يقول العجلوني: «أيمكن موافقة الأستاذ علي سامي النشار، على أن الإسلام أراد من الفرد المسلم، أن ينأى عن البحث في الميتافيزيقا، وأن يجعله إنساناً عملياً يتج ويدع فقط»^(٢)؟

وقبل معرفة موقف العجلوني من رأي النشار في بحث المسلمين للميتافيزيقا، فإنه يجدر بنا أن نعرّف المقصود بمصطلح الميتافيزيقا، الذي حدّه الفيشاوي بأنه «من الكلمات اليونانية (تاميثا) و(تافيزيقيا)، وتعني الأشياء وراء الطبيعة، مذهب فلسفي تأملي يعتقد بالأسباب والمبادئ»^(٣). وجاء في موسوعة علم الاجتماع أن الهدف من الميتافيزيقا هو: «صياغة نظرية حول طبيعة، أو بناء الواقع أو العالم ككل»^(٤).

ويبدو أن العجلوني قد رفض مقولة النشار السابقة، بناء على ما ورد في القرآن الكريم، ومصادر علم الكلام عند المسلمين، وقد جاءت دفع العجلوني على النحو الآتي:

(١) انظر: العجلوني، المرجع السابق: ص ٣٣.

(٢) العجلوني، المرجع السابق: ص ٩.

(٣) الفيشاوي، سعد: المعجم العلمي للمعتقدات الدينية. الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ٢٠٠٧م: ص ٣٨٩.

(٤) سكوت، جون، مارشال جوردون: موسوعة علم الاجتماع. ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، ط ٢، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١م: ج ٣، ص ٢٦٤.

أ- إن قراءة التدبر للآيات القرآنية، تدعو قارئها إلى النظر في عالم الشهادة، من حيث أسبابه ودلالاته وغاياته، وهذا الضرب من النظر يفضي إلى ضروب وألوان من البحث الميتافيزيقي.

ب- دعوة الآيات القرآنية المسلمين إلى التفكير، والسؤال عن خلق السماء والأرض، وكيف رفعت السموات، وسطحت الأرض، ونصبت الجبال، وما مآل الأمم السابقة والأولين، الذين بقيت شواهد كثيرة تدل على عمرانهم للأرض، ولكنهم بعد ذلك هلكوا وبادوا، ولم تبق منهم باقية، فالآيات القرآنية التي تدعو إلى التفكير والتدبر، والنظر في ظواهر الطبيعة، ومصير بني آدم كثيرة، وجاءت في سياقات مختلفة، ويرى العجلوني أن كل ذلك مُنته بالمسلم إلى البحث الميتافيزيقي^(١).

ج- إن الفلسفة قديمها وحديثها، وما توزعت عليه من فروع تبحث في الإلهيات، والأخلاق، والسياسة، هو مما اشتمل عليه القرآن الكريم، وخاطب به الفطرة الإنسانية السليمة، داعياً إياها للتفكير والتدبر، ولم يجعلها رهينة للخرافات والأساطير^(٢). ويبدو لي أن العجلوني كان متأثراً بما طرحه محمد إقبال في كتابه «تجديد التفكير الديني في الإسلام»^(٣).

د- إن كبار مفكري الإسلام ومتكلميهم، قد عقدوا في مصنفاتهم فصولاً للبحث في العلم، من حيث ماهيته وأدواته وآفاقه، ومن هؤلاء العلماء: الباقلاني في كتابه «التمهيد»، وإمام الحرمين الجويني في كتابه «البرهان»، والراغب الأصفهاني في كتابه «الذريعة»، وقد أكدوا في كتبهم «على أن الإلهيات» أو ما نسميه «ميتافيزيقا الدين»، غير منفصلة عن الشرعيات «سياسة وأخلاقاً وعبادات ومعاملات»^(٤)، وقد جاء كل ذلك انطلاقاً من عقيدة الوحدانية القائمة على شهادة أن «لا إله إلا الله»، ويعد العجلوني ذلك «مناط البحث الميتافيزيقي الراشد السليم»^(٥).

(١) انظر: العجلوني، المرجع السابق: ص ٩.

(٢) انظر: العجلوني، المرجع السابق: ص ٩-١٠.

(٣) انظر: إقبال، محمد: تجديد التفكير الديني في الإسلام، نقله إلى العربية: عباس محمود، ط ١، دار الجنوب للنشر، تونس، ٢٠٠٦م: ص ٢٨-٢٩.

(٤) العجلوني، المرجع السابق: ص ١٠.

(٥) العجلوني، المرجع السابق: ص ١٠.

أما السؤال الثاني الذي طرحه العجلوني ردّاً على ما جاء في كتاب النشار فهو:

«هل يمكن لنا وصف المقاربة الإسلامية، ممثلة ببعض المشتغلين بالفلسفة من المسلمين للمنجز الأرسطي بأنها «مشائية إسلامية»، وأن يطرد بنا ذلك فنقول: إن ثمة «أفلاطونية إسلامية»، و«أفلاطونية محدثة إسلامية»، و«رواقية إسلامية»؟

ويبدو أن العجلوني رأى في مثل هذه الأحكام استلاباً للفلسفة الإسلامية، وتجريداً لها من الأصالة والإبداع، وجعلها تابعاً دائراً في فلك فلسفة اليونان، ولذا فإن العجلوني ردّ كل ذلك قائلاً: «ذلك منكر من القول فيما أعتقد، وهو يتضمّن اعتقاداً بأن لليوناني على المسلم درجة في مجمل المباحث الإلهية (الإلهيات)^(١)».

ويقدم العجلوني مجموعة من الأدلة على تهافت مقولة حمل الفلسفة الإسلامية على فلسفة يونان، وأنها امتداد لها، ومن هذه الأدلة:

أ- إنه ورد في القرآن ما يحيط بجوهر النظر الميتافيزيقي، دون لبس أو غموض، مع وضوح العبارة وإيجازها^(٢).

ب- إن ما ورد في القرآن من أخلاق، وألوان من التفكير، التي تركت أقوى الأثر في حياة المسلمين، وتفكيرهم العلمي، ومن يردون ذلك إلى مصدر آخر غير القرآن، فإنهم منبهرون بفلسفة اليونان، ويعانون من مركب النقص، والشعور بالدونية^(٣)، ويشدد العجلوني النكير على «هشام شراعي، وصادق جلال العظم، ومن لف لفهما من مضاهي الغرب المنبهرين به»^(٤).

ج- ردّ العجلوني رأي النشار القائل بأن كبار مفكري الإسلام وفلاسفته أمثال: الكندي، والفارابي، وابن سينا، وابن رشد، كانوا مقلدين لفلاسفة اليونان^(٥)، والعجلوني يرفض

(١) العجلوني، المرجع السابق: ص ١٠.

(٢) انظر: العجلوني، المرجع السابق، ص ١٠.

(٣) انظر: العجلوني، المرجع السابق: ص ١٠-١١؛ العجلوني، نحن ومفكرو الغرب. ط ١، وزارة الثقافة الأردنية، عمان، ٢٠١٨م: ص ١٨٨-١٨٩.

(٤) العجلوني، نحن ومفكرو الغرب: ص ١٢٣.

(٥) انظر: النشار، علي سامي: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام. ط ٧، دار السلام، القاهرة،

١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م: ج ١، ص ٥.

رأي النشار السالف، ويؤكد أنه لا يمكن نفي الأصالة عنهم، مع أن العجلوني يوافق النشار على أنهم متفلسفة، وليسوا فلاسفة^(١).

د- يقرر العجلوني أنه لا يمكن للباحث أن يتجاهل «الركائز الإسلامية» عند الكندي، والفارابي، وابن رشد، من ناحية، ويؤكد على «جهودهم التأصيلية وأفاقهم المتراحبة في آن واحد»^(٢).

أما السؤال الثالث الذي طرحه العجلوني على ما جاء في كتاب النشار، فهو:

«هل يمكن للعقل أن يطمئن إلى أن أمة من الأمم، أو شعباً من الشعوب، لم يعرف الفلسفة قبل اليونان، وإلى أن اليونانيين هم أساتذة الفكر الإنساني وروّاده» كما يقرر ذلك الأستاذ النشار في أول فصول كتابه؟!«

وإذا كان العجلوني قد اعترض على رأي النشار في تبعية الفلسفة الإسلامية للفلسفة اليونانية، واعتباره أعلام مفكري الإسلام مقلدة لفلسفة اليونان، وعدّ العجلوني ذلك منكراً من القول، فإنه أشد اعتراضاً وإنكاراً لما يقوله النشار في كتابه عن اليونان، وأنهم أول من عرف الفلسفة، وأنهم أساتذة الفكر الإنساني^(٣).

وقد تجلّى ردّ العجلوني على مقالات النشار في الآتي:

أ- إن أبسط مفهوم للفلسفة عند العجلوني، يقوم على أنها نظر شمولي في الكون والحياة والإنسان، الأمر الذي يدل على أن الإنسان الذي سكن الكهوف، وعاش في البراري والقفار، كانت لديه تأملات ذات طابع ميتافيزيقي يتناسب مع حياته البدائية^(٤).

ب- إن الحضارات التي سبقت اليونان، كالمصريين، والبابليين والفينيقيين، وغيرهم من المجتمعات كانت لديهم تأملاتهم، ونظراتهم في الكون والحياة والإنسان^(٥).

(١) انظر: العجلوني، المرجع السابق: ص ١١.

(٢) العجلوني، المرجع السابق، ص ١١.

(٣) انظر: النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ج ١، ص ١٩.

(٤) انظر: العجلوني، هذه الكتب القيمة، ص ١٢.

(٥) انظر: العجلوني، المرجع السابق: ص ١٣.

وفوق ذلك، فإن العجلوني يذهب إلى عدم خضوع اليونان لدولة مركزية قوية، وعدم وجود سلطة كهنوتية متحكمة، قد مكنهم من النظر والبحث الفلسفي بحثاً حراً، دون قيود السلطتين الزمنية والدينية، اعتماداً على ما أفادوا من الأصول البابلية والفينيقية والمصرية والهندية^(١).

قلت: إن ما قاله العجلوني عن إفادة اليونان من أمم الشرق، لا يمثل إلا جزءاً ضئيلاً من حقيقة اتصال اليونانيين بالشرق، ودليلنا على ذلك كثرة الدراسات الحديثة، التي كتبها بعض المنصفين من المستشرقين، وبعض مؤرخي تاريخ العلوم والفلسفة وعلماء الآثار والحضارات، تكشف لنا بوضوح تام عن اعتماد اليونان اعتماداً يكاد أن يكون كلياً على الشرق، بل تذهب بعض هذه الدراسات الحديثة إلى أبعد من ذلك، وأن اليونان قد سرقوا تراث الشرق الفلسفي، وانتحلوا أعمال مفكره وعلمائه وفلاسفته.

فقد ذكر بيير روسي: «إن من الأفضل أن نتكلم عن الحضارة الإيجية، بدلاً من الكلام عن الحضارة اليونانية، فالتأثير الذي مارسه الكنعانيون من صور وصيدا في بحر إيجه، ليس له أهمية لغوية فقط، بل هو يفرض نفسه في جميع المجالات، وبخاصة في مجال الدين والأسطورة والفلسفة، والعلم والفن. إن «جزر البحر» تمتص عن طريق فلسطين، الثقافة النيلية الرافدية المزدوجة، وعن طريق أزمير وميله وسارده، العبير الأناضولي الآتي من خلف البلاد الهندية الفارسية»^(٢).

ونصّ جورج جي. إم. جيمس على أن الفلسفة اليونانية (٦٤٠-٣٢٢ ق.م)، كانت غريبة على بلاد اليونان، التي كانت تعيش حقبة من الحروب الداخلية والخارجية، غير الملائمة لظهور الفلسفة^(٣)، ويذهب جيمس إلى ما هو أبعد من ذلك مضيفاً مزيداً من الشكوك على أعمال فلاسفة يونان، فيقول: «إن الفلاسفة اليونانيين، مارسوا عملية الانتحال ولم يعملوا شيئاً جديداً»^(٤).

(١) انظر: العجلوني، المرجع السابق: ص ١٢.

(٢) روسي، بيير: التاريخ الحقيقي للعرب. ترجمة: فريد جحا، ط ١، دار البشائر، دمشق، ١٤١٩هـ/١٩٩٦م: ص ٦٧.

(٣) انظر جيمس، إم. جورج جي: التراث المسروق (الفلسفة اليونانية فلسفة مصرية مسروقة).

ترجمة: شوقي جلال، ط ١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، بلا تاريخ: ص ٣٥.

(٤) جيمس، المرجع السابق: ص ٧٦.

ويثير جيمس كثيراً من الشكوك حول المدرسة المشائية، التي رأسها أرسطو ثم خلفه تلاميذه من بعده، ويرى أنهم قد نهبوا مكتبة الإسكندرية، وغيرها من خزائن الكتب في الشرق، وحازوا كثيراً من علومها^(١).

ج- أنكر العجلوني قول النشار، بأن اليونان أصحاب غريزة عقلية، أدت بهم إلى هذه البطولة الفكرية (الفلسفة)، التي لم تعرفها الأمم من قبلهم^(٢). ويرى العجلوني، أن النشار قد أطلق كلامه على عواهنه، وهو مجرد افتراض غير بصير، ولو كان اليونان أصحاب غريزة عقلية سليمة لما كان دينهم في مجموعته «مختلاً أو أساطير غامضة، وتصورات مريضة»^(٣).

سادساً- رفض العجلوني لأطروحة المعجزة الإغريقية، الواردة عند النشار.

يرفض العجلوني أن يكون ما يطلقون عليه اسم «المعجزة اليونانية»، معجزة حقيقية، كما رأى ذلك النشار وغيره من الباحثين، الذين تواطؤوا على أن اليونان هم «أساتذة الفكر الإنساني ورواده»^(٤).

ومن أصحاب فكرة المعجزة الإغريقية ألدوميلي الذي يقول: «ولكن المعجزة الإغريقية، التي ندين لها بعلمنا الحالي، وليس بعلمنا فحسب... هذه المعجزة الإغريقية حلقت فوق جميع ما تحقق حتى ذلك العهد، بل فوق ما كان لا بد أن يتحقق في ألفي سنة من بعد»^(٥).

ومن الذين روجوا كثيراً للمعجزة الإغريقية في كتاباتهم طه حسين الذي عدّ فلاسفة اليونان قادة للفكر الإنساني، يقول: «وفكر معي قليلاً في تاريخ اليونان الذي ترجع إليه الحضارة الإنسانية الحديثة والقديمة»^(٦).

ويبدو أن العجلوني كان مضاداً للفكرة القائلة بالمعجزة الإغريقية؛ لأنها أصبحت ركيزة من ركائز الاستعمار الغربي المعاصر في جنوحه إلى التوسع والهيمنة على الشرق،

(١) انظر: جيمس، المرجع السابق: ص ٣٢، ص ٥٧-٥٨.

(٢) انظر: النشار، نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام: ج ١، ص ١٩.

(٣) العجلوني، هذه الكتب القيمة: ص ١٢.

(٤) النشار، المرجع السابق: ج ١، ص ١٩.

(٥) ألدوميلي، العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي. ترجمة: عبد الحليم النجار، محمد

يوسف. المجلس القومي للترجمة، ٢٠١٩م: ص ٥١.

(٦) طه حسين، قادة الفكر. ط ٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦م: ص ١٤.

واستبعاد دوره المشهور وغير المنكور، في بناء الحضارة الإنسانية، فالغرب عند المستشرقين الاستعماريين وغيرهم من المتعصبين هو مصدر الإشعاع الحضاري، والشرق مجرد من كل علم وفضل وحضارة.

وكتب العجلوني في إحدى مقالاته وصفاً تلك النزعة العنصرية الاستعمارية لدى كثير من مفكري الغرب، يقول: «إنها نزعة راسخة في البنية الشعورية لكثير من فلاسفة الغرب ومفكره، ففي «نظام الخطاب» لميشيل فوكو يقول صاحب الحفريات المعرفية: «إن خطابنا ممتد منذ ما قبل طاليس إلى دي سوسير...»^(١).

وقد عنون العجلوني إحدى مقالاته التي نشرها في جريدة الرأي الأردنية بتاريخ ٢١/ أيار ٢٠٠١م، وعنوانها بـ «تلفيق معجزة الإغريق (دعوة للقراءة)، ودعا إلى عقد ندوة علمية لدراسة كتاب «أثينة السوداء» وتحليله؛ لأن الكتاب دفع عشرات الأكاديميين الغربيين إلى مراجعة مفاهيمهم عن العالم القديم^(٢)، علماً بأن مؤلف الكتاب مارتن برنال قد جعل العنوان الفرعي للجزء الأول من كتابه: «تلفيق بلاد الإغريق ١٧٨٥-١٩٨٥».

وقد ذكر أحمد عثمان الذي كتب مقدمة الكتاب السالف الذكر، بعد مراجعة ترجمته وتحريرها، أن برنال مؤلف الكتاب قد أثبت أن علماء الدراسات الكلاسيكية الأوروبية، قد لفقوا تلك الصورة المتداولة عن المعجزة الإغريقية، وفحواها: «الإغريق هم صانعو الحضارة الإنسانية، ووصلوا إلى ما لم يصل إليه شعب من الشعوب القديمة، ومن ثم فليست لحضارتهم أصول شرقية قط»^(٣).

وقد أدرك العجلوني خطورة مفهوم «المعجزة الإغريقية»، عندما وجد أن المعاصرين من فلاسفة الغرب يؤكدون على هيمنتهم على الشرق معرفياً وحضارياً منذ أيام طاليس وحتى الآن، ولاحظ العجلوني أن هيجل في محاضراته عن تاريخ الفلسفة قد «أسقط دورات ألفية من التمدن والحضارة عند شعوب الشرق»^(٤).

(١) العجلوني، وحي الآفاق: ج ١، ص ٣٦٧.

(٢) العجلوني، المرجع السابق: ج ١، ص ٤٢٩.

(٣) برنال مارتن: أثينة السوداء. ترجمة: لطفي عبد الوهاب يحيى وآخرون. ط ١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٧م: ج ١، ص ٣٨.

(٤) العجلوني، وحي الآفاق: ج ١، ص ٣٦٧.

ويمكن للباحث ملاحظة أن محركات كثير من فلاسفة الغرب ومفكره للقول بالمعجزة الإغريقية هي دوافع استعمارية بحتة، وأنهم يريدون خلق المبررات الأخلاقية والعلمية لاستعمارهم الحديث، الذي تسلطوا فيه على كثير من الشعوب والأمم بذريعة، نشر الحضارة والتمدن والرقي بين المستعمرين المستضعفين، بل عمدوا إلى تشويه تاريخ هذه الشعوب المستعمرة والقضاء على عقائدها، والعبث بمناهجها، وتفكيك وحدتها، وتقسيم بلادها، ومحاربة لغاتها^(١).

وقد تكون الدوافع الاستعمارية مشوبة بالغطاء الديني عند بعض مفكري وفلاسفة الغرب، في محاولاتهم ترسيخ أسطورة المعجزة اليونانية في أذهان الأجيال المعاصرة، وأن الثقافة اليونانية منسجمة مع الثقافة المسيحية، يقول جوجنايم: «لقد ظل رجال الدين في العصور الوسطى أوفياء للتراث اليوناني العلماني والمسيحي: أرسطو، أفلاطون، الأناجيل، لقد حافظوا عليه، واقتاتوا منه على مدار أربعة قرون، لقد تفكروا فيه وأثروه. لم يكونوا بحاجة إلى الله، ولا إلى محمد، ولا إلى المسلمين حتى يفتحوا عيونهم، ويظهروا لهم ما يجهلونه»^(٢).

ولسنا بصدد حصر الآراء الصادمة، والدراسات المغرضة التي حاولت الدفاع عن فكرة «المعجزة اليونانية» التي رفضها العجلوني، ودفعها بكل قوة، وعدّها إطلاقاً للكلام على عواهنه بل لا تعدو أن تكون افتراضاً غير بصير^(٣). ولكن العجلوني لم يكتف بدفع هذه الفكرة وتقديم الأدلة على تهافتها وبطلانها بناء على قراءاته الواسعة في تاريخ الفكر والفلسفة قديمها وحديثها، شرفيها وغربيها، وتأسيساً على ما لديه من معرفة راسخة بالتراث العربي الإسلامي قرآناً وحديثاً، لغة وأدباً، منطقاً وفلسفة، إلى غير ذلك من ضروب هذا التراث العميق الغور، المتراحب الأطراف. ولكن العجلوني طرح بديلاً للقول بالمعجزة اليونانية وبديل العجلوني هو:

-
- (١) انظر: الدروبي، سمير: «حسن البرقاوي (أستاذ اللغة العربية الأول في عهدي الإمارة والمملكة في الأردن): أثر مشاهداته في بناء ثقافته وتشكيل وعيه الوطني»، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مجلد (١٧) رقم العدد (٦٤)، عدد خاص ٢٠٢١م: ص ٢٤٥-٢٦١.
- (٢) بوتجن، فيليب، وآخرون: اليونان والعرب وأوروبا عن الإسلاموفوبيا الفكرية. ترجمة: أنور مغيث وآخرون. ط ١، المجلس القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٧م. ص ٥٥.
- (٣) انظر: العجلوني، هذه الكتب القيمة: ص ١٢.

سابعاً- المعجزة الإسلامية هي المعجزة الحقيقية عند العجلوني :

يرى العجلوني أن المعجزة الحقيقية في الفكر الإنساني، هي «المعجزة الإسلامية» لا المعجزة اليونانية، إذ إن الأولى مستمدة من «معجزة القرآن»^(١) الذي هو كتاب الإسلام المعجز الخالد على وجه الدهر، وهو ينبوعها الذي صدرت عنه، ومعينها الذي نهلت منه عقدياً وفكرياً، وتشريعياً وأخلاقياً، وعلمياً ولغوياً، وضروب إعجازه المختلفة لا تنتهي عند حدّ، ولا تقف عند زمان، بل هو حجة الله على خلقه حتى قيام الساعة.

ويبدو أن العجلوني كان مقتنعاً أشد الاقتناع بما أطلق عليه «المعجزة الإسلامية» سيما أن طرحه جاء بعد رحلة طويلة مع البحث والتأليف، ونتيجة لقراءته المكثفة في الدين والفلسفة والأدب والحضارة، ولذا فإنّ تدليله على هذه المعجزة جاء موجزاً، وما أراد بأدلته عليها إلا أن تكون إشارات يلتقطها القارئ، ليتوسع فيها وفقاً لاهتماماته المعرفية، وقد أورد العجلوني حججه وأدلته على هذه المعجزة بناء على ركيزتين أساسيتين:

الأولى: إن المعجزة الإسلامية المستلهمة من معجزة القرآن العظيم، قد أحدثت نقلة حضارية عظيمة في حياة العرب الوثنيين، الذين كانوا يعيشون حياة البداوة والترحال، وهم الذين حملوا رسالة النور والعدل والتوحيد والكرامة الإنسانية إلى العالم القديم، وامتدت فتوحاتهم من الصين شرقاً إلى الأندلس غرباً، وهو أمر لم تشهده البشرية قبل ذلك ولا بعده. فالإسلام هو الذي نقل قوماً من البدو إلى آفاق الحضارة، والمعجزة الإسلامية هي «التي نهضت بقوم «بداة» وثنيين إلى حيث صاروا كلاميين وفلاسفة وقضاة مشرعين، وعلماء تجريبين، وبناء أنساق معرفية، ناهيك بألوان البيان الحضاري»^(٢).

وقد يتوقف أمام أطروحة العجلوني بعض المشككين من دعاة التفرغ، ولكن القارئ لما كتبه بعض الفلاسفة والمؤرخين عن تاريخ الفكر العربي، يجد شهادات حق من علماء وباحثين منصفين، جعلوا من الأمانة والإنصاف رانداً لهم في دراساتهم، ومن البحث عن الحق غاية يقفون عليها.

وتوبي أ. هَفَّ من هؤلاء العلماء الذين درسوا جانباً مهماً في الحضارة العربية وهو نقل

(١) انظر: العجلوني، المرجع السابق: ص ١٣.

(٢) العجلوني، هذه الكتب القيمة: ص ١٣.

علوم اليونان وغيرهم من الأمم إلى لغة العرب على أكمل وجه وأدق صورة ممكنة، يقول واصفاً حركة الترجمة العربية بأنها «جهد خارق»^(١).

ويرى ديمتري غوتاس أن حركة الترجمة العربية تمثل إنجازاً عظيماً ويعدها: «مرحلة حاسمة في مجرى تاريخ البشرية، وإنني أزعم أنها تعادل في أهميتها أثينا بركليس، أو النهضة الإيطالية، أو الثورة العلمية في القرنين السادس عشر والسابع عشر، وهي حرة بأن يُعترف بها، وأن تحتل مكانتها في ضميرنا التاريخي»^(٢).

ولا يعدم الباحث مئات الأدلة التي تقدمها الدراسات الغربية على ضخامة المنجز الإسلامي في خدمة الإنسان، والارتقاء بفكره وعقله، وفي تقدم العلم الإنساني، وهو ما يسميه العجلوني بـ «المعجزة الإسلامية» ويضيف العجلوني إلى قدرة الإسلام على تحقيق الوحدة الثقافية بين مختلف الأمم والشعوب، التي دخلت في أرض الإسلام، يقول العجلوني: «ولقد صهر القرآن الكريم مشاعر المسلمين في بوتقة واحدة، وفتح أمام أبصارهم آفاقاً عقلية، وأمدهم بفيوضات روحية ونفسية، حفظت نسيجهم الاجتماعي من الهلهلة - لا عجب، إذن أن تنهار إمبراطورية الرومان في مئة عام، وأن تظل دولة الإسلام قائمة كل هذه القرون المتتالية، وأن يظل مجتمعه حياً إلى يومنا هذا، إنه القرآن، كتابنا المبين الذي جاء رحمة للعالمين»^(٣).

ولا يتسع المقام لحشد الأدلة والشهادات التي تؤيد أطروحة العجلوني، وتبرهن على أن «المعجزة الإسلامية»، قد أضحت حقيقة مطلقة، لكل طالب حق، تجرد عن الغرض والهوى، ونأى عن العصبية والتعصب لجنس أو طائفة أو دين.

والثانية: دعوة الباحثين إلى الاحتكام إلى الإنتاج الكمي الذي أنتجته «المعجزة الإسلامية» في ميادين الفكر والعلوم، والآداب، والفنون، إذ وصلت مصنغات المسلمين في المعارف

(١) انظر: الدروبي، سمير: الترجمة والتعريب بين العصرين العباسي والمملوكي. ط ١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م: ص ١٦.

(٢) غوتاس، ديمتري: الفكر اليوناني والثقافة العربية. ترجمة وتقديم: نقولا زيادة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٣م: ص ٣٩.

(٣) العجلوني، إبراهيم: في مرآة الإسلام، ط ١، دار البشير، عمان ١٤٣٠هـ/ ١٩٩٤م: ص ٦٣.

والعلوم والآداب بناء على ما وصل إلينا، أو عرف من كتب الفهارس عن مخطوطاتها ما نيف على بضعة ملايين مخطوط، تناثرت في مكتبات العالم شرقاً وغرباً.

وقد يقول قائل ما قيمة هذا الكم الهائل من المخطوطات العربية، وهل يقدم للمعرفة جديداً؟ والجواب على ذلك يأتي من الباحثين الأوروبيين في تاريخ العلوم، عندما اكتشفوا فريسة كوبرنيكوس-رأس العلماء في عصر النهضة لكتاب ابن الشاطر الدمشقي الموسوم بـ «نهاية السؤل في تصحيح الأصول»، ونشر فكتور روبرتس مقالة علمية بعنوان «نظرية ابن الشاطر لحركات الشمس والقمر: هيئة كوبرنيكية سابقة لكوبرنيك». وكانت نتائج هذا البحث صادمة ومربكة للمجتمع الأكاديمي الأوروبي؛ «لأن علوم عصر النهضة الأوروبية كانت تعتبره ابتكاراً أوروبياً قائماً بذاته»^(١)، وثبت لهم أن كوبرنيكوس كان منتحلاً لعمل ابن الشاطر الدمشقي.

والأمثلة التي تعزز رأي العجلوني في حقيقة «المعجزة الإسلامية» كثيرة ومتعددة، وتكشف عنها الدراسات الحديثة المتعلقة بتاريخ الإسلام الفلسفي والعلمي، ولكن هذه الدراسات ما زالت في مراحلها الأولى، وتحتاج إلى نشر المزيد من المخطوطات العربية، التي ستثبت للأوساط الأكاديمية حقيقة هذه المعجزة الإسلامية، بعد إمالة اللثام عن كثير من هذه المخطوطات العربية.

وبناء على ما سبق، فإن العجلوني كان من أكبر دعاة تحقيق التراث، والكشف عن المزيد من كنوزه، التي ستغير كثيراً من الأحكام، وتثبت الدور العظيم للمسلمين في نهضة العلوم، وتقدم الحضارة الإنسانية، وقيام النهضة الأوروبية الحديثة، يقول: «ولو أننا احتكنا إلى «كم» الإنتاج الفكري والعلمي، الذي أنتجته «المعجزة الإسلامية» دون غيره من شواهدنا، لأمكن لنا القول بأن ما تبقى من مخطوطات العلوم والآداب، بعد تدمير مكتبات بغداد واللاذقية، وحلب، وسائر مدائن الإسلام قد يتجاوز عشرة ملايين مخطوطة، ما تزال تنتظر أن ينفذ غبار النسيان والتعتيم عنها، وأن تحقق وتنتشر، ليرى العالم معنى المعجزة الحقيقية بكل أبعاده ودلالاته...»^(٢).

(١) صليبا، جورج: العلوم الإسلامية وقيام النهضة الأوروبية. ترجمة: محمود حداد. ١، الدار العربية للعلوم، أبو ظبي، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م: ص ٣١٠.

(٢) العجلوني، هذه الكتب القيمة: ص ١٣.

ولعمري أن دعوة العجلوني إلى تحقيق التراث هي دعوة حق، وبخاصة أنه وجد من بين أبناء الأمة من لا يعرفون قيمة التحقيق العلمي، الذي له عند الغربيين أسمى مكانة، وأعلى درجة، وأود أن أقتبس كلمة سبق لي أن قلتها فيما آل إليه التحقيق في الأوساط الأكاديمية، ونجعل هذه الكلمة خاتمة لهذا البحث المتواضع، الذي أقدمه في ذكرى الصديق الصدوق إبراهيم العجلوني، الغيور على أمته، ماضياً وحاضراً ومستقبلاً، وأحد المنافحين عن تحقيق تراثها والداعين إليه^(١).

ومما سبق لي أن قلته في أهمية تحقيق تراثنا العظيم، الذي ما زال غرضاً لأعداء الأمة: «إن تحقيق التراث ونشره، وحمايته والإفادة منه، عمل مقدس، يُحافظ به على تراث الآباء والأجداد، خوفاً عليه من الاندثار والضياع، وبخاصة تراثنا العربي الإسلامي، الذي دمرت كمية كبيرة منه على يد الصليبيين والتتار، وما زال التدمير قائماً حتى الساعة، ألا نذكر كيف دمر الغزاة الجدد مكتبة بغداد الوطنية العظيمة، وهو أمر لا يقل عن جرائم المغول وجرائمهم في حق الكتاب العربي والحضارة الإنسانية^(٢)».

(١) انظر: العجلوني، وحي الآفاق: ج ٢، ص ٢٠٨، ١٧٨؛ اليوسف، مرايا الحضور: ١٢.
(٢) الدروبي، سمير: مجامع اللغة العربية في دمشق وعمّان في عهود الهاشميين ١٣٣٨هـ - ١٤٤٣هـ/١٩١٨-٢٠٢١م. ط ١، وزارة الثقافة الأردنية، عمان، ١٤٤٣هـ/٢٠٢٣م: ج ٣، ص ٣١٥.

فهرست المراجع

- ١- إقبال، محمد: تجديد التفكير الديني في الإسلام، نقله إلى العربية: عباس محمود، ط١، دار الجنوب للنشر، تونس، ٢٠٠٦م.
- ٢- ألدوميلي، العلم عند العرب وأثره في تطور العلم العالمي. ترجمة: عبد الحليم النجار، محمد يوسف. المجلس القومي للترجمة، ٢٠١٩م.
- ٣- برنال مارتين: أئينة السوداء. ترجمة: لطفي عبد الوهاب يحيى وآخرون. ط١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ١٩٩٧م.
- ٤- بوتجن، فيليب، وآخرون: اليونان والعرب وأوروبا عن الإسلاموفوبيا الفكرية. ترجمة: أنور مغيث وآخرون. ط١، المجلس القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١٧م.
- ٥- جيمس، إم. جورج جي: التراث المسروق (الفلسفة اليونانية فلسفة مصرية مسروقة). ترجمة: شوقي جلال، ط١، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، بلا تاريخ.
- ٦- الدروبي، سمير: «حسن البرقاوي (أستاذ اللغة العربية الأول في عهدي الإمارة والمملكة في الأردن): أثر مشاهداته في بناء ثقافته وتشكيل وعيه الوطني»، المجلة الأردنية في اللغة العربية وآدابها، مجلد (١٧) رقم العدد (٦٤)، عدد خاص ٢٠٢١م.
- ٧- الدروبي، سمير: الترجمة والتعريب بين العصرين العباسي والمملوكي. ط١، مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية، الرياض ١٤٢٨هـ/ ٢٠٠٧م.
- ٨- الدروبي، سمير: مجامع اللغة العربية في دمشق وعمّان في عهد الهاشميين ١٣٣٨هـ- ١٤٤٣هـ/ ١٩١٨-٢٠٢١م. ط١، وزارة الثقافة الأردنية، عمان، ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٣م.
- ٩- روسي، بيير: التاريخ الحقيقي للعرب. ترجمة: فريد جحا، ط١، دار البشائر، دمشق، ١٤١٩هـ/ ١٩٩٦م.
- ١٠- سكوت، جون، مارشال جوردون: موسوعة علم الاجتماع. ترجمة: محمد الجوهري وآخرون، ط٢، المركز القومي للترجمة، القاهرة، ٢٠١١م.
- ١١- صليبا، جورج: العلوم الإسلامية وقيام النهضة الأوروبية. ترجمة: محمود حداد. ط١، الدار العربية للعلوم، أبو ظبي، ١٤٣٢هـ/ ٢٠١١م.

- ١٢- طه حسين، قادة الفكر. ط٤، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٦م.
- ١٣- العجلوني، إبراهيم: في مرآة الإسلام، ط١، دار البشير، عمان ١٤٣٠هـ/ ١٩٩٤م.
- ١٤- العجلوني، نحن ومفكرو الغرب. ط١، وزارة الثقافة الأردنية، عمان، ٢٠١٨م.
- ١٥- العجلوني، إبراهيم: هذه الكتب القيمة: ملاحظات أولية. ط١، دار الخليج، عمان، ٢٠٢٢م.
- ١٦- العجلوني، إبراهيم: وحي الآفاق، ط١، أروقة الدراسات والنشر، عمان، ١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م.
- ١٧- غوتاس، ديمتري: الفكر اليوناني والثقافة العربية. ترجمة وتقديم: نقولا زيادة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، ٢٠٠٣م: ص٣٩.
- ١٨- الفيشاوي، سعد: المعجم العلمي للمعتقدات الدينية. الهيئة المصرية العامة، القاهرة، ٢٠٠٧م.
- ١٩- النشار، علي سامي: نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام. ط٧، دار السلام، القاهرة، ١٤٤٣هـ/ ٢٠٢٢م.
- ٢٠- اليوسف، سمير: إبراهيم العجلوني مرايا الحضور. ط٢، دار الخليج، عمان، ٢٠٢١م.

إبراهيم العجلوني

المثقف الحاضر الغائب

د. زياد أبولبن

أن تكتب عن إنسان أحببته وجمعتك به الأيام مراراً، وهاتفك قبل فراقه الحياة دون ضجيج كما كان في حياته، لأمر يدعوك للحزن والألم، وأي إنسان ذلك الذي ترك فيك عطشاً لحديثه الذي يسرّك من جانب، ويحزنك من جانب آخر، يسرّك بما أنجزه من مؤلفات ودراسات ومقالات وشعر وقصة ومسرحية، ويحزنك بما تكالبت عليه الدنيا، فزهداً أيّما زهد، وترفع عن مناصبها أيّما ترفع.

رحل أبو سلطان إبراهيم العجلوني فكثرت الأقلام التي رثته، فأردد ما قاله الراحل القاص العراقي عبدالستار ناصر: «لو أنهم قالوا ما قالوه عني بعد موتي في حياتي لكانت تكفيني أن أبقى بينهم عشرة أعوام أخرى».

كانت زيارته برفقة الصديق سمير اليوسف لمكتبي في مركز دراسات القدس لها الأثر الكبير على قراءاتي، فأجد في أبي سلطان المثقف النوعي الذي يحفر في التراث بما يحمله من كنوز، ويتابع كل ما هو حديث وجديد، ويزورُ حين يجد تهافت بعض المثقفين على النظريات والأفكار الغربية وفي فكرهم قطيعة مع التراث، ويسرّه إن وجد أحدهم يبحث في كنوز التراث ولا يقف عند الجديد والحديث، فكان يراني القارئ النهم والمثقف الذي يلتقيه في فكره، وفي كل زيارة يدعوني لقراءة كتاب جديد يزيد في ثقافتني ووعبي للتراث.

كثبت عن كثير من مؤلفاته، حتى غدت تلك الكتابات أو المقالات مادة حيّة لجمعها في كتاب، وكنت أطلعه على ما أكتب قبل نشرها، فيسرّ بها، ويدعوني لكتابة ما يصدر عن فكري،

وأن لا أفق فقط عند أصحاب الفكر وبسط ما لديهم في مقال، فيرى أبو سلطان أن طروحات الأفكار قد تشكّل مدرسة يجتمع فيها أهل العلم والأدب، وتحدد ملامح هويتها.

ولعلّ وقوفي على كتابه «صفو الاعتبار: من حصاد الأنظار» يكشف عن ثقافة أبي سلطان وعن فكره، فأقدمه للقارئ لعلّه يجد فيه ما يغني الحديث والقول عن صاحبه. صدر الكتاب مؤخرًا عن دار الخليج للنشر والتوزيع في عمان، ويقع في ٩٨ صفحة من القطع المتوسط، وعنوانه يردنا إلى عناوين الكتب العربية في عصور خلت، وبأسلوب بليغ فيه عمق الدلالة، وبُعد النظر، وجمال العبارة، حيث يتضمّن عشرة أحاديث موجزة ومختصرة كلّها من مشكاة واحدة، أو تنبع من صخرة واحدة، أو تنفجر من ذات النبع؛ على اختلاف ما بين المشكاة وصلابة الصخرة وفيضان الأمواه، كما وصفها المؤلف في مقدمة الكتاب.

يتناول الحديث الأول حكمة بالغة.. وإجمال حال»، أهمية القلم بوصفه مصدر الكتابة في توجيه هذه الأمة وتحريك نفوسها، وإشغال عقولها، وصقل أذواقها، ويستشهد الكاتب بحكمة المأمون «لله درّ القلم كيف يحوِّك وشي المملكة»، وقول ابن الحريري في «العقد الفريد: «الكتابة قوامُ الخلافة، وزينة الرياسة، وعمود المملكة، وقول ابن الرومي:

لعمرك ما السيف سيف الكمي

بأخوف من قلم الكاتب

ومنع تلك الاستشهادات لما تشكّله الكتابة والكاتبون من خطورة قديمًا وحديثًا وفي كل حين، وقد ضاق بالعجلوني ما يشهده من سطوة وسائل الإعلام وصناع الكلام على الأنفس والأذواق والعقول، فاحترفت أقلام كثير من الكتّاب والإعلاميين والأدباء عما ينبغي أن تنهض به من واجب التنوير والتبصير، فعميت أمة العرب والمسلمين عن حاضرها، وعما يُراد بها، بعدما استبدّ الفساد في بنى الدول؛ مع الهشاشة الأخلاقية لفلول الأيديولوجيا ومغامري الأحزاب، فضلًا عن تكثُر أصناف المتاجرين بالأديان والأوطان والإنسان، كما يقول الكاتب، ولو كان غير ما كان لتبدّل الحال في وصف العجلوني فلا يؤذّن بخراب الأمم وفوات الهمم وسوء المصير. هذه شكوى مريرة قد تستنهض الهمم، وتستفز الأمم لما آلت عليه حالهم من سوء المصير ونذر الخراب، فهل من مُجيب؟!

وفي الحديث الثاني «سياسة وأخلاق»، يربط السياسة بالأخلاق، فيرى أن فلسفة الحكم في الإسلام مرهونة بكتاب الله وسنة رسوله، وما أدلّ على ما ذهب إليه الكاتب إلا قول رسول الله صلى الله عليه وسلم: «ألا أخبركم بأحبّكم إليّ وأقربكم مني مجالس يوم القيامة؟ أحاسنكم أخلاقاً الموطّؤون أكنافاً الذين يألفون ويؤلفون، ألا أخبركم بأبغضكم إليّ وأبعدكم مني مجالس يوم القيامة؟ الثرثارون المتفيهقون»، وما أدلّ فهماً للاحتكام لفلسفة الحكم إلا ما سار عليه أبو بكر وعمر بن الخطاب في سياسة الحكم، وأسس العدل وقواعد الإنصاف.

وفي الحديث الثالث «بئس ذلك ذكاء»، يورد العجلوني ما أورده الإمام أبو العباس محمد بن يزيد المبرد (٢١٠-٢٨٥هـ) عن مبايعة (يزيد بن معاوية) حيث قال: «وروي أن معاوية بن أبي سفيان لما نصب يزيد لولاية العهد أقعده في قبة حمراء، فجعل الناس يسلمون على معاوية، ثم يميلون إلى يزيد، حتى جاء رجلٌ، ففعل ذلك، ثم رجع إلى معاوية، فقال يا أمير المؤمنين، اعلم أنّك لو لم تولّ هذا أمور المسلمين لأضعتها - والأحنف «بن قيس» جالس، فقال له معاوية - أي للأحنف - ما بالك لا تقول يا أبا بحر؟ فقال: أخاف الله إن كذبتُ، وأخافكم إن صدقت. فقال: جزالك الله عن الطاعة خيراً.. فلما خرج الأحنف لقيه الرجل بالباب. فقال يا أبا بحر، إنّي لأعلم أنّ شرّ من خلق الله هذا وابنه. ولكنهم قد استوثقوا من هذه الأموال بالأبواب والأقفال، فلسنا نطمع في استخراجها إلا بما سمعت. فقال له الأحنف: يا هذا امسك، فإن ذا الوجهين خليق ألا يكون عند الله وجيهاً».

فأراد العجلوني أن يصنع «صورة مقاربة لكثير ممن يبيعون ولاءهم لأدنى النفع أو لأبعده، ممّن تمتلئ بهم أروقة الدواوين ومنابر الإعلام وشاشات الفضائيات».

وفي الحديث الرابع «ثقافة ولغة ومؤسسات»، ما استقرّ به حال العجلوني مع مؤسسات الثقافة والإعلام، فقد نفّض يده منها بعدما استيقن «من غلبة المظهرية فيها وألوان التحزّب والاصطناع والازدلاف والدّهان، ومن خضوعها للظاهر والخفيّ من طبائع الاستبداد، فضلاً عن تباعد ما بين كثير من المسؤولين فيها وبين ما ينبغي أن يكونوا عليه (بما هو شرط لتكليفهم) من وعي وعلم وموهبة ودربة واختصاص»، حتى صارت الأميّة الثقافية أنموذجاً مُعجبةً، ويرى أن هناك قطيعةً بيننا وبين تراثنا العظيم، فدعا العجلوني إلى الدفاع عن لساننا العربي المبين، وقد أبان عن حقائق لغتنا العربية أسباباً، وهي:

أولاً: تحتل اللغة العربية المكانة الأولى بين اللغات في العالم كله، قديماً وحديثاً. وكتب بها ملايين المصنّفات في شتى المعارف والعلوم. وخمُسُ سكان الأرض (عرباً ومسلمين) يتكلمونها.

ثانياً: الحكومات العربية والإسلامية لا تقوم بواجبها إزاء العربية، وكذلك مؤسسات التربية والتعليم والثقافة، بما في ذلك مجامع اللغة العربية.

ثالثاً: لا علاقة (ضرورية) بين تطور الدولة وبين اللغة والثقافة. فقد كان أزهى عصور العربية هو العصر العباسي إبّان ضعفه. كما شهدت الثقافة (واللغة قوامها) ازدهاراً في مطلع القرن العشرين، على حين كانت الدولة ضعيفة مستعمرة (بفتح الميم).

رابعاً: ثراء العربية في مفرداتها (ولكل مفردة دلالة) حيث تتجاوز الاثنتي عشرة مليون مفردة. ولا تبلغ اللغات الحية كلها (اليوم) هذا الثراء الدلالي.

خامساً: استعادة عافيتنا اللغوية، وكذلك حضورنا الحضاري، مرهونة بقوة الحضور القرآني في وعينا ووجودنا.

سادساً: عبقرية العربية لا يدركها كثير من حملة الدكتوراه. فكيف بالعامّة الذين قصّرت المؤسسات التربوية والتعليمية والإعلامية تقصيراً شائناً في تعهّد عقولهم وألستهم، وتركتهم نهباً لأسوأ ما يردُّ علينا من ثقافة المستعمرين (القدماء والجدد) ومن لُسنا له بعافين..

في الحديث الخامس «في الأخوة والصدّاقة وتكاليفهما»، يقف العجلوني على العلاقة الوشيحة بين الناس، ألا وهي الصدّاقة التي تحمل القيمة العليا في العلاقة الإنسانية، ويدل على مصدر تلك العلاقة بما جاء في كتاب أبي حيان التوحّيدي «الصدّاقة والصدّيق»، ويضرب مثلاً بمثال من قول الشاعر عبدالله بن معاوية بن عبدالله بن جعفر بن أبي طالب، وقال الشاعر الطغرائي، وقول أحد الحكماء «الصدّيق هو أنت إلا أنه بالشخص غيرك»، ويخلص بالقول: «والصدّاقة فيما قد ينتهي إليه التأمّل «صدّاقات»، كلُّ منها موزون بأسبابه ودواعيه. وأجملها وأثقلها في الموازين ما كان محبّة في الله أو عوناً على المروءات، أو ذريعة إلى مكارم الأخلاق. ونعماً هي صدّاقة إذا أفضت بأحدنا إلى هذه الآفاق..».

في الحديث السادس «بعض ما يقال من حديث البغال»، وهو تمهيد للدخول إلى أبواب سببها العجلوني سبباً على غرار حكاية «كليلة ودمنة»، فكان أسلوب ابن المقفع حاضراً في أسلوب العجلوني، ولغة ابن المقفع حاضرة في لغة العجلوني، وخاتمة العجلوني في «باب بَعْلُوِيهِ» تنهَجُ خاتمة كتاب «ألف ليلة وليلة»، كما أن قول الفيلسوف لدبشليم الملك في «باب ورقة» بالقول «حدثني عيسى بن هشام قال:» تنهَجُ من مقامات الهمذاني، وكذلك «باب خُنْفُسَة»، فما رمى إليه العجلوني من إسقاط في الدلالة لا يختلف عما رمى إليه ابن المقفع بالدلالة، ومَنْ يسير من القراء الحُصَفَاءَ إلى طرق أبواب العجلوني يتبيّن ما تكتمه النفوس، ويفضحه الحال. أترك للقراء أمر تبيان الدلالة بالاسقاط على ما جاء في وقع حال تلك الأبواب في كتاب العجلوني «صفو الإعتبار من حصائد الأنظار».

في الحديث السابع «أسئلة كاشفة»، وحقيقة تكشف تلك الأسئلة عن سعة ثقافة العجلوني وعمقها، وتضال المثقفين والقراء الذين ينهرون بالفكر والفلسفة الغربية، وما يجهلون من كنوز المعارف العربية والإسلامية، ويستدلّ على أولئك المفتونين بكلّ ما يحمله الغرب من معارف بما أنتجته الحضارة العربية من مؤلفات تضاهي ما أنتجه الغرب، بل تتفوّق عليه، إن لم يكن للعرب قصب السبق في علومهم ومعارفهم وفكرهم وفلسفتهم. وقد صدق العجلوني في طرح أسئلته التي هي «كاشفة لعمق التناقض بين ما تحمله أجوبتها من دلالات وما نحن عليه من انبهار عام، لا ريب أن معالجته صعبة في ضوء الهلهلة السياسية والثقافية التي نعيشها!!».

في الحديث الثامن «في معنى الإسلام»، يؤكّد العجلوني على أن أنبياء الله جميعاً هم مسلمون، وأن الإسلام دين الفطرة الإنسانية السليمة، لتحقيق العدل والمساواة بين بني آدم وضمنان ألا يستعبد أحد أحداً.

في الحديث التاسع «الإعلام العربي وتكاذيب الأعراب»، يذهب العجلوني إلى أن الإعلام العربي وقع في تهاويل اللامعقول، بما يروى عن الأعراب من أكاذيب، وهذا نوع من تزوير الوعي وتوهين الإرادات وطمس الحقائق التي تحيق بالأمة العربية، ويورد العجلوني أمثلة من مضحكات التكاذيب، وما هي إلا زيغ ومبالغة وتليبس وتضليل يُراد منها التربّص بهذه الأمة.

في الحديث العاشر «بدون عنوان»، يسرد العجلوني في حديثه عدداً من المؤلفات العربية في مختلف العلوم، وهي من كنوز التراث العربي، التي قامت عليه الحضارة العربية، وامتدّت في أقطاب الأرض، وهي كنوز وثروات عقلية وروحية اشتملت عليها حضارة الإسلام.

يأسف العجلوني لواقع الحال، فنحن بمبعدة عن هذا التراث العظيم، كما أننا بمبعدة عن ثقافات الأمم الأخرى، ويقول «إن قصارى ما نجهد فيه (ولا أقول نجتهد) أن نضاهي الأمم (ولا سيما الغربية) في النزر القليل والبضاعة المزجاة من العلم النافع (هذا إن سُمح لنا بذلك!) على حين نندفع في تقليد أرعن لأسوأ أخلاق تلك الأمم وما مردت عليه من مجافاة فطرة الإنسان ومدابرة محاسن أخلاقه، والهبوط به إلى مرتبة الحيوان، بل أضلّ سبيلاً..».

يبقى القول، مَنْ يُحسن قراءة هذا الكتاب يجد فيه أسلوباً بليغاً يرقى إلى لغة النخبة المثقفة، ويجد فيه جماليات اللغة، وسبك العبارة، وعمق المعنى ودلالاته، وليس بغريب أن يصدر كل هذا وذاك من أديب ومفكر بحجم إبراهيم العجلوني، ثقافة ووعياً وعمقاً، وقد تركتُ للقارئ الحصيف سبر أغوار المعاني ودلالاتها ومراميها، ومتعة القراءة.

القضية الفلسطينية

في مقالات إبراهيم العجلوني

د. يوسف محمد عبدالله عبده

الجامعة الأردنية، كلية الآداب

مجلة الصراط - الجزائر ١٨ / ٩ / ٢٠٢٠

المقدمة :

تعدّ القضية الفلسطينية أكبر تحدّ واجهته الأمة العربية الإسلامية في العصر الحديث، وقد حظيت باهتمام الأديب العربي قديماً، وبالذات بعد وعد بلفور الذي اعترف بحق اليهود المزعوم في إنشاء وطن لهم في أرض فلسطين، وقد جرّ هذا الوعد مآسٍ ومصائب كثيرة على الشعب الفلسطيني والأمة العربية. «ومع مأساة فلسطين انسكبت شكوى الإنسان العربي بحمى مخيفة، لقد كان جرحه ينزف باستمرار مأساوي مرعب سيولاً من الكلمات المتمردة المعذبة وكان ماضيه الذي يمتزج بشبح الأرض العذراء المنسرحة الشاكية يموسق أغنيته للأرض الأم»^(١).

وهذا يدل على الأهمية البالغة التي تمتلكها هذه الأرض المقدسة في قلب الأمة العربية والإسلامية. وما نراه من إبداعات شعرية ونثرية، ما هي إلا صورة حقيقية، تعبر عن ألم الأدباء من العدوان الصهيوني، ومن اعتدائهم على قبلة وبوصلة الوطن العربي، وتؤكد وقوف الشعوب العربية الأخرى مع فلسطين لاسترجاع عزتها وهويتها.

(١) الريحاني، أمين (١٩٥٦) القوميات، دار الريحاني، بيروت، ج ٢، ص ١٣.

فلذلك؛ احتلت قضية فلسطين مكاناً واسعاً في الأدب العربي، «إذ لا يكاد يخلو نصُّ يقدمه شاعر من الشعراء المبدعين من فلسطين ومما يعانیه أهلها من ظلم الصهاينة وجورهم حتى إننا نرى بعض القصائد تخرج عن الإطار الفني في صياغتها. وما ذلك إلا نتيجةً للحماسة الفائقة والحمية الصادقة التي تعترى الشاعر عندما يتعرض لفلسطين وأهلها. وهذا ليس غريباً لأن الغصن وإن امتد خارج دائرة شجرته إلا أنه يظل في حنين دائم إلى جذوره التي تهبه عناصر الحياة»^(١).

المطلب الأول : العجلوني ... العاشق والمحِب لهذه الأرض الطيبة :

يعدُّ الكاتب والمفكر الأردني الأستاذ إبراهيم العجلوني من الأدباء الذين ساهموا في توعية المجتمع العربي والأردني بوجه الخصوص في خطر الصهيونية ومخططاتها الهدامة، وتجلّى اهتمامه بقضية فلسطين من خلال مقالاته التي كان ينشرها في الصحف والمجلات، فيقول في إحدى مقالاته موضعاً فلسفة الكيان اليهودي للأمة العربية والإسلامية: «إن إسرائيل لن تنسحب من أرض عربية إلا إذا ضمنت، في المقابل، امتداداً حقيقياً في الوعي والوجدان العربيين، وإلا إذا رجحت كفة ما يعود عليها من هذا الانسحاب بكفة ما يظن أنه خسران لها ورجوع عن اطماعها، إنها قد تسحب من الأرض، ولكن ذلك لا يعدو أن يكون توطئة للامتداد في الانسان. الأرض، إذن!! في المنطق الاسرائيلي، مقابل الانسان»^(٢).

أشغل العجلوني قلمه في خدمة قضايا الأمة، وجعل على رأسها قضيتها المحورية: قضية أولى القبلتين، قضية فلسطين، التي خصها بالمزيد من الرعاية والاهتمام فهو يعيش فيها، وتعيش فيه، يدافع عنها تارة ويؤرخ لها تارة أخرى، ويكشف زيف وخداع اليهود مرة، ويذكر أساليب التسلل الإسرائيلي للمجتمعات العربية مرة أخرى يحرض العرب والمسلمين على الذود عن حياضها، ويدعو العرب من المسلمين والمسيحيين، أن ينهضوا بواجبهم نحوها، ولا يتخاذلوا عن نصرتها بكل ما يستطيعون، فيقول: «إن ثمة دوراً تاريخياً منتظراً للمسيحيين العرب على اختلاف مرجعياتهم وكنائسهم، وأن القدس تطالبهم بخطاب موحد

(١) العالم، محمود أمين (١٩٧٠) الثقافة والثورة، دار الآداب، بيروت، ص ٢٥.

(٢) الشذرات، ج ٣، ص .

صريح الدلالة في شأنها، تماما كما تطالب المسلمين بذلك على اختلاف بلدانهم، ومذاهبهم، وتحالفاتهم»^(١).

فعلاقة العجلوني بمجتمعه لا نفهمها بأنها انخراط بمشاكل المجتمع، بل نفهمها إحساسا صادقا مفعما بالحب والرغبة في تطور مجتمعه، وعلاقة تفاعلية يتأثر بالمجتمع وأحداثه ويتأثر بالوسط الاجتماعي ويتفاعل معه مما يزيد انتماؤه وإحساسه .

«فالأديب يعيش بالضرورة في مجتمع معين، ولا يمكن لإنسان أن يعيش معلقاً في الفراغ خارج حدود الزمان والمكان، ونحن نعرف أن كل مجتمع من المجتمعات ليس مجرد كتلة صماء جامدة، ولكن كل مجتمع يعيش حركة نشيطة حية ومتطورة»^(٢).

لذلك شغلت القضية فكر العجلوني ومثلت الجزء الأكبر والأكثر في كتبه ومقالاته، فما زال عاكف على تحليل الفكر الإسرائيلي ومرجعياته وخططه وجذوره، ويفضح الممارسات الصهيونية في حق الأمة العربية والشعب الفلسطيني، ويكشف تزويرهم و تلاعبهم في المعاهدات والاتفاقيات معهم .

فكتب العجلوني عن قضية فلسطين مجموعة من المقالات التي تعد وثيقة تاريخية للقضية؛ لأنه بينها وبين الأردن في وقت من الأوقات، وبأي شكل من الأشكال .

فلسطين في معتقد العجلوني ليست قضية وطنية أو قومية أو دينية أو تاريخية بل هي كل ذلك وأكثر .

تفتحت عينا العجلوني على محنة أهل فلسطين، فهو من مواليد الصريح في محافظة إربد في التاسع من أيلول عام ثمانية وأربعين وتسعمائة وألف^(٣).

فهو ابن بيئة أدبية ودينية محافظة، ومنتمية وطنياً وقومياً، جدّه من حفظة القرآن الكريم وعمل خطيباً وإماماً لجامع القرية، وكان مهتماً في مسائل الفقيه والمدح النبوي وأما أبوه كان يعمل جندياً في الجيش الأردني في القيادة العامة للقوات المسلحة^(٤).

(١) الشذرات، ج ٣، ص ٤٥٥ .

(٢) بدر، عبد المحسن طه (١٩٨٠) حول الأديب والواقع، ط ٢، د.ن، ص ٧ .

(٣) العموش، مالك (٢٠٠٨) ابراهيم العجلوني أديبا، رسالة ماجستير، الجامعة الهاشمية، ص ١٦ .

(٤) المرجع السابق، ص ١٨ .

وتشكّل كتابات العجلوني «استجابته الداخلية لما يجري في خارجه ويدور من حوله، عن انفعالاته وتأملاته وخواطره، عن آلامه وآماله، عن آراءه الذاتية في الحياة والمجتمع»^(١).
فما غاب شوق فلسطين يوماً عن وجدان العجلوني، فهو يكوى من بعده عن معشوقته الذي لطالما حمل لها من الحب والصدق والمودة و«ذكريات تتوالى وحلم يتجدد بأن تكون لي ثمة ركعتان. لكن القدس بعيدة أبعد مما نتصور. وهي تزداد كل يوم بعدا . واحسب اننا سنودع الحياة قبل أن نستقبل وجهها الشريف»^(٢).

المطلب الثاني: الوحدة بين الأشقاء الأردنيين والفلسطينيين، ومحاربة الفتنة:

لم يفرق العجلوني يوماً بين الأردني والفلسطيني بأي شكل من الأشكال على الأرض الأردنية، وهذا دأب الأدباء والمفكرين، ونستذكر هنا أن ناصر الدين الأسد لم يفرّق بين هذين البلدين الشقيقين، وعناوين مؤلفاته خير شاهد ودليل على ذلك، نذكر منها: الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن، وكتاب الشعر الحديث في الأردن وفلسطين، ونلاحظ أن فكرة الإصرار على الجمع بين أدب الضفتين (الأردن وفلسطين) «جمع يدل على رؤية فنية، وموضوعية ترى ثمة تشابها كبيرا بين ظروف هذا الأدب ومحدداته واتجاهات مبدعيه»^(٣)، فهم لا يفصلون في حال من الأحوال بين البلدين، وذلك ما دأب المفكرون والأدباء على ادغام وتشارك الضفتين حتى في حياتهم اليومية.

ففي مقالة له بعنوان: من هو الأردني؟ يقول: «هو كل فلسطيني، بالتحديد، ممن هجروا من ديارهم، وألقوا رحالهم شرق النهر، وبنوا، ومكثوا، وعملوا، وصابروا، ورابطوا، بل كل فلسطيني في الأرض يحب أن يروى هذا الحمى، وأن يستوطنه ويحيا فيه»^(٤).

فنراه هنا لا يميّز بين الأردني والفلسطيني في الأردن، ولا يفصل بينهما في أي حال من الأحوال .

(١) الأسد، ناصر الدين (٢٠٠٨) الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن، دار الفتح، عمان - الأردن، ص ٧٩ .

(٢) الشذرات ج ١، ص ١٨٦ .

(٣) خليل، ابراهيم (٢٠٠٦) معالم الشعر الحديث في فلسطين والأردن، دار مجدلوي، ط ١، عمان - الأردن، ص ٨ .

(٤) الشذرات ج ١، ص ١٩٦ .

شغل مشروع الوحدة الوطنية حيزاً كبيراً في مقالات العجلوني، وشكّلت عنده حملاً ثقيلاً في ظل الهجمات التي تدعو إلى الفتنة والفرقة بين الأشقاء وفي مقالته المسماة (هذه الأمانة الكبرى) يقول: «لا يحق لأولئك الذي يخوضون في حديث» الأردنيين والفلسطينيين» من وراء البحار، أن يرسموا لوجداننا الوطني الموحد مساره، ولا أن يزوروا باسمه خطاباً، وأن يخولوا أنفسهم حق التشاؤم بما يريد وما لا يريد!! إنهم أنأى الخلق عن واقعنا الإنساني، بل هم في غطاء مما يزين هذا الواقع من مكارم الأخلاق التي إنما بعث رسولنا الكريم محمد صلى الله عليه وسلم ليتممها، وفي عماية مظلمة عمّا يوحد أبناء هذه البلاد من عقائد الإسلام وقيم العروبة»^(١).

ويؤكد في مقالة أخرى أن الوحدة الوطنية في الأردن «أشد قوة من أن يغمزها غامزون أو ينقض غزلها الناكثون، وهي أمانة في أعناقنا، وعهد ميثاق نسأل عنه يوم التلاق، فليكن ذلك معلوماً لأولئك الغاوين جنود إبليس أجمعين»^(٢).

فالأردنيون من كافة الأصول والمنابت أسرة صغيرة متحابّة، فلا يمكن لأحد شق وحدتهما بفعل المصاهرة والنسب بين الشعبين الأردني والفلسطيني، وبفعل العلاقات المشتركة والتاريخ المشترك والدم الواحد المشترك «فمن حقنا أن ندفع الفتنة ونيرانها عن حياتنا وحياة أبنائنا في هذا البلد العربي الأمين، وأن لا نترك لمحاريكها ومثيريها أن يدخلوا بها علينا من أبوابها التي يعرفون، أو أن يخدعونا بما يرفلون به من ثياب الناسكين أو مسح العلماء أو الخبراء المختصين»^(٣).

ومن الصور الوحدة «نجده يدافع عن حق شهدائنا الأردنيين في بقاء رفاتهم على الأرض التي اختاروها موطن لهم، مؤكداً في ذلك على معاني القومية»^(٤)، ويبيّن ذلك في مقالة له بعنوان: (ليبق شهداؤنا حيث يرقدون بسلام) يقول: «ما سمعناه عن نية - لا منطوق فيها - لنقل رفات الشهداء الأردنيين الذين سقطوا على أرض فلسطين الغالية إلى أضرحة لهم،

(١) الشذرات، ج ٣، ص ٢١٤ .

(٢) الشذرات، ج ١، ص ٢٢٥ .

(٣) الشذرات، ج ١، ص ٢١٧ .

(٤) العموش، مالك (٢٠٠٨) إبراهيم العجلوني أديباً، رسالة ماجستير، الجامعة الهاشمية، عمان - الأردن، ص ١٧٠ .

ستقام في عمان أو في غيرها من المدن، أمر يبعث على الدهشة، ويثير جملة من التساؤلات . ذلك أن عمان ليست أولى هؤلاء الشهداء الأبرار من القدس وسائر مدن فلسطين . إنهم ما يزالون في موطنهم، وعلى الثرى الذي رواه جدودهم بدمائهم، ولا ينبغي لأحد من الخلق أن يذهب في الاجتهاد في هذه المسألة وراء ما استقر ورسخ من تقاليد هذه الأمة مع شهدائها»^(١).

المطلب الثالث: تأريخ القضية الفلسطينية :

قام العجلوني بتأريخ القضية الفلسطينية في أكثر من مقالة، بعنوانين مختلفة هدفت إلى أرشفت وتثبيت تاريخ هذه القضية، ومن ذلك مقالته بعنوان: (حزيران واعتبار ذوي الأبصار) وجاء فيها: «... لقد كان في الإمكان، وبقدرات العرب الذاتية عشية الرابع حزيران لعام ١٩٦٧ أن نأخذ الوقائع مساراً مختلفاً، لولا ما كان من مكر الماكركين وغدر الغادرين، وتمزق المودات، وضعف الإيرادات . وهي أسباب تراخى الزمن بها، وألقت بجرائها، وتركم صداً السنين عليها، وما كان يمكن زوالها من أيسر سبيل»^(٢).

يناقش العجلوني في هذا المقالة أسباب ونتائج حرب ١٩٦٧ بين العرب من ناحية والعدو الصهيوني من ناحية أخرى، وأكد من خلال مقالته على أننا «لو كنا انتبهنا قبل حزيران بحزيران، أو كنا نسقنا جهودنا لعام واحد، على الأقل، قبله، لكانت النتائج غير النتائج، وكان المشهد السياسي في المشرق العربي، على غير ما هو عليه اليوم، مدعاة للألم وموطنا للاعتبار»^(٣). فهو يدعو في هذه المقالة إلى الاستعداد والتخطيط المناسب، لمواجهة العدو الصهيوني الغاشم، وبالذات أن عدونا لا يخطو أي خطوة إلا بعد دراسة وتخطيط .

وشخص العجلوني حال الأمة العربية والإسلامية عند المواجهة والحرب، بأنها تعمل بنظام الفزعات؛ أي على غير ترتيب وتنظيم واستعداد مسبق، «وأنا نحتشد في اللحظات الأخيرة قبل المواجهة، وأن احتشادنا غالباً ما يكون إعلامياً، لا عملياً واقعياً»^(٤).

ولكننا نجد في المقابل عند العدو الاسرائيلي، استعداداً مناسباً للحدث والموقف، مخططاً له من سنين طوال، «ثم لا نجدهم معنيين بشيء من الإعلان عن ذلك، إلا أن يكون

(١) الشذرات، ج ١، ص ١٩٨ .

(٢) العجلوني، ابراهيم (٢٠٠٠) الشذرات، د. ن، عمان، ج ٣، ص ٣٤٩ .

(٣) المرجع نفسه، ص ٣٤٩ .

(٤) المرجع نفسه، ص ٣٤٩ .

تخويفا لنا أو توهينا من عزائمتنا، أو إظهارا لبالغ حيرتهم واضطرابهم وخوفهم المزعوم من البحر العربي المحيط بهم من كل مكان»^(١).

وفي مقالة له بعنوان: (صفحة من تاريخ قدسنا العربية الإسلامية) يؤرخ لأهم العلماء والمشهورين في أواخر القرن الخامس الهجري، وفي ذلك يقول: «كانت القدس أواخر القرن الخامس الهجري مهوى أفئدة العلماء والتجار والمتصوفة، وكان من علمائها المشهورين الشيخ القاضي يحيى بن المفرج، والإمام الزاهد نصر بن إبراهيم النابلسي المقدسي، وأبو المعالي مجلي ابن جميع القرشي المخزومي، والشيخ أبو بكر محمد بن الوليد الطرطوشي»^(٢).

وفي مقالة أخرى بعنوان: (فلسطين عام ١٩٣٨: صورة من الماضي)، يستعرض مقالة مشهورة للأديب المصري: إبراهيم عبد القادر المازني بعنوان: فلسطين لا تقهر، في عدد أكتوبر، من مجلة الرسالة عام ١٩٣٨، يصف فيها ثورة فلسطين عام ١٩٣٨، ومما جاء فيها: «إن فلسطين لم يعد في الإمكان قهرها وإرغامها على قبول ما تقبل، ولقد استفزها إلى هذه الثورة المجيدة ظلم أريد بها، ولا مثيل له في التاريخ»^(٣).

ويعلق العجلوني متسائلا: «ماذا لو مد الله في عمر المازني ليرسم صورة فلسطين عام ٢٠٠٠، أيكون شيء قد تغير من الحقائق الفلسطينية في هذه الأعوام؟؟»

أيكون الشعب نفسه قد تغير، أم تكون القضية قد نقلت من حال إلى حال، وقد لحق جوهرها تغيير، أو تغيرت بأنموذجها التائر الأحوال؟؟»^(٤).

ولكنه بعد هذا التساؤل، وهذا التفكير، يجيب القارئ بقوله: «لقد تبدلت الأشكال، لا ريب، واتخذ الصراع أبعادا جديدة. لكن جوهر قضية فلسطين ظل كما هو وأنموذج الفلسطيني المجاهد ظل كما هو، وإن كان يلزم لإدراك ذلك، اليوم، وعي عميق سديد وبصر حديد ...»

(١) المرجع نفسه، ص ٣٤٩.

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٢٩.

(٣) المرجع نفسه، ص ٤٣٣.

(٤) المرجع نفسه، ص ٤٣٣.

أجل وإن فلسطين - على الرغم من كل شيء- لا يمكن قهرها، أو إرغامها على ما لا تريد»^(١).

ندرك في هذه المقالة أن العمل الأدبي أكثر صدقا من كتب التاريخ؛ لأن التاريخ يكتبه المنتصرون فقط، وسيكتبونه كما يخدم مخططاتهم وأهدافهم، لذلك نجد أن العمل الأدبي بوجه عام، أكثر صدقا من كتب التاريخ.

فالأدب كان ولا زال صورة حقيقية لحياة البشر في زمن معين، بعيدا عن مجلدات التاريخ، وسقطات المؤرخين الكبرى .

وفي مقالة أخرى بعنوان: (فصل لا ينسى من الجهاد الفلسطيني) يؤرخ لشخصية مقدسية نابلسية، دافعت بكل بسالة عن القضية الفلسطينية، وهو الأستاذ: محمد علي الطاهر «منذ أن كتب في جريدة (فتى العرب) البيروتية عام ١٩١٤ إلى أن توفاه الله سنة ١٩٧٤ في بيروت، يكتب صحائف مجد عزّ نظيرها، ويدفع عن أمته وشعبه ودينه، ويقدم أنموذجا للرجولة ما أشد حاجتنا اليوم إلى تنوره، وتمثل معطياته، وتقديمه إلى الأجيال أن تميد بها أحوالنا المعجبات»^(٢).

وفي موضع آخر يقول: «لقد كان محمد علي الطاهر منافحا على العروبة مدافعا عن قضاياها، وكان لجريدته (الشورى) دور بارز في التصدي لعدد كبير من الصحف اليهودية في مصر، مثل جريدة (الاتحاد الاسرائيلي) التي صدرت عام ١٩٢٤، ومجلة اسرائيل التي أصدرها إلبرت موصيري سنة ١٩٢٠، وجريدة (صوت اليهودي) وغيرها...»^(٣).

فتشيت الشخصيات الوطنية، وتخليد رموز المقاومة، وأرشفة الأحداث الوقائع، وتدوين الأسماء والأماكن المهدامة التي هُجر أهلها قسرا من أجل بناء المستوطنات، والأسرى الأبطال، بسبب مقاومتهم الاحتلال، يُعد واجبا تاريخيا على الأدباء العربيين قبل الفلسطينيين. «فأرض المعركة لا تقتصر على أرض فلسطين وحدها، وربما كانت قضية المثقف داخل الأرض المحتملة أكثر وضوحاً وأقل تعقيدا من المثقف خارج الأرض، وذلك لأنه يتبين

(١) المرجع نفسه، ص ٤٣٣ .

(٢) المرجع نفسه، ص ٤٣٤ .

(٣) المرجع نفسه، ص ٤٣٤ .

عدوه بصورة أكثر وضوحاً، وحين يتلقى الطعنة فهو يعرف اليد التي توجهها، أما المثقف خارج الأرض فحركته أكثر التواء وأقل مباشرة»^(١).

ومن أجل ذلك لا بد أن ننظر لأدب القضية الفلسطينية بأنه سلاح مقاومة وليس مجرد مكان أو حدث أو شخصيات، «ولو كانت القضية قضية أشخاص لاكتفينا بكلمة تشجيع توجهها لكل مثقف داخل الأرض المحتلة، وبالشد على يده وبإظهار تقديرنا لعمله. ولكن القضية ليست قضية أشخاص بل قضية ثورة وقضية مصير وهذا ما يفرض على كل من يدعي أو يزعم أنه مثقف أن يضع قضية الذات في مرتبة ثانوية، وأن يحاول أن يكون أميناً للثورة»^(٢).

لم يحدد العجلوني شكل السجل التاريخي حول القضية الفلسطينية بشكل معين، فتارة يؤرخ للقضية سياسياً، وتارة يؤرخ لشخصيات القضية، ونراه في مواضع أخرى يؤرخ للقضية الفلسطينية أدبياً، ففي مقالة له بعنوان: (قرن الجهاد الفلسطيني) يذكر أن «الشاعر الكبير خليل مطران قد زار فلسطين مستهل الثلاثينيات، فكتب قصيدة له عن طولكرم وأهلها، يقول:

نفديك بالمال والأرواح يا وطننا

شاعت مآثره الغرّاء في الأمم

فاسلم وعزّ بأبناء غطارفة

ما تستدّمه بهم من رفعة يَدُم

بالحزم والعزم في حل ومرتحل

وفّوك ما يقتضيه الرعي للذمم

من يستبيحك والأساد رابضة

إن الثعالب لا تدنو من الأجم»^(٣).

وفي المقابل نجد الاحتلال الصهيوني، يفعل ما في وسعه من أجل طمس الهوية الفلسطينية، وتغيب القضية عن عقول وأذهان أبنائها - وكل العرب والمسلمين أبنائها-، فإن كتابة

(١) بدر، عبد المحسن طه (١٩٨٠) حول الأديب والواقع، ط ٢، د.ن، ص ٨٠.

(٢) المرجع السابق، ص ٨٠.

(٣) المرجع نفسه، ص ٤٣٨.

المقالات، والروايات، والقصص القصيرة، والأشعار من أجل تأريخ النكبة والمقاومة وكشف ألاعيبهم، يظل السلاح القوي أمام خبث ومكر الاحتلال الغاشم .

فلا بد من العناية والاهتمام بهذه الآداب وتبني مبدعيها، لأن الأدب الفلسطيني له مهمة نبيلة تكمن في المقاومة والدفاع والصمود، أمام عدو انتهك كل معاني الإنسانية والأخلاق والضمير. فكل أديب يريد أن يكتب عن القضية الفلسطينية لابد أن يكون على يقين بأنه جزء من قضية لا تنام ولا تستسلم ولا تعرف الراحة، جزء من قضية تزداد أبعادها حدة وألم مع مر السنوات، «فكلما عمق إحساس الأديب بواقعه، كلما اتسع مجال رؤيته، وأصبح بالتالي أقدر على المساهمة في الثورة والالتحام بها»^(١) فلهذا تعتبر مهمة من يكتب في الأدب الفلسطيني مختلفة عن كل آداب العالم؛ لأنها سلاح معركة خالدة وحاسمة بين البقاء وعدمه، من أجل الإبقاء على القضية حية، ولتعريف الأجيال الجديدة بها، ومن أجل إذكاء نيران القضية في القلوب، كي لا تنطفئ ويصبح الاحتلال فعلا عاديا، ويصبح المحتل الغاصب جارا وصديقا.

المطلب الرابع: كشف المخططات المعادية:

سعى المشروع الصهيوني إلى «إلغاء ذاكرتنا التاريخية جملة وتفصيلا... وفي تدبير أن يكون وعينا سائلا يأخذ أشكال الأواني التي يصبّونه فيها في تهيئةنا، آخر المطاف، لكل ما كان خطّط له حكماء صهيون منذ عشرات السنين»^(٢). فأدرك العجلوني حجم الخطر الإسرائيلي على القضية الفلسطينية من ناحية، وعلى الأمة العربية من ناحية أخرى، فأحس بواجبه تجاه هذه القضية المقدسة فرأى أنهم «في ضوء الارتهانات والاضطرابات التي تكتنفهم غير قادرين وحدهم على تحديد خياراتهم المقدسة التي يريدون، وأنهم في حاجة ملحة إلى موقف عربي إسلامي موحد، وإلى موقف أردني على وجه الخصوص»^(٣).

فسارع إلى فضح الممارسات الإسرائيلية، وكشف المؤامرة التي يدبرها الاستعمار الغربي للعرب، وينفذها الصهاينة في أرض فلسطين، التي هدفت إلى بث سمومهم من خلال توزيع الكتب والمؤلفات مدركاً أن «الإسرائيليين يراهنون على ضعف أساليبنا التربوية فيها، أو على إمكان أن يتسللوا من خلالها إلى عقول أبنائنا الغضة ووجداناتهم المرهفة، توطئة

(١) حول الأديب والواقع، ص ٨١ .

(٢) المرجع نفسه، ج ٣، ص ٤٨٣ .

(٣) الشذرات، ج ٣، ص ٤٥٤ .

لنشوء جيل محايد، لا يعلم من الصراع العربي الإسرائيلي شيئاً»^(١).

لم ينفك الاحتلال الصهيوني ومنذ أوائل نشأة كيانه عن تزيف الحقائق، التي تعبر عن الارتباط المعنوي والمادي للفلسطينيين بأرضهم وتاريخهم، وفي سبيل ذلك وظّف كل إمكانياته، وتدخل في النظام التعليمي وحرّفه لصالح مزاعمه، وجميع الدراسات الحديثة حول اليهودية، حتى يومنا هذا، تحمل العلامات التي لا تخطئها العين، الدالة على أصلها: الخداع، مجالات اعتذارية أو عدوانية .

واعتمدوا على كثير من الخداع والكذب في تعديهم على حقوق الشعب الفلسطيني، وأهمها احتلال الفكر والإنسان من خلال وضع منهاج تعليم إسرائيلي الروح والمفردات والمضامين على العرب ٤٨، وشرقي مدينة القدس بعد احتلالها عام ٦٧، في محاولة من الكيان الغاشم وعلى رأسها وزارة المعارف وبلدية الاحتلال في القدس، للتصدي للرواية الفلسطينية وفرض الرواية الإسرائيلية مكانها، بأساليب مختلفة ووفق سياسة الترغيب والترهيب التي تتبعها .

فما زالت محاولات اليهود في تغيير الحقائق وتزيفها، وذلك من خلال «إقناع واضعي المناهج المدرسية العربية، ولا سيما التربويين الفلسطينيين، بضرورة كتابة تاريخ مختلف للصراع الإسرائيلي العربي»^(٢)، حتى يستطيعوا فرض الرواية الإسرائيلية من خلال فرض المنهاج التعليمي والتربوي الإسرائيلي والذي يحمل في طياته، مشروع تزوير التاريخ وتغيير المفاهيم وتهويد الجغرافيا والحيّز الفلسطيني، إضافة للمسميات والمصطلحات العربية والفلسطينية الخاصة بهذه المدينة، وطمس الهوية العربية لها، بغرض خلق أجيال يدينون للكيان الإسرائيلي بالولاء، ويتنكّرون لشعبهم وأمتهم، لا بل في المحصلة فرضاً للسيادة الإسرائيلية على الأراضي والقضية الفلسطينية .

ومما زاد على العجلوني الأوجاع والآلام أن هذا الجيل من العرب جاهل بالاستعمار وألعيه وجاهل بإسرائيل ولا يملك الخبرة في قتالها، وبالإضافة إلى أنه يفتقد إلى القومية والعاطفة الوطنية، وجاهل بالحياة، وإلى جانب كونه جيلاً في سن الغامرة وتحقيق الذات؛

(١) الشذرات، ج ٣، ص ٤٤٢ .

(٢) الشذرات، ج ٣، ص ٤٤٨ .

لذلك مما وصفنا به أحد القادة الإسرائيليين أننا، «عرب هذا الجيل، أمة لا تقرأ، وإن أكثر ما يكون ذلك صحة، إنما يكون إزاء الاتفاقيات والمعاهدات التي سوف تتحمل مستحقاتها أو عقابيلها الأجيال القادمة من أبنائنا وأحفادنا»^(١).

ومن أول القضايا برأي الأمير شكيب أرسلان في تخلف وتأخر المسلمين عن غيرهم، بل جعلها من أعظم أسباب تأخر المسلمين، هي: «الجهل، الذي يجعل فيهم من لا يميز بين الخمر الخَلِّ، وكذلك العلم الناقص، الذي هو أشد خطراً من الجهل؛ لأن الجاهل إذا قيض الله له مرشداً عالماً أطاعه ولم يتفلسف عليه، فأما صاحب العلم الناقص فهو لا يدري ولا يقتنع بأنه لا يدري»^(٢).

وفي محور آخر يرى العجلوني «أن صراعنا مع الصهيونية طويل ومستمر، وهو لن ينتهي في جيلنا هذا أو في جيل قادم، فلا أقل من معرفة كيف يفكر هؤلاء الناس، وكيف يدبرون وكيف يقررون، ولا أقل من تجاوز الظن والتخمين في شأنهم»^(٣). فاهتمام الإسرائيليين ونظرتهم الشاملة، ومراهنتها الدائمة على الاحتمالات كلها وقربها وبعيدها وممكنها أمكنها لا «تعتقد صلحاً نهائياً حقيقياً مع أي طرف من الأطراف إلا إذا اطمأنت الى توافر الشروط الأمنية التالية: تدمير البنية العسكرية العربية تدميراً كاملاً، وإحياء الفتن الطائفية وضمان استمرارها، وخلق نخب ثقافية عربية ملائمة للشرق الأوسط الجديد القادم، ودفع هذه النخب للسيطرة على الدوائر الأكاديمية والإعلامية في العالم العربي، الأكثر أهمية جعل الإسلام صورة فلوكلورية وأيقونة تراثية على نحو يكون معه غائباً حاضراً في آن واحد»^(٤).

فعمل العجلوني على «تبسيط واقع الصراع العربي الإسرائيلي أمام القارئ العادي غير المثقف، خدمة للرؤية التي يريد لسائر قومه أن يعرفوها»^(٥). فالصهيونية «تتعامل مع العرب بصفة أنهم أمة واحدة، ويتعامل العرب مع إسرائيل بصفة أنهم مخترعات وحوارات»^(٦).

(١) الشذرات، ج ٣، ص ٤٨٠.

(٢) أرسلان، شكيب (٢٠١٥) لماذا تأخر المسلمون؟ ولماذا تقدم غيرهم؟، وزارة الثقافة والفنون والتراث، دولة قطر، العدد ٨٧، مجلة الدوحة، ص ٥٣.

(٣) الشذرات، ج ١، ص ١٠٠.

(٤) الشذرات، ج ١، ص ١٠٢.

(٥) العموش، مالك (٢٠٠٨) إبراهيم العجلوني أدبيا، ص ١٧٠.

(٦) الشذرات، ج ١، ص ١٠١.

وتسعى المخططات الصهيونية إلى خلق إنسان عربي خاضع ومغيب عن الهوية والقضية، يتمشى مع مشروعاتهم الاستيطاني، ولا تكمن أهدافهم في تحويلهم إلى مواطنين اسرائيليين، وإنما تحويلهم إلى «مجموعة مختلفة ومشوهة العادات والقيم واللغة والثقافة»^(١).

وفي الوقت الذي تسعى اسرائيل جاهدة حذرة في خدمة مخططاتها وأهدافها، وتتابع بحرص واهتمام، كل شاردة وواردة ولا تستثني في ذلك أي عنصر مهما صغر أو قل، ومن ذلك أنها «تضع في حسابها مشايخ قم والنجف الأشرف، وقدرات باكستان النووية،...، وتدريبات الشبيبة السورية، ومظاهرات الطلبة المصريين، وآخر تصريحات مسلمي الجزائر، وآخر مقالة لهذا الكاتب أو ذلك، وعدد المصلين في مساجد القدس، وعند المجالات العروبية والإسلامية في الأردن، ومستوى الأفلام السينمائية التي تعرض في العواصم العربية»^(٢).

في المقابل نجد العرب ما زالوا يتعاملون مع القضية الفلسطينية بكل هدوء ودم بارد، وكأن الأمر لا يهمهم ولا يعينهم، وكأنه «لا علم لنا بشيء من ذلك أبداً، ونهرع إلى موتنا المبجل على نحو غريزي»^(٣).

المطلب الخامس: الأسرى الفلسطينيون... والسلام اليهودي:

لم يغفل العجلوني في مقالاته عن الشباب الفلسطيني الأسرى في سجون الاحتلال، وما يذوقونه من ويلات وعذابات، «الذين عصبت أعينهم، وكبّلت أيديهم، وسيقوا زمرا إلى معتقلات السلام الإسرائيلي المدجج، هؤلاء لا غيرهم، هم الذين يفترض بهم صنع سلام الأجيال، والدفاع عنه، وضمأن استمراره»^(٤).

فلا يحق لأي شخص كان، وتحت أي مسمى وصفة، أن يتكلم باسم هؤلاء الأسرى؛ وحدهم من يدرك معنى السلام، ووحدهم من يشعر بهذا المعنى، «وهؤلاء، قبل غيرهم هم الذين ينبغي أن يذوقوا طعم السلام، ويستشعروا معانيه، ويتفياًوا ظلاله، إذا كان هذا السلام

(١) عوض، ياسمين (٢٠١٩) الفلسطينيون وسياسات كّي الوعي، متدى العودة الشبابي بديل / المركز الفلسطيني لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، مجلة الكترونية، ص ١٣.

(٢) الشذرات، ج ١، ص ١٠٢.

(٣) الشذرات، ج ١، ص ١٠٣.

(٤) الشذرات، ج ١، ص ١١٣.

صادقا، فالسلام الذي لا يعرفه هؤلاء هم اسم على غير مسمى، أو هو أي شيء ممكن، إلا السلام»^(١).

ويرى العجلوني أنه لن يكون هناك سلام حقيقي من وجهة نظره مع الإسرائيليين إلا بتقديم «الحقوق الفلسطينية والعربية، وهي حقوق تاريخية لا يمكن القفز عنها بالقرارات الغامضة القابلة لشتى التأويلات»^(٢).

«من أجل هذا كله نؤمن أنه ما لم يتوفر للعرب قوة رادعة ذات شأن، فإنهم لن يقدرُوا لا على حرب ولا على سلام . وأول ذلك أن يوحدوا صفوفهم، وأن يسيروا خلف راية واحدة»^(٣).

يفهم العجلوني أن السلام مع أي قوة أو طرف آخر نقبله، ونسعى إليه بقوة وعزم، بل هو مطلب وغاية لكل سكان الأرض، ولنا في الماضي الجميل، خير شاهد ومثل، «فلقد عقدت دولة الإسلام الأولى أكثر من صلح، فلم يترتب على ذلك أن طوب المسلمون بالتنازل عن عقائدهم أو ألزموا ثقافة السلام من أي نوع أو مناهج سلام أو اقتصاد سلام؛ بل ظلوا هم المسلمين الذين عرفهم التاريخ»^(٤).

أما السلام الذي تسعى إليه إسرائيل والمشروع الصهيوني، فهو مرفوض جملة وتفصيلا، فالسلام من وجهة نظرهم خطة خبيثة لمصادرة البلاد والعباد، فهي «أعدت (توكيدا منها لرغبتها في السلام مع العرب) خطة لمصادرة أجزاء من ساحة المسجد الأقصى»^(٥). فمعاهدة السلام التي يدعون إليها، ما هي إلا كذب وخداع من ضمن مسلسل الخداع والدجل، فهم يسعون إلى سلام يحقق الأمن لدولتهم، ويحقق أهدافهم ومخططاتهم المخفية، «السلام مع الفلسطينيين هو الطريق لأن إسرائيل، وتحقيق الأهداف الإسرائيلية»^(٦).

لذلك جوهر الموضوع أن «التحالف الخفي/ المعلن بين اللوبي الصهيوني في الكونغرس

(١) المرجع السابق، ص ١١٣ .

(٢) الشذرات، ج ١، ص ١٢٨ .

(٣) الشذرات، ج ١، ص ٩٨ .

(٤) الشذرات، ج ٣، ص ٤٧٢ .

(٥) الشذرات، ج ٣، ص ٤٤٦ .

(٦) الشذرات، ج ٣، ص ٤٩٧ .

الأمريكي، وبين الليكود الإسرائيلي، يسعى إلى نسف ما يسمى بعملية السلام فيما يسمونه الشرق الأوسط، ونسميه المشرق العربي»^(١).

المطلب السادس: قضية التطبيع مع الغاصب المحتل:

ومن القضايا التي شغلت عقل المفكر العربي، وباتت موضعاً مؤرقاً وشائكاً لا يغوص في غوره إلا من لديه الخبرة والمعرفة الكافية في تناول هذه الموضوعات الشائكة والحدرة حتى يستطيع أن يقتحم غمار الموضوع، قضية التطبيع الذي أفرد لها مقالة خاصة باسم مسألة التطبيع .

ولكن العجلوني لم يخض في مفهوم التطبيع من حيث تعريفه بألفاظ قطعية الدلالة، وإنما رسم خطوطاً عريضة تمس الموضوع بصله، ووصف من يقوم بالتطبيع من العدو الصهيوني بأنه «يكون حرباً على أمته ودينها وأخلاقها، ومن يحتكم إلى مرجعية مفهومية واعتقادية خارج المسار الحي لوجودها، هو بالضرورة غارق في التطبيع مع أعدائها، سواء أكانوا منظورين أم غير منظورين»^(٢).

الصهيونية عدوّ للعرب والمسلمين، والتطبيع معها مرفوض بجميع أشكاله، مادامت إسرائيل مغتصبة لأرض فلسطين، ومادامت تهدد مصير أمتنا، وتعمل على تدمير البلاد والعباد، فلا يمكن التطبيع معها تحت الذرائع التي تقدم بين الحين والآخر ما لم تعد الأرض لأصحابها، كي تعود إلى حالتها الطبيعية، «وهي اجتهادات تعود بالتطبيع إلى معنى «الطبيعة» أي إلى أن تعود الأمور إلى طبيعتها أو إلى سابق عهدها أو إلى أحوالها الطبيعية التي عرفتها أزماناً وأزماناً»^(٣).

فإذا كان ولا بد من التطبيع أي أن تعود الأمور إلى طبيعتها أو إلى سابق عهدها أو إلى أحوالها الطبيعية التي عرفتها، فالأولى أن يكون «التطبيع العربي العربي هو أول ما نريده، اليوم قبل غد، وما نسعى إليه حتى يكون لنا مكان تحت شمس هذا الزمان، وكل زمان عودة

(١) الشذرات، ج ٣، ص ٤٥٢.

(٢) الشذرات، ج ١، ص ١٠٦.

(٣) الشذرات، ج ١، ص ١١٥.

جميع اللاجئين وإقامة الدولة الفلسطينية، أما التطبيع فهو ما نريده بيننا نحن، أبناء العرب، وبيننا أنفسنا»^(١).

فالأولى فينا نحن العرب والمسلمين أن نتحد مع بعضنا، وتظافر جهودنا ضد عدو الإنسانية، الذي لا يميّز بين بلد وغيره، فنحن في نظره عدوّ واحد، فلأجل ذلك لا بد أن نتصالح فيما بيننا أولاً، وتشابك أيدينا، ونتفق أن الصهيونية عدو لكل العرب والمسلمين .

المطلب السابع : اليهود بين القديم والحديث :

تحدّث العجلوني عن الوجود اليهودي في مقالاته، من حيث أنهم أصحاب دين في العالم، فيرى أنه «مقبول، ومنظور إليه بمنظار الإنسانية، ونحن المسلمين نؤمن بكرامة الإنسان من حيث هو إنسان، بل إن لنا تجربة تاريخية مع اليهود تؤكد أنهم عاشوا بين ظهرانينا، وكانوا جزءاً من مجتمعنا»^(٢) ولكن الحديث عن الوجود الصهيوني فمسألة أخرى مختلفة . وهي محمولة في أصلها وفصلها على معنى الاقتحام المدمج «المرفوض» لعالمنا العربي الإسلامي في لحظة ضعف تاريخية أما لماذا كان هذا الاقتحام مرفوضاً، فلأن منطق الحياة يرفضه، حتى لدى الكائنات الدنيا»^(٣).

والعجلوني يرفض الوجود والاقتحام اليهودي لبلادنا ويرى فيها استغلالاً لثروات الأمة العربية والإسلامية، واستغلالاً للضعف الذي خيم وأطبق على الأمة .

وفي مقالة أخرى عالج علاقة اليهود مع المسلمين القدامى وبالذات عن مشاهيرهم من الفلاسفة والقادة والمفكرين فيقول « كان موسى بن ميمون الفيلسوف اليهودي الأشهر صديقاً للقاضي الفاضل وطيباً خاصاً للناصر صلاح الدين الأيوبي، وشهدت الدولة الأيوبية عدداً من الوزراء والمتنفذين اليهود . وكان لليهود حضور مشهود في حواضر الاسلام كلها، لاسيما الأندلس ومدائنها، لكن ذلك كله كان ونحن مالكون لأموالنا، قادرون عليها، غير مهزومين، ولا مسلوبين، ولا ذاهلين»^(٤)

(١) الشذرات، ج ٣، ص ٤٧٣ .

(٢) الشذرات، ج ٣، ص ٤٧٥ .

(٣) الشذرات، ج ٣، ص ٤٧٥ .

(٤) الشذرات، ج ١، ص ١٠٧ .

فاليهود عاشوا في المجتمعات العربية والإسلامية، وكان لهم حظ وافر في وظائف الدولة وأعمالها، في الوقت الذي كانت السيادة والقوة للمسلمين، وكان لهم حضور في عمر الدولة الإسلامية على مر العصور، ولم يكن هناك أي مشكلة في الحوار، «وكنا نحن الساعين إليه، تجاوزا لكل اختلاف بين بني البشر»^(١).

واليهود القدامى انبهروا واندھشوا بالعقل الإسلامي والعربي على مر العصور وقد كان «يهود الأندلس تلامذة في مدارس الفكر والاعتقاد الإسلامية»^(٢).

ويرصد العجلوني صورا في كذا مقالة يظهر فيها مدى تأثر وانبهار اليهود القدامى بالعقل والفكر العربي الإسلامي، ومن ذلك: «كان اسحق البلاك متخصصا في تراث الغزالي، وقد نقل كتبه (مقاصد الفلاسفة، وتهافت الفلاسفة، ميزان العمل، المنقذ من الضلال) إلى العبرية، وكان للغزالي تأثيره البالغ أيضا في موسى بن نحمان، وهلل بن شموئيل، ولفي بن جرسون الذين ألفوا على التوالي كتبهم: (شريعة الانسان، وجزاء الروح، والجهاد في سبيل الله)»^(٣).

ويقول في موضع آخر: «أما نحاة اليهود فقد انتهجوا نهج النحاة العرب، على نحو لم تخرج فيه، مثلا مصطلحات كتاب اللمع لابن جناح اليهودي، عن أن تكون انعكاسا أليا لكتاب سيبويه»^(٤).

و«تأثر سبينوزا في نقد التوراة بكتاب (الفصل في الملل والنحل) لابن حزم الاندلسي، ويونس بن ميمون الذي تتلمذ على ابن رشد وظل ثلاثة عشر عاما يقرأ كتبه»^(٥).

لن يسعنا المقام هنا في تتبع أشكال التأثير اليهودي بالعرب القدامى، والتلمذة على علماء الاسلام فقها وكلاما ولغة وفلسفة وأدبا وشعرا، ولكن ما يعيننا هنا «أن اليهود في عهدهم ذلك كانوا مبهورين بالعقل الإسلامي، وإننا لن نعدم من كان يستشعر منهم ما يستشعره بعضنا اليوم من عجز أمام تطور العلوم في إسرائيل وبلوغها مرحلة متقدمة . وهو أمر يظهرنا على

(١) الشذرات، ج ١، ص ١٠٨ .

(٢) الشذرات، ج ١، ص ١١٦ .

(٣) الشذرات، ج ١، ص ١١٦ .

(٤) الشذرات، ج ١، ص ١١٧ .

(٥) الشذرات، ج ١، ص ١١٨ .

أن ثبات الحال من المحال، وعلى أن الأيام دول، وعلى أن ما نراه اليوم بعيدا قد يكون في متناول العزمات والإرادات القوية بعد حين. على أننا أمة لا يصلح آخرها إلا بما صلح به اولها»^(١).

المطلب الثامن: أشكال المقاومة:

أكد العجلوني في مقالاته أن أشكال المقاومة مختلفة ومتنوعة، فمنها ما يكون بالسلح، ومنها ما يكون بالسياسة، وأخرى تكون بالإعلام الممنهج؛ فالمقاومة في معناها الواسع «المقاومة على سبيل الرفض، وعلى صعيد التمسك الصلب بالجزور والمواقف»^(٢) فلا تقل أهمية الكلمة عن أهمية السلح والبندقية، «من أجل ذلك صار لزاماً البحث في إقامة درس خاص للمفاوضين العرب في «علم الدلالة» وفي كيفية التفاوض، وفي ترجمة الاتفاقيات والتحقق من تطابق معانيها في أذهاننا وأذهان الإسرائيليين في آن»^(٣)، وبالذات مع العدو الصهيوني الذي يعتمد على استراتيجية التلاعب والكذب والخداع في جميع أفعاله واتفاقياته، فلا بد من التحوط والحذر من أن يخدعونا بمعسول الكلام، وهي مهمة صعبة لا بد من التصدي لها.

والمطلع على الاتفاقيات والمعاهدات بين العرب واليهود، يلاحظ أن: «جميع اتفاقيات السلام القائمة - أو المعطلة - بيننا وبين إسرائيل هي ذلك النوع الذي يشتمل في داخله على أسباب انتقاضه، وإن فيها بنودا تشبه أن تكون ألغاما مؤقتة - وعلى مراحل - لنسفها جملة وتفصيلا. ناهيك فيها ألعابا لغوية ملتبسة بالدلالات، متحولة المعاني ما بين اجتماع واجتماع، أو الاستراحة القصيرة ما بين جلسة تفاوض وأخرى»^(٤).

وهذا ما يتكأ ويعتمد عليه فكر العدو الصهيوني، بأننا لا نقرأ ولا نهتم ببنود الاتفاقيات والمعاهدات، بأننا «عرب هذا الجيل، أمة لا نقرأ، وإن أكثر ما يكون ذلك صحة، إنما يكون

(١) الشذرات، ج ١، ص ١١٧ .

(٢) كنفاني، غسان (١٩٦٨) الأدب الفلسطيني المقاوم، تحت الاحتلال ١٩٤٨-١٩٦٨، ط ١، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ص ١٠ .

(٣) الشذرات، ج ٣، ص ٤٧٩ .

(٤) الشذرات، ج ٣، ص ٤٧٩ .

إزاء الاتفاقيات والمعاهدات التي سوف تتحمل مستحققاتها أو عقابيلها الأجيال القادمة من أبنائنا وأحفادنا»^(١).

وتفادياً لأي مشكلة ربما نقع فيها ولأخذ الحيطة والحذر كان لزاماً على المفاوضين العرب أن يكونوا على دراية تامة في الملف السياسي، وبالذات ما يخص علم الدلالة وعلم الترجمة، والتحقق من صحة وتطابق المعاني بيننا وبينهم .

ونادى العجلوني في أحد مقالاته «بتأسيس جمعية عربية منه، جمعية عربية متخصصة في دراسات التوراة والتلمود وبإحياء ذلك الفرع من الدراسات الدينية المقارنة التي اهتم بها أسلافنا العظام مثل ابن تيمية وابن حزم والشهرستاني، وباستكمال ما بدأه بعض أعلامنا في الأزمنة الحديثة مثل محمد عبد الله دراز والعقاد وغيرهما، فكل ذلك، مجتمعاً، كفيل بإنارة مساحة كبيرة من الخلفية التي يصدر عنها الإسرائيليون فيما يتركون ويدعون ويرمون وينقضون، وهو جدير باهتمامنا إن كنا قلقين حقاً على مستقبل أولادنا وأحفادنا»^(٢).

الفكرة تقاوم بالفكرة، ومن هذا المنطلق، وحتى نتعرف على عدونا معرفة دقيقة بتاريخه، وعقائده، ومشاكله، وأحزابه، نادى العجلوني «بتدريس مادة (المجتمع اليهودي) في المعاهد والمدارس العربية»^(٣).

بل نادى كذلك في موطن آخر «بتوجيه اهتمام طلبة الدراسات العليا إلى قضايا بعينها في التاريخ اليهودي، وإلى المرتكزات النفسية التي تعطي للقرار العسكري الإسرائيلي مبرراته عند اعدائنا ومن يظاهرونهم، وإلى ما شابه ذلك من أبحاث»^(٤).

المطلب التاسع: الشعب المختار، والهيكل المزعوم:

عمل العجلوني على توضيح ومناقشة قضية الشعب المختار، فذكر في مقالاته: «إن محاولة إثبات الشعب اليهودي وتفوقه على حساب العقل والمنطق السليم والتحدث في هوس وجنون عن عظمة الأمة اليهودية، هي الوجه الآخر لما نلمسه في أيامنا هذه لدى

(١) الشذرات، ج ٣، ص ٤٨٠.

(٢) الشذرات، ج ٣، ص ٤٦٩.

(٣) الشذرات، ج ١، ص ١٠١.

(٤) الشذرات، ج ١، ص ١٠١.

زعامات اسرائيل من غرور وعنجهية وتناس لحقائق التاريخ...، وأن الحق يمتلك قوته الذاتية الكفيلة بدحر كل الأباطيل»^(١).

إن فكرة شعب الله المختار مفهوم سياسي محض ابتكره اليهود لتشجيع وحض اليهود على السعي الدؤوب للسيطرة على العالم، وهذا المفهوم أحد الأسس الدينية التلمودية التي يعتبرها اليهود دستوراً لهم في الحياة^(٢). والحق أن الأمم لا تتفاضل بأشكالها وأبدانها، ولكنها تتمايز وتتفاضل بفكرها وأخلاقها ونتائجها.

وما زال العجلوني عاملاً مجتهداً في كشف مكر وخديعة الأساليب والمخططات والمحاولات اليهودية، لمصادرة المسجد الأقصى تحت حجة بحثهم عن أنقاض هيكل سليمان، فهم «لا يخطون خطوة، ولا يتخذون قراراً، ولا يصرحون بشيء أبداً، إلا يتدبروا ذلك كله، ويقبلوه على وجوهه كلها»^(٣)، فلذلك «أعدت إسرائيل خطة لمصادرة أجزاء من ساحة المسجد الأقصى، وذلك توطئة لما سيكون بعدئذٍ من بحثها عن أنقاض هيكل سليمان الذي ثبت لدى الباحثين أنه كان حلمًا يهودياً»^(٤).

فاليهود ما جاؤوا إلى فلسطين من أجل البحث عن أرض يستوطنوها، وبلد يؤون إليه، وإنما جاؤوا لعقيدة صهيونية، ونبوءة توراتية يسعون لتحقيقها، والسيطرة على القدس، والتي أسموها: أرض الميعاد، وبعدها يهدمون المسجد الأقصى وينون هيكلهم المزعوم، وبعد هذا البناء ينتظرون خروج مسيحتهم المنتظر، ويحكم فيهم بالشرعية اليهودية.

فقضية بناء الهيكل لم يعد حلماً كما ذكره العجلوني قبل عشرين عاماً، بل إن الصهاينة قد سعوا بخطوات عملية مكررة لتحقيق بناء الهيكل، ومن ذلك العمل على تهويد القدس وتغيير معالمها، وهدم المعالم العربية والإسلامية، وبناء المستوطنات والآثار اليهودية، وأعمال الحفر المستمرة؛ تمهيداً لبناء الهيكل المزعوم، «على أن نتائج البحث والحفر تذهب في اتجاه مضاد لرغبات الحالمين، وتؤكد طروء العبرانيين على أرض كنعان وعلى عاصمة فلسطين العربية أورسالم»^(٥).

(١) الشذرات، ج ١، ص ١٠٥.

(٢) انظر: كتاب الأساطير المؤسسة للسياسة الإسرائيلية، روجيه جارودي.

(٣) الشذرات، ج ١، ص ١٠٣.

(٤) الشذرات، ج ٣، ص ٤٤٦.

(٥) الشذرات، ج ٣، ص ٤٤٧.

المطلب العاشر: العبث في المناهج الدراسية لخدمة مصالحهم:

أشار العجلوني في مقالاته، عن قضية خطيرة تتعلق في كل بيت عربي، ولا بد من الانتباه «إلى أن مناهج الأكاديميات العربية قاطبة لا تكاد تخرج قيد أنملة عن تلك المناهج الغربية»^(١) ونحن لا نقول أننا نمانع الاستفادة من المناهج الغربية إلا أن «المثقف العربي مدعو للاستفادة من تجاربهم ومحاولاتهم ومناهجهم ولكنه لا يستطيع الاستسلام لثقافتهم وتبنيها»^(٢).

لكن اليهود يفهمون جيدا، ويدركون كيف تدار اللعبة، ويعلمون أن الحكم العسكري بكافة بنوده، والجيش بمختلف أسلحته، لا يستطيعان وحدهما تحقيق كافة أهداف الحركة الصهيونية، فلا بد إذن من طريقة أخرى تعتمد على «الاقناع المستند إلى العقل، والمنطق، لتعمل إلى جانب تلك الوسائل، لذلك وضعت إسرائيل لها سياسة تعليمية تنبع من تعاليم الحركة الصهيونية»^(٣).

فلذلك «إذا صعب عليهم أن يجبروا الدول العربية المحيطة على تغيير مناهجها الدراسية على نحو «تتموضع» فيه إسرائيل في وعي ووجدان الأجيال الجديدة، فإنهم، ولأكثر من سبب، سيقومون بالمساومة الشديدة على ذلك، أو على شيء يرضيهم منه، وسيُسخرّون دوائر أكاديمية، غربية وشرقية، وأقلاماً، أوروبية وأمريكية و(عربية!) لكي يتم إخراج ذلك في إطار من العقلانية والموضوعية والمستقبلية التي يتطلبها جميعا الشرق الأوسط الجديد»^(٤).

الخاتمة:

الأديب له عين تكشف الغطاء عن روح الأمة، ويد تربط بين أجزاء شخصيتها، وهذا لا يتحقق إلا بتوفر أدباء ناضجين مسؤولين واعين لقضايا أمتهم ومؤمنين بمعالجتها .

والكاتب والمفكر الأردني الأستاذ إبراهيم العجلوني من الأدباء الذين ساهموا في توعية المجتمع العربي والأردني بوجه الخصوص في خطر الصهيونية ومخططاتها الهدامة،

(١) الشذرات، ج ١، ص ١٢٢ .

(٢) بدر، عبد المحسن طه (١٩٨٠) حول الأديب والواقع، ط ٢، د.ن، ص ١٣ .

(٣) عبد المجيد، ردينة (٢٠١٢) سياسة إسرائيل التعليمية تجاه العرب في فلسطين المحتلة، ط ١، دار المأمون للنشر والتوزيع، عمان -الأردن، ص ٢٦٦ .

(٤) الشذرات، ج ٣، ص ٤٤٩ .

وتجلى اهتمامه بقضية فلسطين من خلال مقالاته ومؤلفاته التي كان ينشرها في الصحف والمجلات، فشكّلت مقالاته «استجابته داخلية لما يجري في خارجه ويدور من حوله، عن انفعالاته وتأملاته وخواتمه، عن آلامه وآماله، عن آراءه الذاتية في الحياة والمجتمع»^(١).

ومثّلت القضية الجزء الأكبر والأكثر في مقالات العجلوني، وما زال عاكفا على تحليل الفكر الإسرائيلي ومرجعياته وخططه وجذوره، ويفضح الممارسات الصهيونية في حق الأمة العربية والشعب الفلسطيني، ويكشف تزويرهم وتلاعبهم في المعاهدات والاتفاقيات معهم. فأعمل قلمه في خدمة هذه القضية المقدسة: قضية فلسطين، فمن ناحية يكشف عن حبه وشوقه وذكرياته لهذه الأرض الطيبة، ومن ناحية أخرى يدعو إلى الوحدة بين الأشقاء الأردنيين والفلسطينيين، ومحاربة كل دعوة من شأنها شق الصف وإثارة الفتنة، وتوحيد الكلمة بين المسلمين والمسيحيين ضد العدو الإسرائيلي، ونراه يعمل جاهدا على تأريخ القضية الفلسطينية، وأرشفة أهم الأحداث والشخصيات والأماكن، ولم يبخل قلمه في فضح الخداع والممارسات الإسرائيلية في حق الشعب الفلسطيني، وكشف المؤامرة التي يدبرها الاستعمار الغربي للأمة العربية والإسلامية سواء، ودعا العرب إلى معرفة كيف يفكر الكيان الصهيوني، وكيف يدبرون وكيف يقررون من خلال تأسيس المعاهد التي تعنى بالثقافة اليهودية، تدريسها في المدارس والمعاهد والجامعات، وتشجيع طلبة الدراسات العليا بالبحث في قضاياهم وتاريخهم وأهم أفكارهم الحساسة، وتعلّم التلمود وما يحويه من أفكار وتعاليم .

وبين العجلوني أن الأسرى الفلسطينيين هم وحدهم من يقبلون بالسلام أو يرفضونه، والسلام الذي لا يكون فيه استرجاع لحقوق الفلسطينيين فهو غير سلام، وناقش مسألة التطبيع مع العدو الإسرائيلي من كذا ناحية والهيكل المزعوم، والشعب المختار، وفرّق بين الوجود اليهودي الذين يعيشون فيه على الأرض العربية بهدوء وسلام، وبين الوجود الصهيوني المدجج المرفوض لعالمنا العربي الإسلامي في لحظة ضعف تاريخية، ورصد العجلوني في أكثر من موضع، مدى تأثر وانبهار اليهود القدامى بالعقل والفكر العربي الإسلامي، فاليهود

(١) الأسد، ناصر الدين (٢٠٠٨) الاتجاهات الأدبية الحديثة في فلسطين والأردن، دار الفتح، عمان / الأردن، ص ٧٩ .

عاشوا في المجتمعات العربية والإسلامية، وكانوا لهم حظ وافر في وظائف الدولة وأعمالها، في الوقت الذي كانت السيادة والقوة للمسلمين، وكان لهم حضور في عمر الدولة الإسلامية على مر العصور، وكشف مؤامرة العبث في المناهج المدرسية لطمس الهوية الفلسطينية، ويدرك العجلوني، أن قادة اليهود يعلمون أن الحكم العسكري بنوده كافة، والجيش بمختلف أسلحته، لا يستطيعان وحدهما تحقيق أهداف الحركة الصهيونية، فلا بد إذن من طريقة أخرى تعتمد على الاقناع المستند إلى العقل، والمنطق، لتعمل إلى جانب تلك الوسائل، لذلك وضعت إسرائيل لها سياسة تعليمية تنبع من تعاليم الحركة الصهيونية.

وبعد ...

هي محاولة متواضعة لاستخراج هذه الدرر من أعماقها، وبيانها للناس بصورة واضحة جالية ...

هو جهد متواضع لضم مشاركتي لمشاركات الأدباء والمفكرين من قبلي لهذه القضية المقدسة ...

والله ولي التوفيق

اللُّغَةُ فِي شِعْرِ إِبرَاهِيمَ العِجْلُونِي

مُعْتَصِمُ عبد القادر رستم الندّاف

والدكتورة إيمان محمد ربيع

مُقدمة

لا شكَّ بأنَّ تفكيك اللُّغة، وإعادة صياغتها وفق رؤية جماليّة تُعد سمةً واضحة من سمات الحداثة الشعريّة، التي تجعل القصيدة جسداً واحداً تتحمّل في طيّاتها دلالات فكريّة لتصور جديد، فتشكيل اللُّغة يقوم على ربط العلاقات بين العناصر ربطاً وثيقاً، وربط الدلالات بالسياق وكأنّه جسر واحد يعبر من خلاله المُتلقي وصولاً إلى ذروة العمل الإبداعي.

وحين تجتمع الأصالة والحداثة في العمل الفنّي، فإنّه سرعان ما يتحوّل إلى مُناجاة تمتلئ منها الصدور، ويُمكن من خلالها رُصد درجة عالية من الأصالة في التجربة والصوت القوي فهناك شاعرٌ قادرٌ على الغوص في أعماقه بصورة تُشفي الوجدان، وتُبهِج القلوب ويشتعِل منها الفكر، وهذا لا يتحقّق إلاّ أن يكون الشاعر مُبدعاً يملك من الإحساس المُرهف والإبداع الفنّي ما يملك، شاعرٌ يتحلّى بالإنسانيّة ليجعله قادراً على البوح بما يجول بخاطره.

حيثُ أنّ التّشكيلات اللُّغوية هي من تُسهّم في الكشف عن الدلالات في النّص التي يُبهِها الشّاعر؛ فاللُّغة هي حامل الرؤية مُنشطة للمُتلقي، والنّص بما يحمله من كلمات وتراكيب، لا بدّ بأن يحمل مضامين دالّة تدعو القارئ من خلاله إلى الغوص في أعماق النّص مُحاوِراً تلك الكلمات والدلالات، ساعياً بها للكشف عن تلك المخبوءات رغبةً منه لإزالة اللثام وكشف جماليّات العمل الفنّي فيها؛ فالصورة واللُّغة لهما دورٌ هامٌّ في تلك العمليّة.

أولاً: سيرة الشّاعر وحياته.

هو: إبراهيم بن خليل بن إبراهيم بن خليل العجلوني، وُلِدَ في بلدة الصريح — في محافظة اربد والتي تقع في شمال المملكة الأردنيّة الهاشميّة — في التاسع من أيلول عام ١٩٤٨ م. وعاش مُنذُ الثالثة من عُمره في عمّان العاصمة الأردنيّة، وأُنهي دراسته الثانويّة فيها، وقد حَصَلَ على الدّرجة الجامعيّة الأولى في الأدب العربي من جامعة بيروت العربيّة سنة ١٩٧٦ م. ويعود لقب العجلوني على جده الثالث وهو: إبراهيم بن تركي بن عثمان بن أحمد الشايب الذي لُقّب بالعجلوني^(١).

حيث يُعتبر إبراهيم العجلوني من الكتّاب الأردنيين الذي يُمكن القول أنّه اتّصف بالشموليّة، والتنوّع في نتاجه الأدبي؛ فهو من الأدباء والكتّاب المتعددين فالعجلوني؛ شاعرٌ، وروائيٌّ، وقاصٌّ، وصحفيٌّ، ومسرحيٌّ، وكاتبٌ، وباحثٌ، فلم يستقر على جنس أدبيّ مُعين، ولم يتصف بأسلوب خاص، فقد كان ينتمي إلى ذلك الأديب المُتنوّع الذي لا يُعتمد إلى جنس أدبي واحد، ونهج مُكرر ونجد ذلك جليّاً من خلال إصداراته المُتعددة، والمُتنوعة التي لطالما نهجت التّغيير والتّشكيل والتنوّع في نتاجه الأدبي^(٢).

ثانياً: مفهوم اللّغة لغة.

لغا: اللّغو واللّغا: السّقط وما لا يُعتدّ به من كلام وغيره ولا يُحصَل منه على فائدة ولا نفع. التهذيب: اللّغو واللّغا واللّغوي ما كان من كلام غير معقود عليه. وقالوا كلُّ الأولاد لغاً أي لغواً إلاّ أولاد الإبل فإنها لا تُلغى، قال: قلت وكيف ذلك؟ قال: لأنك إذا اشتريت شاة أو وليدة معها ولد فهو تبع لها لا ثمن له مسمى إلاّ أولاد الإبل. واللّغة: اللّسن، وحَدّها أنها أصوات يُعبّر بها كل قوم عن أغراضهم وهي فُعلةٌ من لغوت أي تكلمت، أصلها لغوة ككرة

(١) انظر، إبراهيم العجلوني، الشذرات، الجزء الثاني، دائرة المكتبة الوطنيّة، عمان، الأردن، سنة ١٩٩٨ م، صفحة ٢٢٣.

(٢) انظر، يحيى القيسي، كتاب عمان - حوارات ثقافية في الرواية والنقد والفكر والفلسفة، المؤسسة الصحفيّة الأردنيّة، عمان، العدد الأول، بلا تاريخ، صفحة ٢٣٢.

وُقْلَةٌ وَثْبَةٌ، كلها لاماتها واوات^(١).

- مفهوم اللُّغة اصطلاحاً.

لَمْ تَنْلِ اللُّغة تعريفًا واضحًا ومُحددًا ومُلائمًا من قبل العلماء والمُتخصصين عبر العصور، ويمكن القول بأنَّ ابن جني استطاع تعريف اللُّغة بأكثر شموليّة وشهرة واسعة والذي وجدَ الاهتمام من علماء اللُّغة وأخذوه بالشرح والتحليل حين قال أَنَّ اللُّغة: أَنَّهَا أصوات يُعَبَّرُ بها كل قوم عن أغراضهم. مُؤكِّدًا فيه على الجانب الصوتي للرموز اللغوية، وأنَّه وسيلة للتواصل والتفاهم فيما بينهم. وقد تعددت التعاريف للغة حيث يعرفها موريس (MORRIS) بأنَّها: مجموعة من علامات ذات دلالة جماليّة مُشتركة مُمكنة النطق بين أفراد المُجتمع المُتكلم بها كافّة، وهي ذات ثبات نسبي في كل موقف تظهر فيه، ويكون لها نظام مُحدد وتتألف بموجبه حسب أصول معينة وذلك لتركيب علامات أكثر تعقيداً^(٢).

اللُّغة في شعر إبراهيم العجلوني

إنَّ التَّشكيلات اللُّغوية هي مَنْ تقوم في الكشفِ عن دلالات النَّص التي يُبثها الشَّاعر؛ فاللُّغة تَحْمِلُ الرُّويَا وتُنشِط المُتلقي، فالنَّص بما يَحْتوي من كلمات وتراكيب، فإنَّه لا بدَّ بأنَّ يَدُلُّ على المضامين التي تدعو القارئ من خِلاله إلى الغوص في أعماق النَّص، سعيًا منه للكشف عن تلك المخبوءات، وكشف جماليّات العمل الفني فيها؛ وتلعب الصورة واللُّغة دوراً هاماً في تلك العمليّة الإبداعية ليتشكل منها النَّص برويَا الشَّاعر.

وكما نعلم بأنَّ الأدب بكلماته هو: عبارة عن تعبير لرُّويَا الشَّاعر للواقع الذي يعيشه؛ فهو بعمله الفني يقوم بتشكيل هذا الواقع، ويختار منه ما يتلاءم مع رغبته في الكشف عن هذه الرُّويّة، وهذا يتطلب من الشَّاعر العمق في الرُّويّة مُبتعداً عن السطحيّة والقُدرة على توظيف اللُّغة.

وبعد استقرار النصوص الشعريّة والتحاوّر معها وتحليلها، للوقوف على مواطن الجمال

(١) جمال الدين محمد ابن مكرم ابن منظور، لسان العرب، دار صادر، بيروت، مجلد الخامس عشر، الطبعة الأولى، (د.ت) صفحة ٢٥٢.

(٢) بليغ حمدي إسماعيل، المرجع في تدريس اللغة العربية بين النظرية والتطبيق، وكالة الصحافة العربية، الطبعة الأولى، سنة ٢٠٢١م. صفحة ١٠ / ١١.

وتوظيف اللغة فيها وقُدرة الشّاعر إبراهيم العجلوني على تشكيل القصائد الشعريّة بأسلوب فني ذلك أنّ استخدام اللغة هو جزء لا يتجزأ في العمل الفني، ولا ينفصل عنه البتّة، وبذلك فإنّ اللغة من الوسائل التي يستثمرها الشّاعر ليعبّر عن رؤيته بأسلوب فني تاركاً بعداً جماليّاً في نفس المُتلقي تدعوه إلى الغوص في أعماق النصّ، ذلك لأنّ اللغة في الشعر هي أحد مقوماته الأساسيّة فهي تكشف عمّا يدور في النفس من هواجس ومشاعر وأحاسيس.

إنّ اللغة وما تحمّل من دلالات فإنّها قابلة للتّطور في العمل الشعري، وبفضل اللغة يقوم الشّاعر بخلق معاني جديدة من خلال منح الألفاظ دلالات جديدة لم يتمّ التطّرق لها قبل ذلك، فاللغة هي مادة الإبداع، ومن خلالها تبرز قيمة الخيال والجمال في الشعر.

فتوظيف اللغة عند الشّاعر إبراهيم العجلوني يدل على قدرته في صياغة الألفاظ والتراكيب لخلق معاني ودلالات جديدة، وأثرها في تشكيل النصّ الشعري، ومدى الإبداع الفني التي حققتها اللغة في رؤيا الشّاعر من خلال الوقوف على النماذج الشعريّة في شعر إبراهيم العجلوني وتحليلها ودراستها، ودورها في تحريك الرُّؤيا عند الشّاعر وكذلك دورها في توجيه المُتلقي للنصّ وما أحدثا من خلق لمعانٍ جديدة لم يُسبق لأحد أن تطّرق لها ومن تلك التشكيلات التي عمد إليها الشّاعر.

أولاً: التّناس.

يُعدّ التّناس أحد بُنيات النصّ الشعري، والتي تُساهم في التشكيلات الشعريّة في شعر إبراهيم العجلوني، وذلك من خلال استحضار العجلوني لنصوص سابقة للنصّ الحاضر لتؤدي وظيفتها الجماليّة والفنيّة والأسلوبية، وفي هذا المبحث ستتناول الدّراسة التّناس عند الشّاعر للكشف عن مواطن الجمال في أعماله الشعريّة.

ويُشكّل التّناس ظاهرة من ظواهر الحداثة في الأدب الحديث، كما في التضمين الذي يُعدّ ظاهرة في الأدب العباسي، ولكن الذي يميّز التّناس في الأدب الحديث عن التضمين في الأدب العباسي هو أنّ التّناس يتخذ شكلاً أكثر، وخفاءً وباطنية في النصّ وبذلك تجده يتعد عن المُباشرة ويوسع المسافة بين النصّ المُشار إليه، والنصّ المُشير^(١).

(١) محمد سليمان، ظواهر اسلوبية في شعر ممدوح عدوان، دار اليازوري العلمية، عمان الأردن، ٢٠٠٧ م، صفحة ١٢٧.

أما التناص في النقد العربي القديم فكان له حضور فإنه يأخذ معنى الاقتباس تارةً ومعنى التضمين تارةً أخرى، أي الأخذ عن النصوص الأخرى المختلفة التي تدخل ضمن المخزون الأدبي والثقافي، فالتناص ليس جديداً تماماً كما يرى بعض الباحثين بل إن له جذوره القديمة في المصطلحات النقدية ولكن بتسمياتٍ مختلفة منها التضمين والاقتباس والاستشهاد والقرينة والتشبيه والمجاز^(١).

كما يُعد التناص من المصطلحات الأوربية الحديثة، والذي برز في أواسط الستينات من القرن العشرين، والذي كان يعني التعالق؛ أي الدخول في علاقة بين نص أدبي ونصوص أخرى مختلفة وتُعتبر (جوليا كرستيفا) رائدة هذا المصطلح الذي تُعرفه بأنه: « النقل لتعبيرات سابقة، أو متزامنة، أو هو (اقتطاع) أو (تحويل) ثم توضح أن التناص يندرج في إشكالية الإنتاجية النصية التي تتبلور في عمل النص، وهو نص مُنتج بمعنى أن النص يتشكل من خلال عملية إنتاج من نصوص مختلفة^(٢).

وبذلك فإن التناص يُعتبر وسيلة فنية لتطوير النص الأدبي من خلال انفتاح الأخير على نصوص مختلفة، ويُعد هذا المفهوم من المفاهيم النقدية الحديثة^(٣)، فالتناص يدل على ثقافة الشاعر الواسعة، والتي يخدم بها النص، وفيما يلي سيتم عرض النماذج الشعرية والمُتضمنة التناص عند الشاعر إبراهيم العجلوني ومنها الديني والأدبي.

- التناص الديني.

ومن التناص الديني عند الشاعر إبراهيم العجلوني استحضاره لسورة النور ولسورة النجم وذلك من خلال قصيدته (حلم) حيث يقول الشاعر:

صاعداً لله في بُرد الفداءِ

اسمر الجبهة مخضوب اللواءِ

(١) عبدالله مسلم الكساسبة، تجربة سليمان القوابعة الروائية، دار اليازوري العلمية، عمان الأردن، ٢٠٠٦ م. صفحة ٢٠١

(٢) المرجع نفسه، صفحة ٢٠١ .

(٣) الغالي بنهشوم، التناص الشعري بين الخفاء والتجلي، دار الخليج للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠ م. الأردن، عمان، صفحة ١٨.

يطرق الأبواب مزهواً ويلقى

أينما حلّ ترانيم الثناء

طافح بالنور، نور فوق نور

وعُدُّ ربِّ العرش خلاق الضياء^(١).

يستحضر الشاعر هنا في هذا المقطع من سورة التور من قوله تعالى:

«اللَّهُ نُورُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ * مِثْلُ نُورِهِ كَمِشْكَاتٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ * الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ *
الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِنْ شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لَا شَرْقِيَّةٍ وَلَا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا
يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ * نُورٌ عَلَى نُورٍ * يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ * وَيَضْرِبُ اللَّهُ الْأَمْثَالَ
لِلنَّاسِ * وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ»^(٢).

فالشاعر هنا يصف منزلة الشهيد والتي يرتقي بها إلى الله تعالى صاعداً إليه بكل ارتياح
وطمأنينة، حيث لا هدوء كهدوءه ولا راحة كراحته، ويقصد هنا بأسمر الجبهة ذلك الفدائي
الذي قُتِلَ في سبيل الله تعالى وفي سبيل الوطن وكيف يرتقي إلى الله، وأنَّ الشهيد يطرق كلَّ
الأبواب مزهواً، وأينما يتلفت يُثنى عليه وعلى فعله الذي هو حُلم كلِّ ثائر، وكذلك يصفه
بالتور الذي فوقه نور لتتشكل هنا صورة النور التي باتت تُشعُّ جرّاء ما ناله ذلك الشهيد وهذا
الوعد الصادق الذي وعد الله به الشهيد هاهو يتحقق بارتقاء الشهيد للسماء ونوره مُشع.

وكذلك نجد الشاعر يستحضر أيضاً سورة النجم وذلك من خلال قصيدته (حلم) والتي

يقول فيها الشاعر:

قاب قوسين أو أدنى في جنان

صاغها الرحمن من ذوب الصفاء

تبسم الأزهار فيها، والأمني

دانيات.. والصبا محض انتشاء

(١) إبراهيم العجلوني، الأعمال الأدبية، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩م.

وزارة الثقافة، عمان، الأردن، صفحة ٥١.

(٢) القرآن الكريم، سورة النور، آية رقم ٣٥.

هتف العاشق لِمَا أن رآها

نلتُ ما أرجو.. فيا ربَّ السماء^(١).

وهنا الشّاعر يستحضر أيضاً من نفس القصيدة (حلم) من سورة النجم قوله تعالى:
(فكان قاب قوسين أو أدنى)^(٢).

فالشّاعر هنا يتحدث عن الشهيد أنّه ومن خلال ارتقائه إلى السماء فإنّه أصبح قريباً من الوعد الصادق ألا وهي الجنة التي وعد الله بها الشهداء حيثُ يعود الشهيد بالنعم الخالدة في الجنة والتمتع بها، ويذكر ذلك النعيم الموجود في الجنة من عودة الشهيد إلى قوته وشبابه ويتحدث أيضاً عن الأزهار التي لا تذبل وأنّ جميع الأمانى مُحققة واصفاً الشهيد بالعاشق الذي لطالما انتظر المعشوقة وهي الجنة، حيثُ أنّ الشهيد وعند رؤيته لذلك النعيم يهتف بأنّ نلتُ ما كنتُ أريد وصدق الله وعده، داعياً الله تعالى وشاكره على ما هو عليه، ونلاحظ أنّ (قاب قوسين أو أدنى) يُضرب مثلاً لشدة قرب الشيء فإنّ لكل قوس قبان وهما ما بين المقبض والسبيّة، وهذا يدلّ دلالة على اقتراب الشهيد من منزلته في الجنة.

وقد استحضر الشّاعر التّناسق القرآني في قصيدته (تقاسيم على الجراح) من خلال قوله:

يا هذا لا تسأل عني

اليوم أسافر للبراق

اليوم أمزق ستر غدي

فالبصر اليوم حديد

.....

.....

في قلبي يرتعد البراق

(١) إبراهيم العجلوني، الأعمال الأدبية، مصدر سابق، صفحة ٥١ .

(٢) القرآن الكريم، سورة النجم، آية رقم ٩ .

لا شيء جديد هناك...^(١).

وهنا الشاعر من خلال قصيدته يستحضر من سورة (ق) من قوله تعالى:
(لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد)^(٢).

فالشاعر أصبح ذا بصر نافذ عالم بتلك الغفلة التي كان يعيشها، وكذلك يعود الشاعر بنا إلى التراث العربي المتمثل بشخصية عربية قديمة وهو (البراق بن روحان) عندما سلبت ابنة عمه ليلي من قبل ملك فارس وسارع البراق إلى مهاجمة بلاد فارس وتحرير ابنة عمه.

فحديث الشاعر هنا وفي هذا المقطع مُستلهماً من الآية الكريمة أنه أصبح ذو علم وقد صحى من غفلته، فبصره اليوم نافذ وقادر على التمييز بين الأشياء حيث يتفأل الشاعر بذهابه إلى البراق الذي يمنح الشاعر صفة التحرير، كما حرّر ليلي من الأسر، ويوظف شخصية البراق مُتفائلاً بالنصر القادم وتحرير الوطن من يد الاحتلال كما حررت ليلي من يد فارس.

- التناص الأدبي.

ومن استحضار الشاعر إبراهيم العجلوني أيضاً للتناص أنه استحضر التناص الأدبي من خلال قصيدته (رؤيا) والذي استحضر فيها قول سيدنا عمر بن الخطاب بمقولته المشهورة (يا سارية الجبل) حيث عبّر بها عن حبه لفلسطين وتألّمها جراء الاحتلال والظلم الذي تعرضت له حيث يقول الشاعر:

فقدسي هنالك خلف الحدود

وكرمي هنالك والساقية

وذكرى طفولة حبّ شريد

ذوى في الهجير مع الدالية

تنوس كطيف الغرام الوليد

لعيني توقظ لي نارية

(١) إبراهيم العجلوني، الأعمال الأدبية، مصدر سابق، صفحة ٤٧ .

(٢) القرآن الكريم، سورة (ق)، آية رقم ٢٢ .

فتصرخ في دماء الجدود
وتومض في الأفق أمجاده
ويرسل في النفس خفق البنود
نداء يردد: يا ساريه: (١).

ويُعبّر الشاعر هنا ومن خلال قصيدته عن البُعد المكاني بينه وبين فلسطين، وقد استحضِر مقولة سيدنا عمر بن الخطاب حين ردّد بالنداء (يا سارية الجبل) مُوظِّفًا الحدث التاريخي في التخاطر بين المسلمين، والتي حدثت بين عمر بن الخطاب وبين سارية بن زنيم أحد قادة جيوش المسلمين الذي كان في بلاد فارس وكان عُمر في المدينة على منبر الرسول عليه الصلاة والسلام ونادى على ساريه، وسمع نداءه آنذاك.

فوظّف الشاعر الحدث التاريخي هنا للدلالة على البُعد المكاني بينه وبين فلسطين، وحديثه عن طفولته فيها وكرمه هناك إلا أنّ هذا الاحتلال قد منعه من الوصول إليها بأن وضع القيود ورغم هذا البُعد إلا أنّ نداءه لفلسطين ولأهلها مسموع.

ومن استحضار الشاعر إبراهيم العجلوني للتناص أيضاً حيث استحضِر التناص الأدبي من خلال قصيدته (ثلاث ترانيم على عتبات الليل) وذلك من قول الشاعر:

نعم عدتُ
فحمتُ الصبح في جيش من الأوهام
وباسم الحب، باسم الله حاربت
وعانقت المدى المسحور خلف حدائق الأحلام
قتلت، سبيت، أحرقتُ
« أنا ابن جلا

متى أضع العمامة يزهِق زيفكم موتُ» (٢).

(١) إبراهيم العجلوني، الأعمال الأدبية، مصدر سابق، صفحة ٤١ .
(٢) إبراهيم العجلوني، الأعمال الأدبية، مصدر سابق، صفحة ٢٩ .

وهنا قد استحضر الشاعر التناص الأدبي والذي يتمثل بقول الحجاج بن يوسف الثقفي أثناء خطبته بأهل الكوفة في العراق حين قال:

أنا ابن جلا وطلاع الثنايا

متى أضع العمامة تعرفوني^(١).

فيوظف الشاعر مقولة الحجاج في قصيدته كناية عن الرجل المشهور الذي إذا وضع عمامته فإنه يُعرف، مُجسداً شخصية الحجاج في القضاء على كل أسباب الفتنة وحزمه في كل الأمور، فالشاعر هنا يتحدث عن حال الوطن وما وصل إليه من ظلم وعدوان وما فعل به العدو من قمع وقتل، ويقول لقد عاد واشتد عليه الأمر إذ وجد جيشاً من الأوهام.

فالشاعر يتحدث هنا عن حال فلسطين وما وصلت إليه جراء هذا الاحتلال حيث أن الشاعر قد جاء ووجد النفاق والفساد والقتل والخيانة مُنتشرة، وقد وقف فيهم وجمعهم ليقول لقد جئت هنا حتى يستقيم الحال وتُخمد الفتنة وأزِيل اللثام عن بعض الأمور، ورؤية الشاعر هنا أنه وبمجرد وضع العمامة عن رأسه سيزهق الباطل والزيف وينقضي وينتهي حيث يكمن الانسجام من خلال إظهار الصفات التي تُحقق عدلاً تاماً بين الناس من خلال القضاء على الخيانة والفتنة.

وأيضاً الشاعر هنا قد استحضر التناص الأدبي من خلال قصيدته (السقوط في بئر لو) حيث يقول الشاعر إبراهيم العجلوني:

... وقلت للقمر

وجهك يا بدير لا يسرّ

فلم على زنديك لحني يحتضر

ولم خدعتني من قبل أيها المأفون

لكنت .. ثم كنت ... لكنّ الهوى يجري بما

(١) انظر، أبي الفضل احمد بن محمد الميداني: من مجمع الأمثال، الجزء الأول، المطبعة الخيرية سنة ١٣١٠ هـ، صفحة ٣١.

لا تشتهي السفن

ومركبي العفن^(١).

هنا الشاعر يستحضر التناص الأدبي من قول المتنبي حيث قال:

ما كل ما يتمنى المرء يدركه

تجري الرياح بما لا تشتهي السفن^(٢).

فالشاعر قد استلهم قول المتنبي من خلال هذا التناص المستخدم في قوله: (لكن الهوى يجري بما لا تشتهي السفن) حيث يُجسد خيبة أمله وخذلانه بما يحدث من تغيير الأحوال بما لا يُريد، حيث يطمح الشاعر لشيء ويأتي عكسه، فقد عبّر الشاعر عن حجم المعاناة وخبية الأمل التي سيطرت عليه حتى حلمه للشيء أصبح لا يتحقق.

والشاعر يتحدث عن حاله فيخاطب القمر بأنّ وجهك لا يسر ولا ينبعث فيه الأمل المعتاد، حتى أنّ نار الشاعر الموقدة والمُفعمّة بالطاقة والحيويّة قد انطفأت كما يتحدث الشاعر عن الخداع من قبل أصحاب العقول المُختلفة، فقد جسّد الشاعر خذلانه وأحزانه بصورة تنبعث من اليأس وخبية الأمل وعدم تحقق أحلامه وآماله، حيث أنّ ما يُريده الشاعر قد تحقق عكسه تمامًا، فأمنيّاته وأحلامه لم تكن لصالحه.

وأيضاً نجد الشاعر قد وظّف التناص الديني كما وظّف التناص الأدبي جنباً إلى جنب حيث تجلّى ذلك من خلال قصيدته (العنقاء ونيرات وطيء المطفأة) فيقول الشاعر:

..... قد يحلو الهمس على أبواب مدينتنا، للحارس

والمومس والسجان

قد تحلو اللقمة يا ريما لكن لكلاب السلطان

وأنا يا أخت الغربية والأحزان

(١) إبراهيم العجلوني، الأعمال الأدبية، مصدر سابق، صفحة ٥٩ .

(٢) ديوان المتنبي، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت لبنان، ١٩٨٣ م. صفحة ٤٧٢ .

بالنَّسعة شدّوا لي صوتي ورموني في الجب وقالوا :

عجبٌ ما قالوا يا أختي قد كان عذابي مقضياً^(١).

فاستحضر الشاعر التناص المُتضمن قصة يوسف عليه السلام حينما ألقاه إخوته في غيابة الجُب حيثُ يقول الله تعالى :

(قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقَوْهُ فِي غِيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطُهُ بَعْضَ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ)^(٢).

وهنا الشاعر يتحدث عن عدم مقدرته عن الدفاع عن الأسيرة ربما في سجون الاحتلال حيثُ أنّ الكلام أصبح ممنوعاً عليه ولم يُعد الأمر باستطاعته فقد ربطوا لسانه ورموه في غيابه الجُب فبات بعيداً كلَّ البُعدِ عن الأسيرة التي عجز عن الدفاع عنها، ويرى أنّ الكلمة أصبحت لأصحاب السلطة الذين رموا به بالبئر كما فعل إخوة يوسف بيوسف عليه السلام حتى أصبحت حرّيته مسلوّبة ومُصادرة ولا حول له ولا قوة.

ثانياً: التكرار.

إنّ ظاهرة التكرار ليست غريبة على شعرنا العربي سواءً في القديم أم الجديد، حيث تجدها بشكل واضح في الأدب القديم، والناظر إلى الشعر العربي القديم والمُتتبع لتطوره يلاحظ وجود ظاهرة التكرار، والتي لا يكاد شاعرٌ من الشعراء إلاّ وتجدها في شعره، حتى أصبحت سمةً أو خصيصةً من خصائص الشعر العربي سواءً في القديم أم في الحديث.

ومعنى التكرار في اللغة، مأخوذ من الفعل (كرّ) ويُقال: كرّ الفارسُ فهو كرّار، أو مُكر والشيء كرّاً: رده وكرّ الليل والنهار: عاداً مرّة بعد أُخرى، كرر الشيء تكريراً، وتكراراً: أعاده مرّة بعد أُخرى، والكرّ خلاف الفرّ^(٣).

(١) إبراهيم العجلوني، الأعمال الأدبية، مصدر سابق، صفحة ٨٩ .

(٢) القرآن الكريم، سورة يوسف، آية رقم ١٠ .

(٣) انظر إبراهيم مصطفى ومجموعة مؤلفين، المعجم الوسيط، مجمع اللغة العربية، الإدارة العامة للمعجمات وإحياء التراث، الجزء الأول، المكتبة الإسلامية للطباعة والنشر، سنة ١٩٧٢ م، صفحة ٧٨٢ .

وفي الاصطلاح هو: «إعادة اللفظ أو المعنى»، حيث بقيت رؤية العلماء لحقيقة التكرار متقاربة رغم اختلاف وجهات نظرهم^(١). فيعرفه ابن أبي الإصبع المصري بأنه: تكرار المُتكلّم للفظه الواحدة لتأكيد الوصف، أو المدح، أو الذم، أو التهويل، أو الوعيد^(٢). وكذلك يُعرفه ابن معصوم المدني بأنه: عبارة عن تكرير كلمة فأكثر باللفظ والمعنى لنكتة^(٣).

ذلك أن أسلوب التكرار داخل النص الشعري من الظواهر البلاغية والأسلوبية التي استخدمها القرآن الكريم، ثم سار على نهج الشعراء قديماً وحديثاً، حيث أنه أسلوب فني وإيحائي للتعبير عما تجيش به نفوسهم من مشاعر وأحاسيس، ولم يكن شيوعه وليد الصدفة ولكن كان هناك بواعث أسهمت في نضوج هذه الظاهرة، حيث أدرك العلماء القدماء والمحدثون بنظراتهم الثاقبة أن التكرار أمرٌ لازمٌ في البشر وفي حياتهم^(٤). فهو الممثل للبنية العميقة التي تحكم حركة المعنى في مختلف ألوان البديع إذا كان عنصر الإيقاع خاصية تتوفر بدرجة عالية في الشعر^(٥).

ذلك أن دور التكرار في موسيقى الشعر يكمن في استحضار الطاقات الانفعالية والتأثيرية لدى الباث (المرسل) فتقوم بإثارة انفعال المُتلقي واستنفار مشاعره وعواطفه ومن ثم التأثير به، وبذلك فإن التكرار يقوم بوظيفتين إحداهما وظيفة جمالية إيقاعية، والأخرى وظيفة إيحائية دلالية^(٦).

سيتم الحديث في هذه الدراسة عن التكرار في شعر إبراهيم العجلوني، وأثره في تشكيل

(١) انظر، خالد فرحان البداينة، التكرار في شعر العصر العباسي الأول، وزارة الثقافة، عمان الأردن، ٢٠١٤م. صفحة ١١.

(٢) انظر، ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التجبير في صناعة الشعر والنثر وبيان إعجاز القرآن، تحقيق وتقديم حنفي محمد شرف، الناشر لجنة إحياء التراث الإسلامي، الجزء الثاني، (د.ت)، (د.ط)، صفحة ٣٧٥.

(٣) انظر، ابن معصوم المدني، أنوار الربيع في أنواع البديع، حققه وشرحه شاكر هادي شكر، مطبعة النعمان / النجف، ١٩٦٩م. الجزء الخامس صفحة ٣٤٥.

(٤) خالد فرحان البداينة، التكرار في شعر العصر العباسي الأول، مرجع سابق، صفحة ١١ / ١٢.

(٥) عصام عبد السلام شرتح، أساليب التكرار في لغة الحدائث الشعرية السورية، دار المعترف للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، ٢٠٢٠م. صفحة ٧.

(٦) انظر، وسيم حميد القبلاوي، اثر التكرار في موسيقى شعر البحري ودلالاته، دار امجد للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، الأردن - عمان، ٢٠١٧م. صفحة ١٣.

النص الشعري وبنائه، وكذلك مساهمته في تحقيق رؤية الشاعر، ذلك أن التكرار قد شكّل ظاهرة في شعره، كما ستقوم الدراسة بعرض النماذج الشعرية ودراستها ودراسة تحققها في النص الشعري، والتي تضمنت التكرار ممّا شكّلت ظاهرة في أعماله الشعرية والتي كانت على النحو الآتي:

- تكرار الجملة :

يُعد استخدام هذا التكرار بشكل مكثف في الشعر الحديث، ليؤدي إلى إحداث نوع من الإيقاع؛ ذلك أنه يُكسب النص طاقةً إيقاعيةً بفعل اتساع رُقعته الصوتية بالإضافة إلى الدور الوظيفي الذي يؤديه التكرار^(١). حيثُ أنّ هذا النوع من التكرار إذا أُجيد استخدامه بالشكل الصحيح فإنّ له الأثر البالغ لما يتركه من دهشة وما يُثيره من مشاعر^(٢).

ظَهَرَ التكرار في شعر إبراهيم العجلوني في كثير من المواطن ويبدو ذلك جلياً من خلال عدّة قصائد، منها قصيدته (أغنيات للحب والأمل) حيثُ يقول الشاعر فيها:

يا ليتنا طفلان يلهوان خلف حائط عتيق

ضلاً عن الدنيا، وضيّعاً الطريق

ومات عنهما الغروبُ والشروق

.....

يا ليتنا طفلان يعدوان في المدى

ويسخران بالرّدى

ويملآن مسمع الدّنا

بفرحة اللقاء والغنا^(٣).

(١) انظر، معتز قصبي ياسين، جمالية التكرار في شعر احمد مطر، مجلة الخليج العربي، جامعة البصرة، مركز دراسات البصرة والخليج العربي، مجلد ٤٦، عدد ١٢، ٢٠١٨م. صفحة ٢٢٧.

(٢) انظر: عمران خضر الكبيسي، لغة الشعر العراقي المعاصر، وكالة المطبوعات الكويتية، الكويت، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م. صفحة ١٦٤.

(٣) إبراهيم العجلوني، الأعمال الأدبية، مصدر سابق، صفحة ٩٤.

يستخدمُ الشاعرُ هنا أسلوبَ التكرار، بتكراره للتّمني فقد كرّر جُملة (يا ليتنا طفلان) وذلك من أجل أن يُبينَ الشاعرُ الأهميّة في صدق عاطفته تجاه فلسطين والتي صوّرها بالمحبوبة التي يَتَمنى أن يَلهو معها خلفَ حائطٍ عتيقٍ كناية عن القيود التي فرضها الاحتلال الذي حالَ بين الشاعر وبين محبوبته (فلسطين).

وكذلك وظّف الشاعر التكرار من خلال قصيدته (العنقود المر) والذي يقول فيها:

لا تفقأي عيني في حمى العناق

عيناى في دمك انعتاق

.....

.....

أبكي وأصرخ في احتراق

لا تفقأي عيني في حمى العناق^(١).

الشاعرُ هنا ومن خلال استخدامه لأسلوب التكرار بتكراره جُملة (لا تفقأي عيني في حمى العناق) حيثُ يَتَتهى الشاعر بما قد بدأ به وذلك حتى يُعطي الأهميّة لما يقول ويؤكد عليها، فالشاعر أراد أن يؤكد بعدم قبول العناق الذي فيه مُصادرة الحريّة مؤكداً على رفضه التام للعناق الذي فيه سلب الحريّة، فكرر الشاعر الجُملة حتى يُولي الأمر الأهميّة الكُبرى، ويثير عاطفة المُتلقي، ليؤكد على عدم قبوله ذلك الأمر؛ لما فيه من خُطورة بالغة، ويُريد أيضاً أن يؤكد أن هذا العناق ما هو إلاّ عناق مُزيف.

فالشاعر هنا استخدم ما يُسمى بالتكرار الدائري فقد ختم المقطع الشعري بما قد بدأ فيه مُحققاً التوازن العاطفي ما بين الكلام ومعناه الذي تمثل برفضه العناق باسم الحب المُزيف الذي تعود نتائجه بمصادرة الحريّة وانتزاع الكرامة،

ومن تكرارات الجُملة الواردة عند الشاعر أيضاً التكرار الوارد في قصيدته (للصحو والشهادة) والتي يقول فيها:

(١) المصدر نفسه، صفحة ٦٧ .

لا لستَ ميتاً، قد يكون الأَمْسُ، تاريخ العواهر،

غصّة الذكري،

وتبقى أنت،

تبقى أنت دمدمة، نذيراً، عاصفاً

وواقفاً كنت وتبقى واقفاً..^(١).

الشاعر هنا وظّف تكرار الجملة المُتمثّل في (تبقى أنت) حتى يُغني دلالة اللفظ، ويُسلط الضوء على المعنى الذي يُريده، فهو يُريد القول أنّ الشهيد رغم موته هو باقٍ بذكره وأثره الطيب، مؤكداً أنّ الموت للجسد فقط ولكن روحه حيّة معنا نتذكره ونذكره ونذكر أفعاله وخصاله وما قدّمه من نضال ضد الاحتلال.

ومن خلال استخدام الشاعر لهذا التكرار تتجسّد رؤيته التي أرادها هنا والمُتمثلة بتأكيد بقاء الشهيد رغم موته، ويُجري الشاعر المُقارنة بين الشهيد الباقي ذكره رغم موته وبين الحي القاعد عن المُقاومة ورد الظلم والصامت أمام العدو بأنّ رغم وجوده معنا إلا أنّ ذكره ميت.

- تكرار الكلمة :

إنّ تكرار الكلمة من أبسط أنواع التكرار وأكثرها شيوعاً من بين أشكاله المُختلفة، ولعلّ القاعدة الأولى لمثل هذا التكرار هو أنّ يكون اللفظ المُكرر وثيق الصلة بالمعنى العام للسياق الذي يرد فيه، وخلاف ذلك يُصبح لفظاً مُتكلفاً لا فائدة منه^(٢). فقد يقصد الشاعر في بعض الأحيان من تكرار الكلمة دلالة لتأكيد الفكرة وتقرير المعنى في نفس المُتلقي أو تحريك هاجس المُتلقي للتفاعل مع تجربته^(٣).

(١) إبراهيم العجلوني، الأعمال الأدبية، مصدر سابق، صفحة ٨٠ .

(٢) انظر، فهد ناصر عاشور، التكرار في شعر محمود درويش، دار الفارس للنشر والتوزيع، الأردن / عمان، الطبعة الأولى، ٢٠٠٤م. صفحة ٦٠ .

(٣) انظر، محمد سالم الرجوبي، التكرار في الشعر العربي الحديث (قصيدة السياب)، مجلة شمالجنوب، جامعة مصراتة، كلية الاداب، العدد الثاني عشر، ٢٠١٨م. صفحة ١٠٧ .

ومن خلال ما سبق فستقوم الدراسة بعرض النماذج الشعرية التي تدل على تكرار الكلمة عند الشاعر إبراهيم العجلوني ودورها في تشكيل النص، وتأثيرها في نفس المُتلقي ومن تلك النماذج ما يلي:

يوظف الشاعر تكرار الكلمة من خلال قصيدته (العنقود المر) والتي يقول فيها:

أنا وأنتُ

وكلُّ من يلوك هذا الصمت

وكلُّ من يضحك هذا المقت

وكلُّ من ينفخ في حريق هذا البيت

وكلُّ من (يعيش) وهو ميت

جميعنا.. نبيع في المزاد طهر الصوت

لكنني يا صاحبي لو شئت ... لجزت نهر الصمت^(١).

الشاعر هنا ومن خلال المقطع الوارد نجده يُكرر كلمة (كلُّ) بواقع أربع مرات ليحدثنا عن سبب مُعاناة الأمة العربية والأسباب التي أوصلتهم إلى هذا الحال من ضعف وهوان، وتثبيت المعنى في نفس المُتلقي، فيقول الشاعر أنه وصاحبه جزء من حُزن هذه الأمة وإنَّ ما يحدث للأمة من ضعف وظلم هو أحد أسباب حُزن الشاعر.

ثم يتابع الشاعر حديثه ويُشرك معه كلُّ من لازمه الصمت هو أيضاً شريك في حُزن هذه الأمة، وكلُّ من يضحك في زمن الظلم، وكلُّ من يُساعد الاحتلال في دمار الأمة، وكلُّ من يعيش وهو ميت أيضاً جميعهم يتحمّلون المسؤولية لما يحدث للوطن من قُهر وظلم وعدوان، فنجد أنَّ الشاعر أراد من تكرار كلمة (كلُّ) بأن يؤكد رويته بضياع الوطن الذي يشترك فيه كل هذه الفئات من الأفراد والجماعات على حد سواء.

فيوظف الشاعر التكرار هنا للدلالة على الحُزن الواقع عليه نتيجة لما حصل للوطن، وتأكيداً للمعنى الذي يريد الشاعر إيصاله؛ وهو عبارة عن رفضه التام لكل أسباب الضعف

(١) إبراهيم العجلوني، الأعمال الأدبية، مصدر سابق، صفحة ٧٠.

والهوان فضلاً عن الانسجام الإيقاعي الذي حققه التكرار والذي تميّز بقوة تأكيد رفض المُتكلّم ذلك الواقع.

وهنا الشّاعر يَستخدم تكرار (الكلمة) فيكرر اللفظة الواحدة كما في قصيدته (البحث عن مرآة) والتي يقول فيها:

وأهمس الحنين في أذن حصانه، وأملاً الخرجا

بكل أشواقي لفجر الفجر

ففجري المحبوب بات ينشدُ الفجرا^(١).

نلاحظ أنّ الشّاعر قد كرر لفظة (الفجر) أربع مرات، وهذا التكرار يُجسّد ويؤكد حالة ونفسيّة الشّاعر الذي أصبح بأمس الحاجة للتخلّص من القيد والتطلّع للحرّيّة والخلاص، ذلك أنّ الفجر يرمز إلى الحرّيّة التي تتحقق مع زوال الليل والظلام، ويرى أنّ فجره أصبح هو من يطلبها، فالتكرار هنا أعطى الألفاظ وأكسبها قوة تأثيريّة لحال الشّاعر الذي ينتظر الفجر ليحصل على حرّيّته من خلال إصراره وتأكيده لطلب الفجر.

ومن مواطن تكرر الكلمة في شعر إبراهيم العجلوني كلمة (إليّ) في قصيدته (بكائية المهرج الذي انتحر) والتي يقول فيها الشاعر:

«إليّ أطلال النفوس

إليّ نكرع الكؤوس

إليّ نرقص الطقوس

في المعبد المزيف»^(٢).

كرر الشّاعر في هذا المقطع من القصيدة كلمة (إليّ) ثلاث مرات للدلالة على مُعاناة الشّاعر وحُزنه، وأنّ الأمر قد بلغ مُنتهاه، فهو لا يُريد أن يرى الأمور على حقيقتها، لذلك يخلق عالماً مُزيفاً عسى الزيف أن ينجيه من الواقع المرير، فهو يهْرُب من سطوة الواقع

(١) إبراهيم العجلوني، الأعمال الأدبية، مصدر سابق، صفحة ١٥ .

(٢) إبراهيم العجلوني، الأعمال الأدبية، مصدر سابق، صفحة ١٥٢ .

الميرير إلى رحابة عالم يخلقه ويكوّنه ليكون ملاذاً آمناً له، فيكرر كلمة (إلّي) عسى أحدٌ يُلبي نداءه ويُخرجه من أغلال الواقع الأليم، ولكن هيهات هيهات، فكلّها مجرد تمنيات لن تتحقق.

ف نجد أنّ التكرار هنا جاء ليخدم المعنى الأساسي الذي أراده العجلوني في رفضه للواقع وخلق واقع أكثر أملاً.

- تكرار الحروف:

إنّ الدلالة الفنيّة لتكرار الحروف تنبع من تكرار الصوت داخل النسيج الشعري وذلك لخلق امتداد صوتي داخل النصّ الأدبي من أجل تسليط الضوء على الصوت المُكرر لبيان أهميته في النصّ^(١).

ومن خلال ما سبق فستقوم الدراسة بعرض النماذج الشعريّة والتي تدل على تكرار الحروف عند الشاعر إبراهيم العجلوني ودورها في تشكيل النصّ، وما حققه من تجانس صوتي يخدم السياق ومن تلك النماذج ما يلي:

ويتجلّى تكرار الحروف عند العجلوني من خلال قصيدته (العنقود المر) والذي يقول فيها الشاعر:

على ضفاف الغسقِ

بقية من ألقِ

تلوذ فيه تنقي

أمواج ليل محقق

لمحتها كبيرق

أحمر لون الزنبق

فقلت ذاك خافقي

(١) انظر، يوسف إبراهيم قطريب، أدب الوفاة لدى أدباء الأندلس داخل وخارج الاندلس، دار الكتب العلمية، الطبعة الأولى، ٢٠١٧م. لبنان، بيروت، صفحة ٢٦٨ .

ينزو بعرض الأفق

كعجري المحترق

لما هوى في المشرق

عانقت حظي الشقي

كفضلة من ألق

على ضفاف الغسق...^(١)

إن الناظر للمقطع الشعري في قصيدة العجلوني يلاحظ أن هناك تكراراً لحرف (القاف) ممّا يسترعي انتباه القارئ والسامع، حيث أن حرف القاف من الحروف المُفخمة في اللغة ثمّ أنّه يملك صفة القلقلّة، فالتفخيم في هذا الحرف إنّما يدلّ على ضخامة الأزمة النفسيّة التي يمرّ بها الشاعر، إضافةً إلى حُزنه وأسفه الدفين ممّا تمرّ به الأمة من ضياع فلسطين، أمّا القلقلّة التي يمتاز بها حرف القاف فهي الرجوع والصدى والأنين الذي يُخيّم على كافة مُجربات حياة الشّاعر خاصة الأوضاع السياسيّة التي تُحيط بالقضيّة الفلسطينيّة، وكافة أثارها السليبيّة سواءً من الناحية النفسيّة والاجتماعيّة والثقافيّة، فقد تكرر حرف القاف بواقع ستة عشرة مرة، ولعلّ في تكرار هذا الحرف تجسيداً للحُزن الدائر في نفس الشّاعر.

فمن خلال تكرار الحرف في هذا المقطع يتجلّى شعور الشّاعر بالحُزن والكآبة ومُعاناته الواضحة في مُصارعة الهموم التي حلّت به ورغم هذا الحُزن في نفس الشّاعر إلّا أنّه يبحث عن بصيص أمل من خلال الضوء الذي يبحث عنه، فقد جاء التكرارُ هنا لتأكيد الفكرة في نفس المُتلقي وإبرازها، ووصف حالة الشّاعر النفسيّة التي يعيشها وإبراز الانفعال في نفسه، وتحقيقاً للتجانس الصوتي في هذا المقطع.

ويظهِر تكرار الحُروف أيضاً عند الشّاعر إبراهيم العجلوني من خلال مقطع من قصيدته (العنقود المر) حيث يقول فيها الشّاعر:

(١) إبراهيم العجلوني، الأعمال الأدبية، مصدر سابق، صفحة ٦٨ / ٦٩ .

تحمّل ..

فمن أجل ألا يكون سقوط في بئر الفهاهه

وَأَلَّا يَمُوتَ حَنِينٌ،

وَأَلَّا يُحَدَّ سَفَارٌ

وَأَلَّا تَهَبَّ بِقَلْبِكَ رِيحَ الْخَرِيفِ

وَأَلَّا يَخِيفُكَ مَرَأَى اللَّهَيْبِ^(١).

الشاعر هنا يُوظف تكرار حرف (ألا) بواقع خمس مرات وذلك لتأكيدِه على الحُزن الذي بات يُسيطر على الشاعر وشعوره بالأسى والألم الذي يعتريه، وبتكرار (ألا) نجد الشاعر يُثير المُتلقي ويُعطيه طاقة حيويّة تكمن بانتظار الجواب بعد (ألا) وكأنَّ الشاعر يُحرّض المواطن العربي ويدعوه لضرورة التحمّل والصبر في مُقاومة المُحتل حتى الوصول للهدف المنشود والمُتمثل بالتحريير وفك القيود.

فالتكرار هنا أكسب النصّ الدلالة التي يُريدها الشاعر والتي تمثّلت برؤيته أنّه ومن خلال التحمّل والصبر وعدم الخوف والتسليم وعدم التخاذل في الدفاع عن الوطن فيه منافع كثيرة كُلّها تصب في مصلحة الوطن والعيش الكريم من خلال إخراج الأمة من ذُلّها وظلمها إلى عزّها ومجدها.

كما استخدم الشاعر أسلوب تكرار الحرف في قصيدته (تقاسيم على الجراح) ووظفه هنا من خلال قوله:

لو يُدرِّك معنى الصمت

لو يُكشف ستر الموت

تُلقي الأضواء على رحم الأيام

لو نلمس جدران الآتي ونحطم أسوار الأوهام

(١) إبراهيم العجلوني، الأعمال الأدبية، مصدر سابق، صفحة ٦٨ / ٦٩ .

لو وهج الموت يذيب بنا صنم الأمس المخنوق

لو نتقن فن التحديق

لبكينا اليوم رفات الغد

وقنعنا برؤانا والعد^(١)

كرّر الشاعر حرف (لو) بواقع خمس مرات وكلّها تُفيد النفي، ولو حرف امتناع لامتناع؛ فينفي وقوع الفعل الذي يأتي بعده وكأنّه يقول ويؤكد أنّه لن يدرك معنى الصمت، ولن يُكشف ستر الموت، ولن يُلمس الجدران، ولن يُحطم أسوار الأوهام، ولا يستطيع وهج الموت أن يذيب ضيم الأسي المخنوق فينا، ولن نتقن فن التحديق، مُتمنياً حدوث كل ما ذكره الشاعر ولكنّه لن يحدث.

ويرى الشاعر أنّه ولو تحققت الأفعال الواردة بعد (لو) المُكررة لبكينا على رفات المُستقبل فوجد أنّ هذا التكرار في قول الشاعر قد أعطى الألفاظ الواردة بعد الحرف المُكرر أبعاداً قد كشفت حالة الشاعر النفسية التي يعيشها فجاء التكرار حتى يقوي المعنى ويؤكد المضمون.

الخاتمة

وُخلاصة الأمر فيما سبق فإنّ الشاعر العجلوني ومن خلال استخدامه أسلوب التكرار الذي يُعدّ ظاهرة في أعماله الشعريّة قد اكسب النصّ الشعري أبعاداً دلاليّة تُحفز المُتلقي في البحث والغوص في دلالات القصيدة، فقد حقّق الشاعر من خلال استخدامه للتكرار جانبين: تمثّل الجانب الأول في تحقيق رؤية الشاعر، والجانب الآخر هي الفائدة الموسيقية والإيقاعية ممّا يُضفي على النصّ المُشكل بُعداً جماليّاً، حيثُ وجدت الدّراسة أنّ العجلوني قد أكثر من تكرار الجُملة في معظم قصائده.

أنّ الشاعر إبراهيم العجلوني استطاع تحقيق واحدة من أهم الوظائف التي يؤديها الشعر، من خلال قدرته على توظيف اللغة متخذاً من شعره طريقاً للوصول إلى رؤيته فقد تنوّع بين

(١) المصدر نفسه، صفحة ٤٨.

الشكل التقليدي والشكل المُحدّث في شعره، ومحاولته السير على خطى النماذج القديمة، انعكاس الثقافة الدينيّة عند الشّاعر والمُتمثّلة بكثرة التناص من القرآن الكريم، والتناص الأدبي الذي جاء لخدمة رؤيا الشّاعر في إيصال معناه الذي يُريد.

قد برع العجلوني في توظيفه لظاهرة التكرار، فحفلت قصائده بتوالي التكرار سواء في الجملة، أو في الكلمة، أو في الحرف، بصورة بعيدة عن التصنع والتكلف وبما يخدم الغاية المرجوة، وتمكّن الشّاعر من استخدام أدواته الفنيّة في التعبير عن حالته النفسيّة.

كما إنّ الشّاعر إبراهيم العجلوني ومن خلال استعراض بعض من نماذجه الشعريّة بالتحليل والشرح وقدرته على توظيف اللّغة نجده تمكّن من توظيف التناص الذي يدل على ثقافته الواسعة ممّا شكّلت ظاهرة في أعماله الشعريّة وخدمت النّص الشعري للوصول إلى رؤية الشّاعر من خلال تشكيل النّص.

إبراهيم العجلوني مقالياً

(وحي الآفاق) أنموذجاً

رنا عيد الناشف

مدخل

برَعَ إبراهيم العجلوني في فنّ المقالة^{(١)(٢)}، وكانت الفنّ الأبرز في نتاجه الأدبيّ؛ حتّى إنّ ما أصدره من كتب هو في أصله مقالاتٌ نُشرت مُنجمَةً في الصّحف والمجّلات، ثمّ جمّعها وأعاد نشرها في كُتُب، ككتابه «الشّدرات» الذي يقع في ثلاثة أجزاء ضخام مثلاً. ولا عجب في ذلك؛ فإنّ المقالة - كما هو معلوم - من أقلّ الأجناس الأدبيّة قيوداً وشروطاً، فيجدُ فيها الكاتبُ مسرحاً وميداناً رحيباً لفكره وعواطفه ومشاعره المُختلفة.

تبعَت الكتابةُ عند العجلونيّ من فكرةٍ تجلّت لديه بأنّه «سيظلّ زمناً مسكوناً بفكرةٍ أنّه

(١) حول تعريف المقالة وأنواعها، انظر: نجم، محمد (١٩٦٦) فنّ المقالة، ط٤، بيروت - لبنان: دار الثقافة.

(٢) حول مسيرة الأديب الأردني إبراهيم العجلونيّ (الحياتيّة والأدبيّة)، انظر:

- البابطين، عبد العزيز، وآخرون، (١٩٩٥)، معجم البابطين للشعراء العرب المعاصرين، ط١، حقوق النشر لعبد العزيز سعود البابطين / مؤسسة جائزة عبد العزيز سعود البابطين للإبداع الشعري.

- الكوفحي، إبراهيم، معجم أدباء إربد: الشعراء، عمان - الأردن: وزارة الثقافة - إصدارات إربد مدينة الثقافة الأردنية لعام ٢٠٠٧م.

- رضوان، عبد الله، والمشايخ، محمد، (١٩٩٩)، أنطولوجيا عمان الأدبية، تقديم هاني العمدة، عمان: أمانة عمان - مطبعة الصفدي.

- العجلوني، إبراهيم، (١٩٩٥)، أحزان مسيحية: فصول من كتاب اليوميات، ط١، عمان - الأردن: أزمنة للنشر والتوزيع.

صاحبُ قلمٍ ورجلُ بيان^(١)، وأداته في ذلك اللغة، وللغة سياق اجتماعي، وكلُّ خروج عن هذا السياق سيُحوّل بينها وبين أداء دورها المؤلف في مجرى الحياة^(٢). وقد صَقَلَ العجلونيُّ لغته وذائقته من خلال تكوينه الثقافي وقراءاته المتواصلة في الكتب، فهو قارئٌ عميقٌ الخبرة بالتراث، ولا سيما التراث الكلامي، فاجتمع له من هذه الروافد جميعها لغةٌ متفردةٌ بذِّها أقرانه جميعهم، وهي لغةٌ تتجلى فيها روحُ القرآن، لتكون من أهمِّ مظاهر أصالته الأدبية، وأكثرها دلالةً على عمق التحامه بثقافته الأم^(٣).

أمَّا بدايات العجلونيِّ في الكتابة فكان يكتب الأشعار ويدبجها ثم يمزقها، وظلَّ على هذه الحال ثماني سنوات أو أكثر، حتَّى كادَ ييأس من أن يُصبحَ كاتبًا، ولَمَّا نَشَرَتْ لَهُ جريدة الدِّفاع أوَّلَ عملٍ أحسَّ أنَّ نظام الكون قد تغيَّر، وودَّ حينها أن يقف في كلِّ ميدانٍ وعلى كلِّ ناصيةٍ ويصيحُ في النَّاس: هاكم اسمعوا قصيدي العصماء!^(٤) فبدأ منذُ أواخر الستينيات يكتب الشعر والقصة والمقالة^(٥).

إنَّ التَّنامي الفكريَّ المُتسارع في ثقافة العجلونيِّ قادَه إلى تجريبِ فنونٍ أدبيَّةٍ عديدةٍ كالشَّعر والقصة والمسرحية والرواية والمقالة والنقد الأدبي، ولكنَّه تَناءى عن فضاءات الشَّعر لِيَشغَلَ بِالمناهج المعرفية الكلية التي تُوفِّر لطبيعة ثقافته ووجدانه أفاقًا أكثر اتساعًا وشموليةً، فمالَ إلى الثَّقة بسلطانِ العقل في انشغاله المعرفيِّ الشَّامِلِ بشؤونِ الفكر والكلمة، وظلَّ الشَّعر لديه مرهونًا لسوانح القلب ومزاج اللحظة^(٦).

قضى العجلونيُّ حياته كاتبَ مقالةٍ يوميةٍ، في العديد من الصَّحف الأردنيَّة، وفي طليعتها «جريدة الرأْي»، وكان يعتني بهذا الفنَّ عنايةً فائقة، يحتشد له، ويقرأ من أجله، فالكتابةُ اليوميَّةُ

(١) العجلوني، إبراهيم، أحزان مسيحية، ص ١١.

(٢) انظر: العموش، مالك، (٢٠٠٧ / ٢٠٠٨)، إبراهيم العجلوني أدبيًّا، رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير، الجامعة الهاشمية، ص ٢٦-٢٧.

(٣) انظر: الحيام، عمر، (٢٠٠٥)، في دائرة المنهج: دراسات نقدية، ط ١، عمان- الأردن: أمانة عمان، ص ٢٤٠.

(٤) انظر: العجلوني، إبراهيم، الشذرات، ج ٢، ص ٦٣.

(٥) من مقابلة مع إبراهيم العجلوني، في عمان، بتاريخ: ٤ / ١٢ / ٢٠١٨ م.

(٦) انظر: عيسى، راشد، (٢٠٠٦)، الخطاب الصوفي في الشعر المعاصر: قراءات ذوقية، ط ١، عمان- الأردن: وزارة الثقافة، ص ١٣٣.

ليست من الأمور السهلة؛ فهي تستنزف الكاتب^(١). وعليه فإن الثقافة هنا تنهض بدور مهم في رفد الكاتب وإرهاق حسه وإيقاظ قلمه وشحذ همته، ولعل هذا ما جعله يكتسب مكانة أدبية مرموقة ويقبل الناس عليه.

يؤمن العجلوني أن المرء هو من يختار مكانته بين الناس، فإن «المرء حيث يضع نفسه، وحيث يرتضي من مكانة، وحيث يبتغي من حضور»^(٢). وإن «امتحان الحياة في أي مجتمع أو دولة، هو مكانة رجل الوعي والفكر في أي منهما، ومدى ما تتيحه له من حضور كريم»^(٣). ويؤمن أيضاً أن كل جهد إنساني ليس إلا نقطة في بحر متباعد الشواطئ^(٤)، و «أنه علينا أن نمضي قدماً في تحرير أنفسنا، وفي تفجير طاقاتنا، وفك أغلالنا، وكسر القيود المطوقة أعناقنا»^(٥)، وأنه حق علينا أن ندفع الفتنة ونيرانا عن حياتنا وحياة أبنائنا وألا نترك لمشيرها أن يخدعونا بما يرفلون به من ثياب الناسكين أو الخبراء المختصين^(٦). فالعجلوني يدعو للكتابة التي تقول «كلا» بملء الفم، وبوضوح وقوة وثقة؛ لأنها الكتابة التي يريد الوطن، ويدفع إليها الضمير، ويرضى عنها الله ورسوله. وهي الكتابة التي تُشير حفيظة الفساد والخطأ واللامبالاة^(٧).

والكاتب الحق في نظر العجلوني، هو الذي يحتشد لما يكتب، ويهتم بقراءه ويحسب حسابهم في كل صغيرة وكبيرة فيما يكتبه، وعليه احترام الذين ينصتون إليه، ويتظنون منه النفع لا المضرّة، والتّوير لا التّعيم، والتّوعية لا التّجهيل^(٨). وقد بدأت كتابات العجلوني المقالة بكتابة المقالة ذات الطابع الأدبي والفني، ثم شرع يهتم بالمقالة الفكرية أو الفلسفية، واستقرّ به الأمر - آخر المطاف - ألا يستهويه إلا المقال الفلسفي.

(١) من مقابلة مع إبراهيم العجلوني، في عمان، بتاريخ: ٤ / ١٢ / ٢٠١٨ م.
(٢) العجلوني، إبراهيم، (١٩٩٨)، الشذرات، ج ٢، عمان - الأردن: مطابع الإيمان، ص ٦٦.
(٣) العجلوني، إبراهيم، (١٤٢٢ هـ / ٢٠٠١ م)، رجال ومناهج، عمان - الأردن: دار البشير، ص ٦٣.
(٤) انظر: العجلوني، إبراهيم، (٢٠٠٤)، كتب وشخصيات، عمان - الأردن: منشورات أمانة عمان، ص ٤٧.

(٥) العجلوني، إبراهيم، رجال ومناهج، ص ١٣٩.
(٦) انظر: العجلوني، إبراهيم، (٢٠٠٠)، الشذرات، ج ٣، عمان: المؤلف، ص ٢١٦-٢١٧.
(٧) انظر: العجلوني، إبراهيم، الشذرات ٢، ص ٧٦.
(٨) انظر: العجلوني، إبراهيم، الشذرات ٢، ص ١٧٦.

خلاصة القول: بدأ العجلوني بالمقالات الأدبية، وانتهى بالمقالات الفلسفية؛ لأنه أراد الانصراف إلى ما يُرضي تكوينه الداخلي، وهو التأمل في الأشياء، والتفكير بها؛ وهو ما يدل على ثقافة واسعة وإحساس عميق بقضايا الحياة والكون^(١).

المبحث الأول: مقالات «وحي الآفاق»: دراسة موضوعية:

يقع كتاب «وحي الآفاق» لإبراهيم العجلوني في ثلاثة أسفار كبار، وزادت مقالات الكتاب عن خمسمئة مقالة. ومن الصعوبة تصنيفها وفصل موضوعاتها؛ لما بينها من تداخل وتمازج، حتى في المقالة الواحدة أحياناً، وإن كانت أغلبية موضوعاتها في الدفاع عن اللغة العربية والعقيدة الإسلامية، لكنه لم يترك نوعاً من أنواع المقالة إلا كتب فيه وأبدع. فوحي الآفاق بجملته، دفاع عن الإسلام وقضاياه، ودفع للشبهات عنه، وتحرير للمفاهيم، خاصة في مواجهة الاستشراق وتلامذته في العالمين العربي والإسلامي؛ ومن أجل ذلك جمعتها في بوتقة واحدة، لم يكن ينظر في الموضوع بعينه، بل كان يكتب على أساس أنه رجل مسلم، وله قضايا، خاصة في الجوانب الفكرية والفلسفية؛ فالعجلوني يرى نفسه معنياً فيما تعرّض له أمته الإسلامية في هذه الجوانب كافة، فيكتب المقالة وقد تصيب غير موضوع وغير شخص^(٢).

وعن التداخلات في الموضوعات، ذكر العجلوني أن الأمر له علاقة بفلسفة الواقع؛ فالواقع ليس محدداً بل متعدداً يتداخل بعضه في بعض ويمتزجان إلى كل الموضوعات لأنها متداخلة؛ فهو يرى أن واقعنا متشظ متداخل متكاثراً متمازجاً ذو مستويات، ويشبهه «بحبة البصل» ذات القشور والطبقات، إن أردنا الوصول إلى لبها فلا بد أن نمرّ بطبقاتها جميعها^(٣).

ولتسهيل الدراسة، كان لا بد من تصنيف مقالات الكتاب حسب موضوعاتها. ومن أنواعها في هذا الكتاب:

(١) من مقابلة مع إبراهيم العجلوني، في عمان، بتاريخ: ٤ / ١٢ / ٢٠١٨ م.
(٢) من مقابلة مع إبراهيم العجلوني، في عمان، بتاريخ: ٤ / ١٢ / ٢٠١٨ م.
(٣) من مقابلة مع إبراهيم العجلوني، في عمان، بتاريخ: ٤ / ١٢ / ٢٠١٨ م.

- المقالة الأدبية والنقدية: يعالج هذا النوع من المقالات القضايا الأدبية والنقدية واللغوية^(١). فهي تعرض شخصية أو ظاهرة أو اتجاهًا أو أثرًا فنيًا لأديب ما. أو قد ينقل فيها الأديب أثرًا عن تجربة مسّته للقرّاء. وقد شغلت مقالاته الأدبية والنقدية أغلب صفحات كتابه، فتحدّث عن بعض الأدباء، وعرض لبعض الكتب والمؤلفات ونقدّها، وتناول أيضًا قضايا فساد الأدب عند بعض الكتّاب، وتحدّث عن الأدب، واللغة وبعض قضاياها، وعن النقد والنقاد، وتحقيق التراث. ويتحدّث في مقالات أخرى عن ترجمة الأعمال الغريبة إلى اللغة العربية، ويبيّن رأيه فيها، وعن الحوار وشروطه، وأخلاقيات الأدباء الكبار عندما يتخاصمون أو يتجادلون، وعن أدب السجون وما أثمرته تجربة السجن على مرّ العصور، وعن أدب المرأة وأدب الرّجل... والعديد العديد من المسائل الأدبية والنقدية واللغوية.

يعرض العجلوني في مقالاته للغة العربية وفصاحتها ونهضتها، ومن ذلك ما ذكره في مقاله (عن العربية وما وسعت)، يقول: «إنّ فارق اللغة ليس فارقًا معرفيًا بحال، وإذا كان للغة في الأرض أن تزهر بدقّتها، وتحوطها وسعة آفاقها، وجميل منطقتها، وبعظيم ما وعت، ورائع ما أنبت، فإنّ العربية هي هذه اللغة، ولا ينبغي لأحدٍ عاقل أن يتجاوز آفاق العربية، أو ثراءها المعرفي البادخ، أو كنوزها الثمينة التي يُراد لنا أن نعلمي عنها جملة فنكون أوّل الخاسرين»^(٢).

- المقالة السياسيّة: وهي المقالة التي تتناول مشكلةً حزبية، أو فكرةً سياسيّة أو وطنيّة أو دوليّة. يُهاجم فيها الكاتب الاستعمار لاعتدائه على الحُرّيّات، ويُبصّر من خلالها الجمهور بما يُحيط بلاده، ويسّثّره للدّفاع عن مقدّساته، بأسلوبٍ سهلٍ بعيدٍ عن الزّخرفة، يعتمد فيه إثارة العواطف^(٣).

وهذا اللون المقالي -المقالة السياسيّة- كان له حظٌ وفيرٌ في مقالات العجلوني في «وحي الآفاق». وقد ناقش في مقالاته السياسيّة الكثير من القضايا، مثل: السياسة وأصحابها، والوعي

(١) انظر: الكوفي، إبراهيم، (١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م)، محمود محمد شاكر: سيرته الأدبية ومنهجه النقدي، ط١، بيروت- لبنان: مؤسسة الرسالة- دار البشير، طبع بدعم من وزارة الثقافة، ص١٥٣.

(٢) انظر: العجلوني، إبراهيم (١٤٣٦هـ/ ٢٠١٥م)، وحي الآفاق، ج١، ط١، عمان - الأردن: أروقة للدراسات والنشر، ص٤٩٢- ٤٩٣.

(٣) انظر: سارة، حفاف، (٢٠١٦/٢٠١٥)، فنّ المقالة الأدبية عند مصطفى صادق الرافعي، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير، الجزائر، جامعة أبي بكر بلقايد، ص٤٤.

السياسي، والخِدَع السياسيّة، وقضايا السّلطة والنّظام، والحُكم والحُكّام، وقضايا الأسلحة والاستبداد، والاستعمار، والمقاومة، والوطن والوَطَنِيّة، والديمقراطيّة والحرّيّة، وغير ذلك الكثير. وأغلب مقالاته السياسيّة كان عن الاستعمار والاستبداد، مُبيناً فيها رفضه الاحتلال مهما تعدّدت أشكاله، ويدعو فيها لمقاومته ورفضه بكافّة السُّبل والطُّرق؛ وهو ما يدل على وطنيّة هذا الكاتب ووعيه السياسيّ.

ومن مقالاته السياسيّة التي تحدّث فيها عن الاستعمار مقالته عن الاستعمار بقوة السّلاح (إبراهيم الكوني وسيكولوجيا حامل السّلاح)، بناها بالحديث عمّا ذكره «إبراهيم الكوني» في مقالة له، عن سيكولوجيّة الحروب، وهي أنّ المحاربين يريدون أن ينتصروا، وأنّ ينتصروا يعني أن يغتنموا، وأنّ يغتنموا يعني أن يغتصبوا، حتّى لو كان هذا الغضب أخذاً لمال بالقوّة، أو نيلاً لامرأة بالإكراه، وأنّ هذه هي شريعة المتحاربين منذ الأزل، وأنّ المحارب لا بدّ أن يقتل كي يررّ حمله السّلاح، بحجّة كاذبة وهي الدّفاع عن النّفس، وأنّ روحه تسكن في السّلاح؛ ولهذا يُنكر القوانين والشّرائع حتى السّماويّة؛ استرضاءً لطاغوت السّلاح. ويذكر العجلوني أنّ ما قدّمه الكوني كان كشفاً لسيكولوجيا حامل السّلاح، وتعزيزاً للواقع الدّمويّ المشهود^(١).

ومن خلال ما كتبه في تلك الموضوعات يتبيّن معرفته الواسعة بالقضايا السياسيّة، ورفضه المتواصل للاستعمار بكلّ أصنافه، ودعوته الدّائمة إلى التّصدّي له والتّحرّر من قيوده وأغلاله. وهو يطالب بضرورة وجود الوعي السياسيّ عند المواطنين.

- المقالة الدّينيّة: هي المقالة التي تتناول بعض الموضوعات والقضايا التي تتصلّ اتصالاً مُباشراً بالدّين^(٢)؛ تتحدّث عن الأديان السّماويّة، والأنبياء، والشّرائع، وسائر القضايا الدّينيّة. ورَدت في كتاب «وحي الآفاق» مقالاتٌ دينيّةٌ عديدة عرّض العجلوني من خلالها الكثير من القضايا الدّينيّة، مثل: تاريخ الإسلام، والإسلام والمسيحيّة، والإسلام والعلمانيّة، والإسلام والعروبة، والقرآن الكريم، والتّصوّف، والتّعدديّة العقائديّة، والتّكفير، وغير ذلك من القضايا.

(١) انظر: العجلوني، إبراهيم، (١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م)، وحي الآفاق ج ٣، ط ١، عمان - الأردن: أروقة للدراسات والنشر، ص ٣٦٠ - ٣٦١.

(٢) انظر: الكوفي، إبراهيم، محمود محمد شاكر: سيرته الأدبيّة ومنهجه النّقدي، ص ١٨٤.

ومن مقالاته الدينيّة مقالة (في الإصلاح.. والمصلحين)، خلاصتها أننا نملك أن نستخلص من كتاب الله سبحانه، ومن سنة نبيه الكريم، أصولاً ومبادئ للإصلاح، وسُبلاً لتحقيقه، أو ندلل على أن الإسلام من حيث هو عقيدة وأخلاق، منهجٌ قائم إلى أبد الدهر في الإصلاح، وفي نشدان خير البشريّة وتكريمها.

ثمّ يذكر أن الإصلاح لا يكون إلا بوجود المصلحين الصالحين بكل معنى، وأنه لا يتأتى بجرّة قدم، فلا بدّ من النفس الطويل في استجلابه، ودوام حضوره، وضمان أطراده، وأنه جهادٌ مشترك بين الجميع حاكمين ومحكومين، فقراء وأغنياء، فلا تنفرد به جهة واحدة^(١).

يتبيّن للمطلّع على وحي الآفاق كثرة المقالات الدينيّة وتنوعها، وهو ما يدل على تديّنه الصادق ومعرفته الواسعة، وعلى اعتزازه بالإسلام، فبدا يعدّ نفسه مسؤولاً أمام ربّه ودينه وجمهوره عن الدّفاع عن الإسلام والمسلمين، من خلال مقالاته.

- المقالة الاجتماعيّة: تعالج المقالة الاجتماعيّة موضوعاً من صميم الواقع، حيث تنتقد العادات والتقاليد السيئة، وتحتّ على الخير وتنهى عن الشرّ. ويكون دور الكاتب فيها تصوير ما يدور حوله عن طريق الملاحظة الدّقيقة والاتّزان في إصدار الأحكام ووضع الحلول^(٢). فالمقالة الاجتماعيّة تعرض العيوب الاجتماعيّة وقضايا الحياة ومشكلاتها، وتتصدّى لها من أجل التّقويم والإصلاح؛ لأنّ غايتها نفعيّة.

ومقالات العجلونيّ في «وحي الآفاق» لم تخلُ من الجوانب الاجتماعيّة، فقد عرّض فيها العديد من القضايا مثل: الفقر والغنى، والثّرّف والفساد، والمرأة، والذكوريّة المجتمعيّة، والرّق والاستعباد، والعنف، والعشائر، والعمران... وغير ذلك الكثير.

وقد عرّض هذه القضايا عموماً دون التّركيز على قضيّة معيّنة أكثر من غيرها، فلونٌ وشكّل في مقالاته عنها. وقد شابهها ألوانٌ أخرى من الموضوعات كالدينيّة والأدبيّة والاقتصاديّة، والسياسيّة خاصّةً، وهو ما أُشير إليه مسبقاً: سمّةُ التّداخل والتمازج في الموضوعات في المقالة الواحدة. ولا يخفى أنّ مرّد هذا الأمر الارتباط الوثيق بين الجوانب الاجتماعيّة وبين جوانب الحياة الأخرى.

(١) انظر: العجلوني، إبراهيم، وحي الآفاق ١، ص ١٠٣ - ١٠٤.

(٢) انظر: سارة، حفاف، فن المقالة الأدبيّة عند مصطفى صادق الرافعي، ص ٣٩.

ومن أمثلة مقالاته الاجتماعية مقالته عن الفساد المجتمعي، ففي مقالته (في اضطراب الزمان) يرى أنّ الفساد قد ظهر في البرّ والبحر، وفي الفضاء ذي المحطّات، فصرنا نرى الجهلاء في منابر العلم، والسفهاء في مجالس الحكمة، واللؤماء في ثياب الفتوة، والجبناء في ثياب الشجعان، والأعداء يتهاكون بالموذات، والخونة يتغنون بالولاءات، وذا العقوق يتمدح ببرّه المعجب، وذا التفاق يتخايل بأردية الصادقين، وذا الوقاحة يستغشي أردية المتأدبين. ويرى أنّ الزمان اضطرب بنا، فلم يعد يرى المرء على وجهه إلا ما احتمله من زبد وغثاء! لكنّ العجلونيّ في مقالته هذه، بدا إيمانه قوياً بانتصار الخير على الشرّ، والحقّ على الباطل، والجمال على القبح. ويرى أنّ ذلك سببٌ لصبرنا، لتتواصى بالحقّ في مواجهة هذا الفساد، ولا سيّما أهل الخير والصّلاح، الذين دعاهم لأن يأخذوا بالأسباب، ويُعدّوا العدة لمواجهة ذلك الفساد^(١).

يتبيّن من مقالات العجلونيّ الاجتماعية تضامنه الواقعيّ، وانتماؤه الاجتماعيّ؛ يُصوّر فيها الحياة الاجتماعية من حوله، وحياة الأمم الأخرى الاجتماعية، معتمداً في ذلك على خلفيته الثقافية الاجتماعية الواسعة، وعلى قراءاته العميقة المتنوّعة في حياة أمته والأمم الأخرى.

- المقالة الفكرية: هي التي «تحتوي مضموناً اعتقادياً يلتزم به الكاتب عقيدةً وإيماناً، ويجعله سلوكاً لمنهاجه، حتّى يُضحّي أدبه بعد ذلك مذهباً يُعرّف به بين الناس؛ يُفسّر بها جوانب من ذلك المذهب الاعتقاديّ الذي يتوفّر عليه، ويؤمن بجذواه، ولا سيما بعد أخذ الآداب الحديثة لبعض المناهج الفلسفيّة والعلميّة»^(٢).

وفي «وحي الآفاق» مقالاتٌ فكريّةٌ متنوّعة، شأن مقالاته الاجتماعية، تتلوّن بموضوعات المقالات الأخرى، فقد تكون فكريّة فلسفيّة، أو فكريّة سياسيّة، أو فكريّة اجتماعيّة، أو فكريّة أدبيّة، أو فكريّة دينيّة، وهكذا. ومن موضوعات مقالاته الفكرية النصيحة الصادقة وسدّ الأذان عنها، والعقل والقلب، وإصدار الأحكام، والكلام والصمت....

ومن مقالاته الفكرية عن قضية التعليم مقالته (عن دولة الأخلاق والتعليم) التي يرى فيها أنّنا إن أردنا أن نفيد من تجارب الآخرين، بعد أن هرعنا إلى آثارهم دون النّظر إلى واقعنا

(١) انظر: العجلوني، إبراهيم، وحي الآفاق ١، ص ٥٠٧-٥٠٨.

(٢) البدرى، مصطفى نعمان، (١٤١١هـ/ ١٩٩١م)، الرافعي الكاتب بين المحافظة والتجديد، ط ١، عمان-الأردن: دار عمّار- بيروت: دار الجيل، ص ٢١٣. (بتصرف يسير)

وخصوصيتنا، فإنَّ أول ما يقتضيه ذلك أن نبحث جادّين في المهمة الأخلاقية التعليمية لدولنا المعاصرة، وأن نسأل عن مدى الجدّية في مباشرتها، وعمّا إذا كان التّفوق الأخلاقيّ للدولة أمرًا واقعيًا، أو حديث خرافة. كما أنه يؤكّد أنّ التّفوق الأخلاقيّ لن يتمّ تمامه بغير ركيزتيّ العقل والإيمان، وذلك حسب التّعليم الإسلاميّ والفلسفة التّقديّة على حدّ سواء. ويجد أنّ لقيام دولة الأخلاق والتّعليم شروطًا وممهدات، وأنّها إذا أمكن لها أن تقوم على نحو أو آخر، في تاريخ هذه الأمة أو تلك؛ فإنّ قيامها في مثل عصرنا الماديّ شديد الظلمات يتطلّب: إراداتٍ صلبةً، وجهودًا مطردة لا تفتّر، ورؤىً مُستبصرةً شاملة، وأنّ على المرء ألا يقنط من إمكان ذلك، إذا تحالف العقل والإيمان فيه^(١).

وتتضح من مقالاته الفكرية معتقداته الشخصيّة التي يلمس فيها وعيه العميق للكثير من المسائل، وقد أبدى رأيه فيها دون تردد، كما تتضح رغبته الجادة في الإصلاح والتغيير والتعديل في الجوانب الحياتيّة كافةً.

- المقالة الفلسفيّة: هي المقالة التي تعرض للشؤون الفلسفيّة شرحًا أو تفسيرًا أو تحليلًا. وعلى الكاتب أن يبحث عن الأسس الحقيقيّة للموضوع، وينظر إليها نظرة إنسانيّة، كي تحافظ مقالته على قيمتها^(٢). والمقال الفلسفيّ أدى دورًا مهمًا في حياة الأدباء عامّة، ولا سيما إذا كان باللغة الحرّة التي تنبع من فكر فلسفيّ شديد التّدقيق. ويجب على كاتب المقال أن يُقدّم العقل على العاطفة لكي يحفظ قيمة مقاله^(٣).

و «وحي الآفاق» لم يخُل من المقالات الفلسفيّة؛ فقد انصرف العجلونيّ في آخر كتاباته المقالية إلى المقال الفلسفيّ الذي وجد فيه ملاذًا لتكوينه الفكريّ والثّقافيّ بالتأمّل في الحياة والكون والنفس البشريّة. تحدّث عن العقل والنفس والحسّ والروح والقلب والشكّ

(١) انظر: العجلوني، إبراهيم، (١٤٣٦هـ / ٢٠١٥م)، وحي الآفاق، ج ٢، ط ١، عمان - الأردن: أروقة للدراسات والنشر ص ٥٠-٥١.

(٢) انظر: نجم، محمد، فنّ المقالة، ص ١٣٢.

(٣) انظر: دليل، عبد الحميد، وبوزيادة، فاتح، (٢٠١٦ / ٢٠١٧)، فنّ المقال عند إبراهيم النويري: دراسة في الحجاج وتقنياته «أهمّ التحديات المعاصرة في طريق الدعوة الإسلامية» أنموذجًا، مذكرة لنيل شهادة الماجستير في اللغة والأدب العربي، الجزائر، جامعة العربي التبسي، ص ١٤ -

واليقين والعلل والأسباب والنسبي والمُطلق والأعماق والآفاق، وغير ذلك. وأغلب تعبيراته الفلسفية جاءت في العقل، ثم النفس البشرية، ثم موضوعات فلسفية متنوعة.

ومن مقالاته الفلسفية مقالته (عن الحسّ والعقل والروح) التي يرى فيها أن أعظم لذات الإنسان الحق هي لذات الروح، وأعظم الغبطة غبطتها؛ إذ تشعر بدفء مهادها الكوني في وجود مُتراحب الأرجاء مُسبح لله سبحانه. كما يرى أن الوعي الكوني في الإنسان مُهيأ بفطرته لشدان أبعاده خارج حدود مُعطى الحسّ والعقل، وإذا كان لهذين من قيمة حقيقية فهي أنهما خطوتان ضروريتان في معراجة الروحي. ولولا التباس الروح - التي هي من أمر الله سبحانه - بالطين، لما كانت معاناة الإنسان في التماس نقائه الأول ساعة كان في «أحسن تقويم»^(١). يتضح من مقالات العجلوني الفلسفية سُمُو فكره وتأمله العميق في العديد من القضايا الفلسفية، وفي الحياة وسبلها.

يتبين - بعد عرض موضوعات العجلوني المقالة، والنظر في مقالاته عموماً - سعة ثقافته ومعرفته، ومدى إبداعه في شتى الضروب؛ ففي مقالاته حمل لنا آراءه في الأدب والنقد والفكر والاجتماع والسياسة وفلسفته في الحياة، وأفصح عبرها عما يجول في خاطره من رغبة توافر مجتمع إنساني يسوده العدل والرحمة والألفة والمحبة، ويتحرر فيه الإنسان من قيود الجهل والعبودية والتقليد الأعمى وكافة القيود الأخرى. فقد ترك بصمة واضحة بأسلوب متميز وأفكار عميقة وواضحة، يدعو في أغلبها إلى الالتزام والتّمثّل بالدين الإسلامي، وأصوله، ومبادئه، وإلى السّمُو باللغة العربية الفصيحة لغة القرآن الكريم، وإلى نهضة عربية جديدة، فلم يكن أديباً حسّب، بل مُفكراً ومُصلحاً اجتماعياً وفيلسوفاً. كما يتبين من خلال ما عرض من معلومات جمّة في قالب مقالي، صلاحية هذه الأعمال والإبداعات لتكون رافداً من روافد المكتبات العربية؛ كي تثرى بما جاء فيها من كنوز معرفية وفكرية وعلمية وثقافية.

٢ - مقالات «وحي الآفاق»: ظواهر لغوية وفنية:

المقال ليس بنكاً للمعلومات حسب، وليست كلّ الغاية منه نقل العلوم والأفكار فقط؛ فلا بدّ أن يكون جذاباً مُستقطباً للقارئ، وأن يكون للكاتب وشخصيته حضوراً بارزاً فيه، وكذلك

(١) انظر: العجلوني، إبراهيم، وحي الآفاق ٢، ص ١٢٦ - ١٢٧.

أسلوبه في تناول الفكرة وعرضها، بل لا بد من هيمنة ذاتية الكاتب وخبراته الشخصية في الحياة العامة على مقاله.

«إنَّ كاتب المقال شخصٌ يُعبّر عن الحياة بلغة الحياة، ينقدها بأسلوبه الخاصّ، ولا ينظر إلى الحياة نظرة المؤرّخ أو الشّاعر أو الفيلسوف أو القصاص، ولكن يتوافر في فنّه شيء من كلّ ذلك، وليس يعنيه أن يكشف عن نظريّات، ولا أن يوجِد الصّلة بين أجزاءها المُختلفة، لأنّ طريقته في العمل أقرب إلى الأسلوب التحليلي، فهو يُراقب ويسجّل ما يُراقب، ويُفسّر الأشياء كما تبدو لناظره، ثمّ يدع خياله يمرّح في مغزاها. والغاية من هذا كلّهُ أن يحسّ إحساساً عميقاً بصفات الأشياء، ويُلقِي عليها نوراً واضحاً رقيقاً، لعلّه بهذا وذلك يستطيع أن يزيد النَّاسَ إحساساً بالحياة، وأن يهيئهم لما اشتملت عليه من المفاجآت المُفرحة حيناً، والمُحزنة حيناً آخر»^(١).

تختلف أساليب الكُتّاب حسب تنوّع ثقافتهم وتباين أمزجتهم وتعدّد طرائق تفكيرهم، فتختلف بناءً على ذلك قدراتهم التعبيرية وأساليبهم التصويرية. فتتغير طريقة الكتابة تبعاً لتغيير طريقة التفكير، نتيجة ازدياد الثقافة والاهتمام بالقضايا العامة، فصارت عبارات الكُتّاب تميل إلى القصر، واعتماد لونٍ طريفٍ في ترتيب الكلام وتبويه، وسوق المقال في الغالب لأداء فكرة واحدة، واستحداث صيغ جديدة لأداء معانٍ جديدة، والتخلّص من الأساليب التي لا تتفق مع قواعد العربية^(٢).

ومقالات «وحي الآفاق» تمثّل في شكلها الناضج تجربة العجلوني الذاتية، وإنّ القارئ لا يكاد يُفرّق بين أسلوب العجلوني في النّانة الأولى وبين أسلوبه بأخيرة من عُمره؛ وذلك لتمكّنه المُبكر من أصول الكتابة، فهو يبحّث عن الكمال، وهذا منعه من العجالة وحُبّ الظهور المُبكر. وبعد استواء كلماته يخرج على النَّاس، في حين يخرج البعض للنّاس ببضاعة مزجاة، وبأول نبض من عرق الفهم، يخرج للنّاس شاهراً قلمه فتبقى صورة الأديب الضّعيف، ومن يبدأ صغيراً يبقى صغيراً، ومن يبدأ كبيراً يظلّ كبيراً. فتجد العجلوني في مقالاته

(١) حمزة، عبد اللطيف، المدخل في فن التحرير الصحفي، ط ٤، دار الفكر العربي، ص ٣٧١-٣٧٢.

(٢) انظر: الدسوقي، عمر، (٢٠٠٧)، نشأة النثر الحديث وتطوره، القاهرة: دار الفكر العربي، ص ٩٦.

تلك يحافظ من خلال منهجه وأسلوبه على اللغة العربية ونقاء أسلوبها وبلاغتها، وعلى أصالة أبنية جملها، واستقامة ألفاظها. يقول: «إن لقرائنا، في مختلف مستوياتهم، الحق كل الحق في مطالبتنا بأن نحترم عقولهم وأذواقهم، وأن نخاطبهم بأساليب تليق بلغتنا الجميلة التي نعتز بها جميعاً»^(١).

فأسلوب العجلوني أسلوب مُتفرد؛ وذلك لإيمانه بأن ما يُطلب من الأديب يتجاوز حدود صحة اللغة واستواء العبارة، إلى ما هو أقرب إلى البيان الرفيع والأداء المتميز، فهو يرى أن على الأديب نقد نفسه أولاً، وعليه أن يدخل في مرحلة من الفعل الثقافي، تجب ما قبلها، وتتنبك سبل المداهنة على حساب الحق، حتى يكون الأديب أقرب إلى ما يرضي ضميره ووعيه الذي نذر عمره لتحصيله^(٢). فالذي يقرأ مقالات العجلوني يلحظ ثقافة لغوية عالية، مُتكئة على الكينونة والوجود، فهو ينشر ما في قلبه وخاطره في نثره دون خوف أو تردد، ويلجأ حيناً إلى تحليل ما يقول، وحيناً آخر ينقد ما يقول نقداً موضوعياً، كما أنه يحترف دمج ذاته في الجماعة والمجتمع.

وفيما يلي أبرز الظواهر اللغوية والفنية التي اتبعتها العجلوني في سرده لمقالات «وحي الآفاق»؛ والتي أضافت لمقالاته التشويق والإمتاع والإقناع والجمال: بناء المقال، والتناص، والرموز والشخصيات، والتكرار، والصور البيانية، والحوار.

- بنية المقالة عند العجلوني: ويقصد ببناء المقالة الخطة التي تقوم عليها، من مقدمة و عرض وخاتمة. فالمقدمة تتكون من معلومات مُتصلة بصلب الموضوع وممهدة له. ويكون العرض في صلب الموضوع مؤيداً بالحجج والبراهين، مؤدياً إلى الخاتمة التي تكون نتيجة للمقدمة وصلب الموضوع، وتحوي على الذي أراد الكاتب إثباته. «ينبغي أن تكون المقالة متماسكة البناء، متألّفة الأجزاء، ألفاظها على قدر معانيها، ومعانيها مُلائمة لغرضها. والتصميم الدقيق للمقالة يتكوّن من ثلاثة أجزاء، هي:

١ - المُقدمة.

(١) العجلوني، إبراهيم، الشذرات ٢، ص ١٨٠.

(٢) انظر: المصدر نفسه، ص ٢٤٢ - ٢٤٣.

٢- العرض (صلب الموضوع).

٣- الخاتمة^(١).

- المقدمة : للمقدمة الناجحة شروط، ومنها :

- اشتمالها على الفكرة الرئيسية أو المُسيطرة (الجملة المفتاحية).
- الصياغة المُحكمة والخلو من أخطاء اللغة والأسلوب، واستعمال علامات التّرقيم.
- عدم التّصريح أو الكشف عن المغزى الخاصّ للمقال؛ لأنّ ذلك لن يُشجّع القارئ على الاستمرار في القراءة.
- خلوّها من أيّ كلمة أو عبارة يُفهم منها أنّ الكاتب يزدهي بنفسه من خلال الأفكار التي يُقدّمها، أو الاستخفاف بأراء الآخرين الذين تناولوا الموضوع نفسه في السّابق، فقد يؤديّ هذا إلى انصراف القراء عن قراءة المقالة^(٢).

والعجلونيّ خير من تمثّل لهذه الشّروط في مقالاته، فتجد مُقدّماتها تُمهّد للموضوع الرّئيس قبل ولوجه إليه، وهو يصيغها صياغةً مُحكمة قويّة تجذب القارئ إلى الموضوع وإتمامه حتّى نهايته. وطُرق العجلونيّ في تقديم مقالاته مُتنوّعة، فهو لا ينهج النهج ذاته للتّقديم في كافّة مقالاته، بل يراوح ما بين أن يبدأ مقالته بسؤال يلقيه على القارئ، أو أن يبدأ بتناول شخصيّة بارزة، أو أن يبدأ برأي من آرائه أو فكرة من أفكاره، أو يبدأ بحقيقة من الحقائق أو مسلّمة من المُسلّمات، أو يتناوله سيرته الذاتيّة، أو يستهل بداية مقالته بمصطلح أو مفهوم ما، أو بالحديث عن الأمم السّابقة، أو بتضمين بيت شعريّ أو آية قرآنيّة أو حديث شريف أو مثل أو حكمة، وغير ذلك العديد من أساليبه في بدء وتقديم المقال.

جاءت أغلب مقدّماته المقاليّة في عرضه فكرةً من أفكاره، أو رأياً من آرائه؛ لذلك سنكتفي بذكر مثال على هذا النوع من المقدّمات لديه؛ وذلك لتنوّعها وتعدّدها. منها ما ابتدأ به إحدى

(١) محمد، حسين علي، (١٤٣٢هـ / ٢٠١١م)، التحرير الأدبي: دراسات نظرية ونماذج تطبيقية، ط٧، مكتبة العبيكان، ص١٦٢.

(٢) انظر: خليل، إبراهيم، والصمادي، امتنان، فن الكتابة والتعبير، ط١ (١٤٢٩هـ / ٢٠٠٨م) - ط٢ (١٤٣٠هـ / ٢٠٠٩م)، عمان- الأردن: دار المسيرة، ص١٤٠.

مقالاته بقوله: «أنا من الذين يذهبون إلى أن اللغة توقيف في أصل نشأتها، وأنها قامت مُكتملة الأسس في بصيرة الإنسان، وأنها لم تخلق بتواطؤ البشر على ألفاظها ومعانيها...»^(١).

يتبين القارئ لتلك المقدمات، تنوع وتشكيل العجلوني في مُقدّماته بألوان شتى، جعلها مدخلاً وافتتاحاً لموضوعه الرئيس الذي يريد عرضه، وأنّ العجلوني بهذه المُقدّمات المُتنوّعة يهدف إلى جذب القارئ وتشويقه لإتمام المقالة لآخرها؛ حتى يتبين له مرامي وغايات هذا الكاتب بهذه المُقدّمة المُشوّقة، فيملؤه الفضول لمعرفة الموضوع الذي يريد طرحه.

- العَرَض :

هو إظهار الشيء، فيقال: عرضته له، أي: أظهرته له، وأبرزته إليه، ومن هنا سُمّي لبّ الموضوع وجوهره (العَرَض)؛ لأنّه هو السبب في إظهار الموضوع إظهاراً قوياً، ولا يستكمل هذا الإظهار إلّا بالأخذ بعدّة شروط، منها:

١- الأفكار: العرض يتكوّن من أفكار عديدة، وكلّ فكرة تحتاج إلى دليل أو برهان أو أدلّة توضّحها.

٢- الفقرات: كلّ فكرة جزئية من العرض تُذكر في فقرة واحدة، ولا بدّ أن تكون محدّدة في حجمها وبدايتها ونهايتها، وربّما تطول أو تقصر.

٣- الجمل واللفظ: قد تكون جملاً سردية، وقد تمتزج بشيء من الاستفهام والتساؤل والتوكيد والتعجب، وقد تكون تفسيرية، وغير ذلك. والترقيم ضروريّ بين هذه الجمل، وكذلك اختيار اللفظ المناسب.

٤- الوحدة العضوية: من الضروريّ أن تتعاقب الأفكار من أولها إلى آخرها من غير تناقض أو اضطراب؛ لتبدو كأنّها جسم واحد. فالوحدة الموضوعية من ضرورات العرض؛ وإذا فقدنا الوحدة الموضوعية وتجانس الأفكار فقدنا الموضوع الذي نبتغيه^(٢).

بعد أن ينتهي العجلوني من مُقدّمة مقالته التي تكون مُمهّدة لدخوله الموضوع الذي

(١) انظر: العجلوني، إبراهيم، وحي الآفاق ١، ص ١٦٣.

(٢) انظر: صبيح، إبراهيم، وآخرون، (١٩٩٧)، فن الكتابة والتعبير، عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع، ص ١٩-٢٠.

يطرحه، ينصرف إلى صُلب الموضوع الذي يعرض فيه الفكرة الرئيسيّة، فتكون هذه المساحة هي المساحة الذي يتناول فيها فكرته، فيقويها بالحجج والأدلة والبراهين.

«يعتمد النّجاح في كتابة العرض وتنظيمه، على غزارة الأفكار التي يتضمّنهما المقال، وعلى ما لدى الكاتب من الأمثلة والقرائن التي يلجأ إليها في تعزيز أفكاره، والدّفاع عنها، وإقناع القُراء بصحّتها»^(١).

والعجلونيّ في مقالاته في «وحي الآفاق»، خير من أيّد موضوعاته وأطاريحه بالحجج والأمثلة والأخبار والأقوال، فكان يذكر ما يجول في خاطره دونما أيّ تردّد منه، ولا يترك ما يقول دون أن يتبعه بدلائل وبراهين؛ حتّى يكون كلامه مقنعاً لنفسه قبل أن يقنع القارئ.

ولقد سبقت الإشارة لبعض مقالات العجلونيّ أثناء عرض أنواع مقالاته؛ لذلك سنتجاوز عن هذا القسم، لأننا سنذكر تضميناته التي جاء بها في صلب موضوعاته لاحقاً.

- الخاتمة :

وهي ما يُنهي به العجلونيّ كلامه وأفكاره وموضوعاته، فيخلص إلى نهاية يراها مناسبة للموضوع العام؛ لينتهي إلى النتيجة العامّة التي يرجوها للمقالة، فيذكر ما توّصل إليه في ختامها.

فبعد الانتهاء من مراجعة المقالة، وتصحيح الأخطاء إن وجدت، وإضافة علامات التّرقيم المناسبة، يتم جمع العبارات الدّالة في العرض، ويُعاد النّظر فيها، وتُصاغ بطريقة تجعل منها خاتمة مناسبة للموضوع^(٢).

ولللخاتمة شروط، منها:

١- أن تخلو من الأخطاء.

٢- أن تخلو من أيّ كلمة أو عبارة تدلّ على أنّ الكاتب يفرض رأيه على القارئ.

٣- أن تخلو ممّا ورَدَ في المُقدّمة.

(١) خليل، إبراهيم، والصمادي، امتنان، فن الكتابة والتعبير، ص ١٤١.

(٢) انظر: المرجع نفسه، ص ١٤٢-١٤٣.

٤- أن تكون مُعبّرة عن خلاصة النَّصِّ ومغزاه^(١).

وقد ختم العجلونيّ مقالاته بطرق مُتنوّعة وبأساليب مُختلفة؛ ومنها أن يختتمها بأية قرآنيّة، أو بيت شعريّ، أو بدعاء، أو بمثل سائر وقول مأثور، أو بصورة فنيّة، أو بسؤال، أو بتعجّب، أو بإحالة القارئ إلى كتب مُعيّنة لقراءتها، أو بقول لأحد الأشخاص ليدعم فكرته التي طرحها، أو من خلال صورة فنيّة؛ ليعطي المعنى الذي يريد إيصاله جماليّة وتوكيداً في آن، وغير ذلك الكثير من خواتيم مقالاته.

ومن هذه الأساليب التي قد يختم بها العجلونيّ مقالاته (الاقْتِباس) من آيات الله تعالى. وسنبين معناه لاحقاً. ومن ذلك قوله: «ومهما يكن الأمر في أساليب الحضور في منابر الثقافة المختلفة، وفي كونها ممّا ينأى عن انتهاجه المبدعون الحقيقيّون والكتّاب المُتمكّنون، فإنّ ممّا نظمّن إليه أنّ الرّمن كفيف بأن يعود كلّ أمر إلى نصابه، وأن تأخذ الأشياء أحجامها الحقيقيّة، وأن يذهب الرّبد -الذي قد يسدّ الطّرقات أحياناً- جفاء، فلا يتبقّى على اختلاف الليل والنّهار إلّا النّافع من الآداب والأفكار»^(٢). وهذا اقتباس من آية من سورة الرّعد: «فأمّا الرّبدُ فيذهبُ جُفَاءً» (الرّعد: ١٧).

كانت هذه أغلب طرق العجلونيّ في ختام مقالاته. ويتبيّن لقارئ مقالاته تنويعه في أساليب ختامه لها، وهذا التّنويع مفاده إمتاع القارئ؛ وذلك لأنّ «وحي الآفاق» يشتمل في أجزائه الثّلاثة على مقالاته ولا شيء غيرها، فلو كانت طريقتة في إنهاء المقالات جميعها على ذات النّهج، لمَلّ القارئ وما أحسّ بالمتعة والتشويق في أثناء تنقله من مقالة لأخرى. فكانت مقالاته برمتها وبكلّ أجزائها، من مُقدّمة وعرض وخاتمة، مُتنوّعة وهادفة وجاذبة ومُشوّقة.

- التّناس: هو تداخل النّصوص بعضها ببعض، فيعمد الكاتب إلى تضمين نص ما فيما يكتب، أو إلى اقتباس من نصوص أخرى. وقد يكون هذا التّناس من القرآن الكريم، أو من الأحاديث النّبويّة الشّريفة، أو من أشعار الشّعراء، أو من الأقوال المأثورة، أو من الأمثال والحكم، أو من أقوال بعض العلماء المشهورة. ويلجأ الكاتب إلى التّناس؛ كي يكون ما يذكره دليلاً وحجّة وبرهاناً على ما يقول؛ و«يُشير المُصطلح إلى الفعاليّة المُتبادلة بين

(١) انظر: المرجع نفسه، ص ١٤٣.

(٢) العجلوني، إبراهيم، وحي الآفاق ٢، ص ٧٣.

النَّصُّوص، فيؤكِّد عدم انغلاق النَّصِّ على نفسه، وانفتاحه على غيره من النَّصُّوص، وذلك على أساس مبدأ مؤدَّاه أنَّ كلَّ نصٍّ يتضمَّن وفرة من نصوص مُغايرة، يتمثَّلها ويحوِّلها بقدر ما يتحوَّل ويتحدَّد بها على مستوياتٍ مُتعدِّدة. وتعدَّ جوليا كريستفيا أوَّل من صاغَ هذا المُصطلح^(١).

فجوليا كريستفيا ترى أنَّ «النَّصِّ مجموعة من النصوص أو لوحة فسيفسائية من النَّصُّوص»^(٢). فالتَّنَاص، هو «تعالق (الدَّخول في علاقة) نصوص مع نص حدَّث، بكيفيَّات مُختلفة»^(٣). والتَّضمين هو أن يأخذ الشَّاعر أو النَّاثِر، آيةً أو حديثاً أو حكمةً أو مثلاً أو شطراً أو بيتاً من شعر غيره، بلفظه ومعناه^(٤). أمَّا الاقتباس، فهو أن تُدرج كلمة من القرآن، أو آية منه في الكلام تزييناً لنظامه، وتضخيماً لشأنه^(٥)؛ فهو تضمين الكلام كلمة من آية أو آية من آيات كتاب الله، أو حديثاً من أحاديث الرِّسول صلَّى الله عليه وسلَّم^(٦). وأجازَ البعض التَّغيير الطَّيف الذي قد يُصاحب عمليَّة الاقتباس^(٧). والفرق بين التَّضمين والاقتباس هو أنَّ الاقتباس من الممكن أن يُجري عليه الكاتب بعض التَّغيير.

وسنعمد إلى دراسة أسلوب التَّنَاص عند العجلونيِّ، بتقسيمه إلى: تضمين واقتباس، على أنَّ التَّضمين نقل حرفيٍّ من النصوص الأخرى، والاقتباس أن يورد لنا نصّاً آخر مع إجراء تغيير فيه. هذا لما تحويه مقالات «وحي الآفاق» من النَّصُّوص، سواء أكانت كما هي في مصدرها، أم كانت بتغيير العجلونيِّ عليها. فهو يميل إلى دَعْم فكرته أو تحسينها بما يخترنه عقله من ثقافة موروثه ومقروءة، فيمنح من خلالها النَّصِّ بُعداً دلاليّاً وحجاجياً واسع المسافة.

(١) مجموعة مؤلِّفين (جامعة القدس المفتوحة)، (٢٠٠٣)، مناهج النقد الأدبيِّ الحديث، ط ٢، عمان: نشر جامعة القدس المفتوحة، ص ٢٧.

(٢) المرجع نفسه، ص ٢٢.

(٣) كالك، عبد الفتاح، (٢٠١٥)، التَّنَاص: دراسة نقدية في التَّأصيل لنشأة المصطلح ومقارنته ببعض القضايا النقدية القديمة «دراسة وصفية تحليلية»، ص ٩.

(٤) انظر: مصطفى، إبراهيم، وآخرون، (١٩٨٩)، المعجم الوسيط، جزء ١، باب (ضمن)، إسطنبول: مؤسسة دار الدعوة، ص ٥٤٤.

(٥) انظر: طبانة، بدوي، (١٩٨٧)، معجم البلاغة العربية، لبنان: دار الجيل، ص ٥١٩.

(٦) انظر: الحلبي، شهاب الدين، (ت ٧٥٢هـ)، حسن التوسل إلى صناعة الترسُّل، تحقيق: أكرم عثمان موسى، بغداد: دار الرشيد، (١٩٨٠)، ص ٣٢٣.

(٧) انظر: بدري، حكمت فرج، (١٩٨٠)، معجم آيات الاقتباس، دار الرشيد للنشر، ص ١٠.

* التضمين: ملئت مقالات العجلوني في شتى زواياها، بالعديد من التضمينات. وللعجلوني أساليب متنوعة في التضمين؛ فأحياناً يُضمّن آيات من الذكر الحكيم، وأحياناً أخرى يُضمّن أحاديث الهادي المصطفى محمد صلى الله عليه وسلم، وفي بعض الأحيان يُضمّن آياتاً شعريّة، وأحياناً يُضمّن أقوالاً مأثورة وأمثالاً، وغير ذلك الكثير.

ونظراً لاتساع الموضوع سنكتفي بذكر مثال على تضمينه أقوال الرسول صلى الله عليه وسلم في مقالاته: «ويقول نقض الدعوى: إنّ رسول الله صلى الله عليه وسلم قد قال: «إنّ من الشّعر لحكمة». كما قال: «وإنّ من البيان لسحراً»^(١).

* الاقتباس: جاء في مقالات العجلوني الكثير من الاقتباسات، وقد ذكّر مثال عليه في أثناء الحديث عن ختامه مقالاته. وللعجلوني أساليب متنوعة في الاقتباس؛ فأحياناً يقتبس من القرآن الكريم، وأحياناً من الحديث الشريف، وأحياناً أخرى من أقوال مأثورة وحكم وأمثال، وغير ذلك.

ومن أمثلة اقتباسه من آيات الذكر الحكيم اقتباسه آية من القرآن الكريم في عنوان مقالة له، إذ جعلَ عنوانها: (سرابٌ بقيعة يحسبه الظمآن ماء!)^(٢)؛ فهذا العنوان اقتبسه من قوله تعالى: «والذين كفروا أعمالهم كسرابٍ بقيعةٍ يحسبه الظمآن ماءً حتى إذا جاءه لم يجده شيئاً ووجد الله عنده فوفاه حسابهُ والله سريع الحساب» (النور: ٣٩).

- استدعاء الشخصيات التراثية: وهو من أهم الظواهر التي تُثري النص الأدبي؛ تُسهّم في تشكيل رؤيا الأديب تجاه قضايا عصره بربطه الحديث بالقديم، فتجمعه أو اصر قوّة وفاعلة بالتراث، تُبين وعيه بموروثه الإنساني والثقافي، فيعزّز بذلك النصّ بجماليّات ودلالات مختلفة، من خلال استدعائه الشخصيات التراثية. واستدعاء الشخصيات المقصود هنا هو أن يذكر الأديب شخصية تراثية معيّنة، أو يُخبر عنها؛ بغية التعبير من خلالها عمّا يجول في خاطره بطرق مختلفة.

«يُعدّ التراث بمصادره المختلفة منجم طاقاتٍ إيحائية لا ينضب له عطاء، فعناصر هذا التراث ومعطياته لها من القدرة على الإيحاء بمشاعر وأحاسيس لا تنفد، وعلى التأثير في

(١) العجلوني، إبراهيم، وحي الآفاق ١، ص ١٣٨.

(٢) انظر: العجلوني، إبراهيم، وحي الآفاق ١، ص ١٥٦.

نفوس الجماهير، ما ليس لأبيّ مُعطيات أخرى يستغلّها الشّاعر، حيث تعيش هذه المُعطيات التّراثيّة في أعماق النّاس تحفّ بها هالة من القُداسة والإكبار، لأنّها تُمثّل الجذور الأساسيّة لتكوينهم الفكريّ والوجدانيّ^(١).

إنّ تعامل الأديب مع التّراث والموروث لا يعني نقله كما هو أو إعادة صياغته أو تقليده، بل أن يوظفه توظيفاً فنيّاً يُعينه على الإفصاح عن تجربته المعاصرة، وتجسيد رؤيته الجديدة، بشكل لا تغيب معه شخصيّته أبداً بل تكون دائمة الحضور في نصّه؛ بعدّها العنصر الجديد الفاعل الذي يتحكّم بطبيعة العناصر القديمة وتشكيلها ودخولها في علاقة ما مع نصّه^(٢).

والعجلونيّ من خلال مقالاته يتبيّن أنّه مُطلّع على العديد من المصادر التّراثيّة المليئة بالشّخصيات والسّير، فلا ينفك يفيد منها ومما جاء فيها من شخوص، فيلجأ إلى استدعائها في بطون مقالاته، فلا يقتصر عمله على ذكر الشّخصيّة وسرد أحداثها فقط، بل يستخدمها كي تكون مدخلاً لمحوّر حديثه، أو كي تكون بما يُخبر عنها مؤيّد لفكره ومعتقداته. والشّخصيات التّراثيّة التي اشتملت عليها مقالات العجلونيّ في كتابه المنشود، جاءت مُتنوّعة، فهو يستحضر شخصيات دينيّة وأدبيّة وتاريخيّة وغير ذلك.

إنّ استدعاء الشّخصيات التّراثيّة وموقفه منها جاء في عدّة صور، كالّتحدّث من خلالها، أو التحدّث عنها، أو التحدّث إليها:

* التحدّث من خلال الشّخصيّة: في هذا النوع من الاستدعاءات، يذكر العجلونيّ الشّخصيّة وشيئاً من أقوالها أو من صفاتها، ثمّ يجعل ما أورده أساساً ومُنطلقاً لكلامه الذي يريد عرضه ويحمل فكره ورأيه في بعض الأمور من حوله، وبهذا يربط السّابق باللاحق.

ومن أمثلة هذا النوع ذكره بعض آراء الشّريف المرتضى وتعقيبه عليها. يقول: «وإذا كان الشّريف المرتضى قد أوجّب في أماليه على مَنْ يتعاطى غريب الكلام والشّعر (أنّ يذكر كلّ ما يحتمله الكلام من وجوه المعاني) لما يراه من أنّه (يجوز أن يكون المُخاطب أراد كلّ واحدٍ منها مُنفرداً)، وقد انتهى إلى أنّ مُراد المُخاطب مغيب عن الناظر، و(أنّ أكثر ما يلزمه

(١) الكوفحي، إبراهيم، (٢٠٠٧)، محنة المبدع: دراسات في صياغة اللغة الشعرية، عمان: منشورات أمانة عمان، ص ٤٣.

(٢) انظر: المرجع نفسه، ص ٤٣ - ٤٤.

ما ذكرناه من وجوه احتمال الكلام؛ فإنَّ مِنْ مُقتضى هذه القاعدة في الفهم ألا نكتفي بوجه واحد من وجوه الدلالة فيما يغمرنا به الإعلام من كلام، وأن نَظْلَ نردُّ مفردات الخطاب إلى مظانها من حقائق التاريخ ومكامن الغرائب ومخبات الصدور، لأنَّ ذلك هو منهج كشف المرادات ودفع الائتمارات، أو منهج تنزيل الكلام على مراميه ومقصوداته»^(١).

* التحدّث عن الشخصية: وفي هذا النوع يتحدّث العجلوني عن الشخصية التي يستدعيها، كأن يتحدّث عن مناقبها وصفاتها، أو أعمالها ونتائجها. ومن أمثلة ذلك حديثه عن رسولنا الكريم محمد صلّى الله عليه وسلّم: «لقد وُصِفَ سيّدنا مُحَمَّدٌ صلوات الله وسلامه عليه بأنّه (قرآن يمشي على الأرض)، وبأنّ (خُلِقَ هو القرآن). وإنّ ممّا قاله رسولنا العظيم لأوّل بعثته: (والله لو وضعوا الشّمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته أو أهلك دونه)، وكانت قريش قد بدّلت له المال والمُلك حتّى يترك دعوته فجهها بهذا الردّ الواضح الصّريح. لا ريب أنّ لرجل الإصلاح قدوته الدائمة في رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، وقد كان عليه صلوات الله وسلامه في غنى من نفسه وفي حصانة من أخلاقه في آن»^(٢).

* التحدّث إلى الشخصية: وفي هذا النوع يوجّه العجلوني كلامًا مباشرًا للشخصية التي استدعاها، أو يتساءل عمّا كان سيكون رأيه في كذا وكذا، لو أنّه كان حاضرًا. ومن ذلك ما ذكره العجلوني من مقتطفات من رسائل كان يبعثها جبران خليل جبران من الولايات المتّحدة الأمريكية إلى ميخائيل نعيمة، ومي زيادة، وفيلكس فارس، عن مدى إحساسه بالغرابة، في حين كان الكثير من الناس يظن أنّه وجدّ فيها ملاذًا آمنًا. ثم يقول العجلوني في نهاية كلامه: «ترى ماذا يكون من شأن جبران لو امتدّ العمر به إلى يومنا هذا، حيث يتعرّض العربيّ في أمريكا إلى ألوان من القهر والاعتناف، ويبتهم لمجرد كونه عربيًّا بالدمويّة والعنف والتّخريب؟»^(٣).

- التكرار: يُعدُّ التكرار من الطّواهر الأسلوبية والفنية التي تُستخدم في النصوص الأدبية التي وظّفها الأدباء في شعرهم ونثرهم منذ القدم، وحتّى يومنا هذا. والتكرار هو «أن يكرّر

(١) انظر: العجلوني، إبراهيم، وحي الآفاق ١، ص ٢٧٠.

(٢) العجلوني، إبراهيم، وحي الآفاق ٢، ص ١٥٦ - ١٥٧.

(٣) انظر: العجلوني، إبراهيم، وحي الآفاق ١، ص ٣٧١ - ٣٧٢.

المُتَكَلِّمُ اللَّفْظَةَ الْوَاحِدَةَ بِاللَّفْظِ أَوْ الْمَعْنَى»^(١). ومن مُسَمِّيَاتِهِ «التَّكْرَارُ، وَقَدْ يُقَالُ التَّكْرِيرُ، فَالْأَوَّلُ اسْمٌ، وَالثَّانِي مُصَدَّرٌ مِنْ كَرَّرْتُ الشَّيْءَ إِذَا أَعَدْتَهُ مَرَارًا، وَهُوَ عِبَارَةٌ عَنْ تَكْرِيرِ الْكَلِمَةِ فَأَكْثَرَ بِاللَّفْظِ أَوْ الْمَعْنَى»^(٢). وَالتَّكْرَارُ قَدْ يَكُونُ بِكَلِمَةٍ وَاحِدَةٍ، أَوْ بِأَكْثَرِ (أَيَّ بِجُمْلَةٍ)، إِمَّا بِتَكَرُّرِ الْكَلَامِ بِنَفْسِ لَفْظِهِ، أَوْ بِمَعْنَاهُ.

وَالعَجَلُونِيُّ فِي مَقَالَاتِهِ لَجَأً إِلَى التَّكْرَارِ فِي مَوَاطِنٍ مُخْتَلِفَةٍ؛ لِتَأْكِيدِ مَا يَرِيدُ أَنْ يَقُولَ. وَالتَّكْرَارُ كَغَيْرِهِ مِنَ الظُّوَاهِرِ الْأَسْلُوبِيَّةِ لَهُ فَوَائِدُ وَغَايَاتُ، وَلَقَدْ حَدَّدَ الْقَدَمَاءُ مَعَانِيَ التَّكْرَارِ وَغَايَاتِهِ، وَلَعَلَّ أَهْمَهَا: التَّشْوِيقُ، وَالاسْتِعْذَابُ، وَالتَّنْوِيهِ، وَالإِشَارَةُ، وَالتَّعْظِيمُ، وَالتَّوْبِيخُ، وَالتَّهْدِيدُ وَالْوَعِيدُ، وَالْمَدْحُ، وَالذَّمُّ وَالهِجَاءُ، وَغَيْرَ ذَلِكَ^(٣).

وَسَنَعْرُضُ لِلتَّكْرَارِ عِنْدَ الْعَجَلُونِيِّ مِنْ خِلَالِ تَقْسِيمِهِ إِلَى: تَكَرُّرِ الْحَرْفِ، وَتَكَرُّرِ الْكَلِمَةِ، وَتَكَرُّرِ الْجُمْلَةِ (التَّرْكِيبِ)، سِوَاهُ كَانَ فِي الْكَلَامِ ذَاتَهُ، أَمْ بِمَعْنَاهُ (فِي الْكَلِمَةِ وَالْجُمْلَةِ):

* **تَكَرُّرِ الْحَرْفِ:** وَهُوَ تَكَرُّرُ حُرُوفٍ بَعَيْنِهَا فِي الْكَلَامِ، وَيَعْدُ مِنْ أَبْسَطِ أَنْوَاعِهِ، وَتَكَرُّرُ الْحُرُوفِ يُؤَدِّي دَوْرًا عَظِيمًا فِي الْمَوْسِيقَى اللَّفْظِيَّةِ، فَقَدْ تَشْتَرِكُ الْكَلِمَاتُ فِي حَرْفٍ وَاحِدٍ أَوْ أَكْثَرَ، فَيَكُونُ لِهَذَا الْإِشْتِرَاكِ فَائِدَةٌ مَوْسِيقِيَّةٌ، وَقِيَمَةٌ نَعْمِيَّةٌ، تُوَدِّي إِلَى زِيَادَةِ رِبْطِ الْأَدَاءِ بِالْمُضْمُونِ^(٤). وَتَكَرُّرُ الْحُرُوفِ عِنْدَ الْعَجَلُونِيِّ يَكْثُرُ فِي ثَنَائِهِ مَقَالَاتِهِ، وَهُوَ مَا أَضَافَ إِلَيْهَا أَنْغَامًا مَوْسِيقِيَّةً يَسْتَمْتَعُ بِهَا الْقَارِئُ وَبِجَرَسِهَا الْمَوْسِيقِيِّ. وَمِنْ أَمْثَلَتِهِ قَوْلُهُ: «مِنْ حُضُورٍ مَنظُورٍ وَمِنْ عَجِيبِ هَيْلِمَانَ فِي جَائِمِ الزَّمَانِ»^(٥). وَتَجَدُّهُ هُنَا فِي الْكَلِمَاتِ: (حُضُورٍ - مَنظُورٍ)، (هَيْلِمَانَ - الزَّمَانِ).

-
- (١) البغدادي، عبد القادر، (ت ١٠٩٣هـ)، خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب، ج ١، ط ٢، تحقيق: عبد السلام محمد هارون، مصر: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٧م، ص ٣٦١.
- (٢) ابن معصوم، علي صدر الدين، (ت ١١٢٠هـ)، أنوار الربيع في أنواع البديع، ج ٥، تحقيق: شاکر هادي شکر، النجف الشريف: مطبعة نعمان، ١٩٦٩، ص ٣٤٥.
- (٣) انظر: القيرواني، ابن رشيقي، (٢٠٠١)، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، ج ٢، تحقيق: عبد الحميد هندراوي، بيروت - لبنان: المكتبة العصرية، ص ٩٢ - ٩٤.
- (٤) انظر: القاضي، نعمان، (١٩٨١)، أبو فراس الحمداني: الموقف والتشكيل الجمالي، مصر: دار الثقافة للنشر والتوزيع - دار التوفيق النموذجية للطباعة والجمع الآلي، ص ٥٠١.
- (٥) العجلوني، إبراهيم، وحي الآفاق ١، ص ١٢٧.

* تكرر الكلمة: هو تكرر اللفظة الواحدة غير مرّة، وهو ما جاء في النحو بمسمّى التّوكيد اللفظي، ويعني تكرر الكلمة ذاتها مرّتين، وقد تكون اسمًا أو فعلًا أو غير ذلك، باللفظ أو المعنى.

يعد تكرر الكلمة أبسط أنواع التّكرار وأكثرها شيوعًا، وهو التّكرار الذي وقف عليه القدماء كثيرًا، وأسّموه (التّكرار اللفظي)، وقاعدته الأولى أن يكون اللفظ المُكرّر وثيق الصّلة بالمعنى العام للسياق الذي يرد فيه، وإلا يكن مُتكلّفًا لا فائدة منه^(١). و «تكرار الكلمات يَمْنَح النَّصَّ امتدادًا وتناميًا في الصّور والأحداث، لذلك يُعَدُّ نقطة ارتكاز أساسية لتوالد الصّور والأحداث وتنامي حركة النَّصِّ»^(٢).

وينقسم تكرر الكلمة في مقالات العجلونيّ إلى قسمين: تكرر اللفظة، وتكرر معنى اللفظة. أمّا تكرر اللفظة الواحدة فمقالاته مليئة بهذا الأسلوب، ومن أمثلة ذلك قوله: «هيهات هيهات لما يوعدون»^(٣). هنا كرّر (هيهات) لتوكيد ما يريد، وهي اسم فعل ماض بمعنى بَعْدَ. وأمّا تكرر الكلمة المعنويّ، أي تكراره كلمة أو أكثر لها معنى الأولى، فلّه مواطن عديدة بين سطور مقالاته، ومن أمثلة ذلك ما قاله في إحدى مقالاته: «إذ هي سوق لا يروج فيها إلاّ البهارج والزّيوف، على ما هو لذوي البصائر معروف ومكشوف»^(٤). وتكراره هنا جاء في: (زيوف) وتعني (بهارج)، و(مكشوف) وتعني (معروف). وهو كأَيّ نوعٍ من التّكرار غايته التّوكيد.

* تكرر الجملة: وهو أن تعاد أو تُكرّر الجملة مرّتين أو أكثر، على نحو ما يكون في التّكرار اللفظي للكلمة، من تكرر السياق ذاته، أو تكرر معناه.

ولمقالات العجلونيّ الحظّ الأوفر من تكرر الجمل والتراكيب؛ فتجده تارة يكرّر الجملة نفسها، وتارة يلجأ إلى ذكر الجملة ويكرر معناها. ومن أمثلة تكرر الجمل عيناها ما جاء في مقالة له: «كان هناك أثرياء ولكنهم لم يُكوّنوا طبقة رأسماليّة، وكان هناك حرفيّون ولكنهم

(١) انظر: عاشور، فهد ناصر، (٢٠٠٤)، التكرار في شعر محمود درويش، ط ١، عمان - الأردن: المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ص ٦٠.

(٢) الغرني، حسن، (٢٠٠١)، حركية الإيقاع في الشعر العربيّ المعاصر، المغرب: إفريقيا الشرق، ص ٨٤.

(٣) العجلوني، إبراهيم، وحي الآفاق ٢، ص ١١٢.

(٤) المصدر نفسه، ص ٥٩.

لَمْ يُكُونُوا طَبَقَةَ عُمَالِيَّةٍ، فَكُلَّ مَا وُصِفُوا بِهِ أَنَّهُمْ (أصناف)، وَكَانَ هُنَاكَ مُلَّاكٌ أَرْضَ وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُكُونُوا طَبَقَةَ إِقْطَاعِيَّةٍ...»^(١). فِي هَذَا النَّصِّ كَرَّرَ جَمَلَتَيْنِ ثَلَاثَ مَرَّاتٍ، وَهُمَا (كَانَ هُنَاكَ) وَ(وَلَكِنَّهُمْ لَمْ يُكُونُوا طَبَقَةَ).

أَمَّا عَنْ تَكَرُّرِ الْجُمْلَةِ وَالتَّرَاكِيْبِ بِجُمْلَةٍ أُخْرَى تَحْمِلُ الْمَعْنَى ذَاتَهُ، فَمِنْهُ قَوْلُهُ: «أَوْ فِي حَالَةٍ ضَعْفٍ تُغْرِي بِتَشْدِيدِ الْقَبْضَةِ وَإِحْكَامِ الطُّوقِ عَلَيْهِ»^(٢). وَهُنَا (تَشْدِيدِ الْقَبْضَةِ) وَ(إِحْكَامِ الطُّوقِ) تَحْتِمَلَانِ الْمَعْنَى نَفْسَهُ، وَهُوَ الْحِصَارُ.

كَانَتْ هَذِهِ أَسَالِيْبُ التَّكَرُّارِ عِنْدَ الْعَجْلُونِيِّ فِي (وَحْيِ الْآفَاقِ) مِنْ خِلَالِ حُرُوفٍ أَوْ كَلِمَاتٍ أَوْ تَرَكَيبِ مَقَالَاتِهِ. وَنَخْلَصُ هُنَا إِلَى أَنَّ التَّكَرِيرَ لَدَيْهِ مَنَحَ مَقَالَاتِهِ جَمَالِيَّةً مُوسِيقِيَّةً، جَاذِبَةً وَمُشَوِّقَةً لِلْقُرَّاءِ، تَجْعَلُهُمْ لَا يَشْعُرُونَ بِالْمَلَلِ أَوْ الضَّجْرِ أَثْنَاءَ قِرَاءَتِهِمْ. وَكَانَ قُوَّةً تَأْكِيدِيَّةً لِمَا يَرِيدُ إِيْصَالَهُ مِنْ أَفْكَارٍ.

- الصُّورُ الْبَيَانِيَّةُ وَالْفَنِّيَّةُ: وَهِيَ الصُّورُ الَّتِي يُوظِّفُهَا الْأَدِيبُ فِي نَصِّهِ؛ لِلإِفْصَاحِ عَنْ شَيْءٍ مَا وَإِبَانَتِهِ وَتَوْضِيحِهِ؛ وَذَلِكَ لِكَشْفِ الْمَقْصُودِ وَإِظْهَارِهِ.

إِنَّ الصُّورَةَ بِعِبَارَةٍ بَسِيطَةٍ، هِيَ التَّعْبِيرُ بِاللُّغَةِ الْمَحْسُوسَةِ عَنِ الْمَعْنَى وَالخَوَاطِرِ وَالْأَحَاسِيسِ، فَهِيَ لَيْسَتْ سَرْدًا تَقْرِيرِيًّا لِلْحَقَائِقِ أَوْ بِنَاءً مُبَاشِرًا لِلْأَفْكَارِ، بَلْ تَجْسِيدٌ وَتَمَثِيلٌ لَتِلْكَ الْأَفْكَارِ وَالْحَقَائِقِ فِي صُورَةٍ مَحْسُوسَةٍ يُعَايِنُهَا الْمُتَلَقِّيُّ وَيُدْرِكُهَا إِدْرَاكًا حَسِّيًّا فَيَكُونُ لَهَا فِعَالِيَّتُهَا فِي نَفْسِهِ، وَيَعْمُقُ أَثْرُهَا فِي وَجْدَانِهِ^(٣).

يَتَّسِمُ أَسْلُوبُ الْعَجْلُونِيِّ الْأَدْبِيِّ بِالْجَمَالِ، وَمَقَالَاتُهُ زَاخِرَةٌ بِالصُّورِ الْبَيَانِيَّةِ، فَقَدْ اسْتَعَانَ بِهَا فِي مَقَالَاتِهِ لِيَضْفِي عَلَيْهَا الْجَمَالَ وَلِيَخْرِجَهَا مِنْ قَالِبِ الْجُمُودِ إِلَى الْلِينِ.

* التَّشْبِيهِ عِنْدَ الْعَجْلُونِيِّ: يَتَبَيَّنُ لِقَارِئِ مَقَالَاتِ «وَحْيِ الْآفَاقِ» أَنَّهَا غَنِيَّةٌ بِالتَّشْبِيهَاتِ بِأَغْلَبِ أَنْوَاعِهَا. إِذْ تَجِدُهُ يَلْجَأُ إِلَى التَّشْبِيهِ لِتَوْضِيحِ الْمَعْنَى الَّتِي يَرِيدُ إِيْصَالَهُ لِلْقَارِئِ، فَقَدْ اسْتَعْمَلَ التَّشْبِيهِ الْمَفْصَّلَ وَالْمُجْمَلَ وَالْمُؤَكَّدَ وَالبَلِيغَ. وَمِنْ أَمْثَلِهِ ذَلِكَ:

(١) العجلوني، إبراهيم، وحي الآفاق ٢، ص ١٢.

(٢) المصدر نفسه، ص ١٦١.

(٣) انظر: طبل، حسين، (١٤٢٦هـ/ ٢٠٠٥م) الصورة البيانية في الموروث البلاغي، ط ١، مصر- المنصورة: مكتبة الإيمان ص ١٥.

- «والنص عندهم مختلف المعنى عن النص في لغتنا وحضارتنا، فعلى حين يتسم النص عندنا بالوضوح إلى أقصى درجة ممكنة على نحو لا يختلف في دلالاته اثنان، حتى لكأنه في مثل جلاء العروس على منصتها...»^(١). هنا شبه النص العربي بوضوحه، بجلاء العروس على منصتها. وذكر المشبه (النص العربي) والمُشَبَّه به (العروس المتجلية على منصتها)، وأداة التشبيه (كأنه)، ووجه الشبه (الوضوح والظهور والبروز)، فنوع التشبيه هنا «تشبيه مفصل»؛ لورود أركان التشبيه تامةً.

* الاستعارة عند العجلوني: تشمل ثانياً مقالات العجلوني على العديد من الصور البيانية القائمة على الاستعارة، سواء كانت استعارة مكنية أو تصريحية. ولبيان تلك الاستعارات نستعرض ما يأتي:

- «أثمرت تجربة السجن على مرّ العصور أدباً عظيماً...»^(٢). شبه تجربة السجن بالشجرة التي تُثمر أدباً عظيماً. وهنا ذكر المشبه (تجربة السجن)، ولم يذكر المُشَبَّه به (الشجرة)، ولكنه ذكر صفة من صفاتها وهي (الإثمار) الذي لا يكون إلا للشجرة. فالاستعارة هنا «مكنية»؛ لحذفه المُشَبَّه به (الشجرة).

- «فلماذا إذن لم نقرأ الفصول الطوال عن أبي محمد عبد الوهاب بن نصر المالكي، ولم لم يصلنا من صحابته الممطرة آثار تُذكر...؟»^(٣). شبه هنا أعمال ونتائج أبي محمد عبد الوهاب المالكي بالسحابة الممطرة. وصرح لنا بالمُشَبَّه به (السحابة الممطرة)، ولم يُصرح بالمُشَبَّه (الأعمال والنتائج). لذا تكون الاستعارة «تصريحية»؛ لحذفه المُشَبَّه.

* الكناية عند العجلوني: يتوافر في مقالات العجلوني أسلوب الكناية، ومما ورد من ذلك في بطون مقالات «وحي الآفاق»: «إنّ ثمة من يخبط خبط عشواء وهو يلهث في غبار الاستشراق»^(٤). والكناية هنا في قوله «وهو يلهث في غبار الاستشراق»؛ كناية عن صفة التقليد والمضاهاة.

(١) العجلوني، إبراهيم، وحي الآفاق ٣، ص ١٤.

(٢) العجلوني، إبراهيم، وحي الآفاق ٢، ص ٢٨٨.

(٣) العجلوني، إبراهيم، وحي الآفاق ٢، ص ١٧٦.

(٤) العجلوني، إبراهيم، وحي الآفاق ٣، ص ١٦.

القارئ لمقالات العجلوني يلاحظ إقباله الكبير على أساليب التصوير البياني، وهو ما أرفد مقالاته حركة وسعة أمدتها بالجمال التصويري والتعبيري الذي مؤداه زيادة إقناع القارئ بالفكرة المطروحة، وجعل النص أكثر قبولاً لدى المُتلقي؛ لحيويته وبلاغته وبيانه.

- **توظيف الحوار:** إن تقنية الحوار هي أبرز أشكال التعبير اللفظي الذي يجري بين الأفراد المُتَحاورين؛ إذ هو القناة واللبنة الأساسية والرئيسية لبناء التواصل بين كل المجتمعات البشرية، فبرزت هذه التقنية في مجالات التخاطب، واستعملت كتقنية في الأعمال الأدبية عامة^(١). والحوار هو تبادل الكلام بين شخصين أو أكثر من شخصيات النص الأدبي^(٢). وهو مهارة لغوية فُطر عليها الإنسان، ولا يستطيع أن يُمارس حياته من دونها؛ فهو من أشكال التواصل وضرب من الخطابة^(٣). ويعتمد على ظهور أصوات أو صوتين على الأقل، لأشخاص مختلفين، وهذا ما يجعل الكلام ينسجم بطريقة تُثير الاهتمام والإعجاب^(٤).

والحوار يُقسم إلى نوعين: داخلي وخارجي؛ والخارجي تكمن أهميته في عدم ظهور السارد واختفائه وراء الشخصيات، إذ يتلشى السارد في الحوار الخارجي كما يرى جينيت، فتحل الشخصية محله. ويُستعمل بوصفه صيغة فعلية في التلليل الوصفي للمُتحدث، ومن هذه الصيغ أفعال القول: قال، وقالت، وأجاب، وأجابت، وسأل، وهَمَسَ، وصَرَخَ، ونادى، وغيرها^(٥).

والحوار الداخلي تقنية سردية يستخدمها الفن القصصي للكشف عن أفكار الشخصية وهو اجسها وانفعالها ومشاعرها الداخلية. وهو حوار ساكن لا يوجّه إلا للشخصية نفسها.

(١) انظر: فضيلة، دبابش، (١٤٣٧ / ١٤٣٨ هـ - ٢٠١٦ / ٢٠١٧ م)، بنية الحوار ودلالاته في قصة (الفخ) ل: إبراهيم الكوني، بحث مقدم لنيل شهادة الماجستير في الآداب واللغة العربية، الجزائر، جامعة محمد خيضر بسكرة، ص ٦.

(٢) انظر: علوش، سعيد، (١٩٨٥)، معجم المصطلحات الأدبية المعاصرة، الدار البيضاء، بيروت: دار الكتاب العربي - مطبعة المكتبة الجامعية، ص ٧٨.

(٣) انظر: فضيلة، دبابش، بنية الحوار ودلالاته في قصة (الفخ) ل: إبراهيم الكوني، ص ٨.

(٤) المرجع نفسه، ص ٨.

(٥) انظر: عزيز، بخيار إبراهيم، (صفر ٤٣٣ الهجرية / كانون الثاني ٢٠١٢ الميلادية)، الحوار في خطاب جليل القيسي القصصي، رسالة ماجستير في اللغة العربية وآدابها، أربيل، جامعة صلاح الدين، ص ٩-١٠.

وإذا كان الحوار غير منطوق فإنه يُشكّل مونولوجاً داخلياً، وإذا كان منطوقاً فإنه يُشكّل مُناجاة النفس. ويُمكن الاستدلال عليه من خلال بعض الصيغ التعبيرية، مثل: قُلت في نفسي، وقال في نفسه، وقالت في نفسها، وردّدت في سرّها^(١).

يلجأ العجلوني أحياناً في بعض مقالاته إلى أسلوب الحوار، فتجده يعرض لكلامه ولموضوعه وفكرته، من خلال الحوار، فأضفى على نصوصه الحيويّة والحياة، بدلاً من التصلّب والجمود، وهو بذلك استطاع أن يوصل لنا أفكاره بطرق غير تقليديّة، بل جذابة ومُشوِّقة تستدرج القارئ لنصّه. ومن الأمثلة على الحوار الخارجي عند العجلوني في مقالاته:

«الصغير الذي بوّأته عاتقي يأبى إلا أن يضع إصبعه في عيني.

قلت: يا ابن أخي، هذه عين عمك الذي يُحبك.

قال: أنت لا ترى بها شيئاً.

قلت: أولاً أراك أنتِ بها على الأقل؟!«^(٢).

أمّا عن الحوار الدّاخلي عند العجلوني في مقالاته، فمن أمثلته: «ونتساءل بعد: لو قدّم هذه الكتابات شابّ دون العشرين إلى جماعة لها ذوق العربيّة، وقد أُشربت قلوبها أنموذجاتها العالية، أكانت تجيزها للطبع أو تسمح بترويجها في الناس؟؟»^(٣).

كانت هذه نماذج بسيطة من نماذج عديدة من الحوار عند العجلوني في مقالاته. ويتبيّن المطالع لمقالاته أنّه لجأ إلى الحوار بكلّ نوعيه الدّاخلي والخارجي. كما يتبيّن أنّه من خلال استخدامه هذا الأسلوب جعل نصوصه أكثر مرونة وإقناعاً من الأسلوب المُباشر، في طرحه موضوعاته وأفكاره. فيكون بذلك الأسلوب جاذباً للقراء أكثر ومُشوِّقاً لهم أكثر، فيستمتع القارئ بطريقته في العرض، ويسترسّل في قراءة النصّ إلى آخره دون أن يشعُر بالملل أو الضجر.

(١) انظر: المرجع نفسه، ص ٤٧.

(٢) العجلوني، إبراهيم، وحي الآفاق ١، ص ٢٤٩.

(٣) المصدر نفسه، ص ١٤٨ - ١٤٩.

خاتمة :

كان لإبراهيم العجلوني حضوره الأدبي المتميز في فن المقالة الذي يُعدّ من ميادين الأدب الحديثة نسبيًا، وهو من المُكثرين في هذا الميدان بإنتاجه الذي جاء في مُجلّدات ضخام. وقد قام هذا البحث الذي تألّف من مدخل ومبحثين لمعاينة مقالات العجلوني موضوعيًا وفنيًا، التي تضمنها كتابه الضخم «وحي الآفاق» وقد دَبّجها على مدى نحو رُبع قرنٍ من عمره الأدبي.

وكان لنشأته في بيئة أدبية مُحافظَة، وفي أسرة تهتمّ بالعلم والدين والقرآن الكريم، ولتعلّقه بقراءة كتب كبار الأدباء العرب، أثرٌ كبير في تكوينه الثقافي، وهو ما تجلّى بعد ذلك في مذهبه الأدبي وكتاباته ومؤلفاته التي كانت بداياتها مع الصّحف والمجلّات.

وتبيّن من خلال دراسة مقالات وحي الآفاق دراسة موضوعيّة، تداخل الموضوعات وتمازجها عند العجلوني، إلى درجة يصعب معها تصنيفها والفصل بينها؛ وقد تتداخل الموضوعات أحيانًا في المقالة الواحدة، فضلًا عن تنوعه في موضوعات مقالاته. وكانت أغلب مقالاته أدبيّة نقدية لغوية.

- عكست مقالاته السياسيّة وعيه السياسيّ الكبير، وغيرته على قومه وأُمَّته.
- وعرض في مقالاته الدنيّة للعديد من المسائل الدنيّة عرضًا دلّ على تصوّفه ونزعه الدينية العميقة في الدين والقرآن الكريم.
- وعالج في مقالاته الاجتماعيّة العديد من قضايا الواقع الاجتماعيّ، بدا فيها التمازج والتداخل مع موضوعات المقالات الأخرى وبكثرة.
- وبدا في مقالاته الفكرية ذا رأي ثاقب ورؤية مُتميّزة في تأمل العديد من القضايا والموضوعات المُؤرّقة.
- أمّا مقالاته الفلسفيّة، فتحدّث فيها عن موضوعات فلسفيّة شتى، تبيّن بعد دراستها أنّها كانت أشبه بملاذ لتكوينه الفكريّ والفلسفيّ النفسيّ، من خلال تأمله للحياة والكون والنفس البشريّة.

تبيّن أنّنا أمام أديب مُفكّر، ومُصلح واع، حريص على تنوير الدّروب، وهداية العقول والقلوب، مؤمناً إيماناً قوياً بأهميّة الكلمة، وقدرتها على التّغيير والتّطوير، وأنّ الكلمة مسؤوليّة، وأمانة ثقيلة.

وأظهرَ رصدُ الظواهر اللغوية والفنية والأسلوبية في مقالات وحي الآفاق أنه وظف التقنيات الآتية: التّناس، واستدعاء الشّخصيّات التّراثيّة، والتّكرار، والصّورة البيانيّة، والحوار.

أمّا بنية المقالة لديه فكانت تتكوّن من مُقدّمة وعرض وخاتمة، وكان يصوغ المُقدّمة بطريقة مُحكمة وقويّة، تجذب القارئ إلى الموضوع. أمّا عرض المقالة لديه، فكان يُمثّل صُلب الموضوع. وكان يلجأ إلى الحجج والأدلة والبراهين في عرضه موضوعاته، كي يجعل كلامه مُقنعاً. أمّا الخاتمة فكانت بمثابة الخلاصة، أو النّتيجة العامّة التي يريها لمقالته. وقد نوّع في صياغة خواتيم مقالاته، وكان لهذا التّنوع أثر في إمتاع القارئ وشحنه بطاقة تأثيريّة كبيرة، تجعل الموضوع حيّاً في نفسه، ولا سيّما وهو يهّم بإنهاء النصّ.

- أمّا التّناس فاستخدمه بكثرة، وبتكنيكات مُتعدّدة؛ وهو ما أعطى مقالاته بُعداً دلاليّاً حجاجيّاً ومزيديّاً من الإقناع والإمتاع.

- وأمّا استدعاء الشّخصيّات التّراثيّة في مقالاته، فقد استدعى شخصيّات تراثيّة متنوّعة، دينيّة وأدبيّة وتاريخيّة، وكان في عرضها يتحدّث من خلالها، أو يتحدّث عنها، أو يتحدّث إليها.

- وأمّا أسلوب التّكرار، فاستخدم عدّة أنواعٍ منه؛ وهو ما منّح مقالاته جرساً موسيقيّاً جاذباً للقراء، أو قوّة تأكيديّة لما يريد أن يوصل للقراء من أفكار، وذلك بإلحاحه عليها.

- وأمّا الصّورة البيانيّة والفنيّة، فقد توافرت في مقالات العجلونيّ بكثرة بغير نوع، وتبيّن أنّ هذا التّصوير مدّد مقالاته بالجمال التّعبيريّ، الذي يبتغي به زيادة إقناع القراء، بفكرته المطروحة، ويبيّن استخدامه هذا الأسلوب قوّة بلاغته وبيانه.

- وأمّا الحوار، فقد وُظفَ بنوعيه الدّاخليّ والخارجيّ، وهو ما أضفى على النّصوص حيويّة كبيرة، وكان من خلال الحوار يعرض لبعض موضوعاته فيجعلها بهذا الأسلوب

أكثر تشويقاً للقارئ؛ فلا يشعر بالملل أو الضجر عند قراءته المقالة.
وهكذا يظهر أنّ مقالات العجلونيّ امتازت بغناها بالظواهر والأساليب الفنيّة واللغويّة،
كما تبيّن مدى تفنّنه وبراعته في توظيفه لها، وتعامله معها.

الرُّؤْيَا فِي شِعْرِ إِبْرَاهِيمَ الْعَجْلُونِي

معتصم النداف

- الرُّؤْيَا الوجودية

لقد شُغِلَ الإنسانُ بمشكلةِ الموتِ مُنْذُ بدءِ الخَلْقِ الذي لطالَمَا عانقَ الإنسانَ بكلِّ لحظةٍ حتى وإن حاول تجاهله أو تناسيه إلاَّ أَنَّهُ يَبْقَى عالقًا في ذهنه، فالموتُ الحقيقةُ الحتميةُ الذي لا هروبَ منه والواقعُ الحاصلُ عاجلاً أم آجلاً، ومن هنا شُغِلَ الإنسانُ بهذه الحتميةِ التي حاصرته طوال حياته، ولا ننسى أيضاً الحروبَ والتي تُعدُّ موسمَ حصادِ الأرواحِ في الجاهليةِ، فيها تطحن رُحَى المنيَّةِ عظامَ الرجالِ، وتُغتالُ نفوسَ الأبطالِ، فهي مواسمُ شؤمٍ تُخلفُ وراءها ضياعَ اليَتيمِ، وألمَ الفُقْدِ، ولوعةَ الفُراقِ، بسببِ إراقةِ الدماءِ، والقتلِ، وإزهاقِ الأرواحِ، وكثرةِ الضحايا، وعلى الرِّغمِ أنَّ بالحروبِ تعتبرُ جُرأةً على الموتِ واستهانةً به، إذ بالوقتِ نفسه يدلُّ على أنَّ الموتَ كانَ مُحيطَ بهم يملأُ حياتهم، ولم تُفارقِ صورته خيالهم فقد انشغلوا به كثيراً، حتى لا تكاد صورة الموت تُفارقُ أحداً منهم واللجوءُ إلى التفكيرِ به بشكلٍ مُستمر.

وإبراهيمُ العجلوني كغيره من الشعراء انشغل بقضية الموتِ، باعتبارها مصيرَ الإنسانِ، وأصبح ذكر الموتِ لا يكاد يخلو من قصائده إشارةً إلى حتمية الموتِ، وظلَّ هذا الانشغالُ مُرافقاً له في معظم قصائده، حتى لا تكاد ان تخلو قصائده من ذكر الموتِ.

فقد تجلَّتْ رؤيا الموتِ في كثيرٍ من قصائد الشاعر إبراهيم العجلوني ومن تلك النماذج الشعريَّة نلحظه في قصيدته (مع الإقذار) والذي عبَّرَ الشاعرُ إبراهيم العجلوني في هذه القصيدة عن تلك الرؤية الفلسفيَّة التي تُحاكي الموت والحياة، فيقول إبراهيم العجلوني:

عمُرُنَا يَا صَاحِ أَحْلَامِ تَمْرُ
 مَلُوْهَا زَيْفٌ وَمَا فِي ذَاكَ سِرٌّ
 سَوْفَ نَمْضِي غَيْرَ مَأْسُوفٍ عَلَيْنَا
 إِنْ أَتَانَا مِنْ عَظِيمِ الذَّاتِ أَمْرٌ
 فَاعْطِنِي الْحِكْمَةَ شَهْدًا
 مِنْ رَحِيقِ الْمُكْرَمَاتِ
 فَحَيَاةُ الْخَيْرِ تَبْقَى
 بَعْدَ مَوْتِ الْكَائِنَاتِ

يتحدث الشاعر هنا عن مرور الوقت من عُمر الإنسان مُستخدمًا اللفظ (أحلام تمر) للدلالة على انقضاء الوقت بسرعة، والذي يرى فيه الشاعر أنَّ أعمارنا قصيرة جدًا فهي تمرُّ مُسرعة، حيثُ يرى أنَّ تلك الأعمار يملأها الزيف بدلالة (ملؤها الزيف) وإنَّ الإنسان سوف يُغادر تلك الدنيا غير مأسوفٍ عليه عندما يأتي أجله المحتوم والمصير الحتمي، وحتى يستطيع الإنسان مواجهة زيف الحياة فيجب تحليه بالحكمة التي قد تعوضه فقدان حياته.

ويرى الشاعر أنَّه حتى يبقى للإنسان أثر بعد موته في هذه الحياة فلا بدَّ له التحلي أيضًا بالمُكرمات التي وصفها بالورود بدليل قوله: (رحيق المُكرمات) وهي التي تبقى للإنسان بعد الموتِ والفناء ورحيل الكائنات، فتتجسد رؤية الشاعر هنا للموتِ والحياة أنَّه ومن خلال مرور الوقتِ مُسرعًا فإنَّه يأخذ من عمر الإنسان ممَّا يقربه من اجله.

ويُتابع الشاعر في هذه القصيدة (مع الإقدار) حديثه عن رؤيته الفلسفيَّة للموت والحياة حيثُ يقول:

وإذا ما اهتَزَّ غُضُنُّ فِي الْأَصِيلِ

وهفا القلبُ لفتانٍ كحيلِ

وتناجى الطيرُ في الأسحارِ شَدُوا

أو سجيَّ الطلِّ على الزهرِ الجميلِ

فأعطني الحكمة لحنًا
من أناشيد الرعاة
فهي نورٌ قد تبدي
في ثنايا الحالكات

هنا الشاعر يتحدث عن رؤيته للحياة، وما فيها من جمال يجب على الإنسان استغلاله والتمتع به قبل موته الآتي، مُستخدمًا ثلاث صور فنية من خلال رسم صور الطبيعة والتي تدل دلالة واضحة على جمال الحياة والتي تعد بمثابة دعوة من الشاعر للتمتع بالحياة واستغلالها، فالصورة الأولى التي رسمها الشاعر صورة حركية، وهي اهتزاز الأغصان قبل الغروب، وكذلك يرسم لنا صورة صوتية وهي صوت الطيور عند بزوغ الفجر، والصورة الثالثة صورة فنية جمالية فيها شوق ومحبة وعناق لما يحدث بين الندى، والزهور من احتضان دلالة على الحب وكأنهما يتعانقان.

فالشاعر هنا يدعو للحياة بصورة فنية يذكر فيها أجمل اللحظات مُستخدمًا الطبيعة الخلابة طالبًا الأغاني الجميلة لتناسب مع جمال الطبيعة والتي من خلالها تتلاشى الظلمات وينطلق النور.

- الرؤيا السياسية -

التزم العجلوني بالشُّعور القومي والوطني، من خلال الحديث عن الوطن والدِّفاع عنه، والدعوة للثورة في سبيل تحرير الأوطان من الاحتلال، وبما لا شك فيه أن الشاعر قد شارك هموم الأمة والدِّفاع عن قضايا الوطن من خلال العديد من قصائده، فمُنذُ أن استقرَّ الإنسان على هذه الأرض التي تُسمَّى الوطن والذي نشأ على حُبها في نفسه، أصبح يرتبط ارتباطًا وثيقًا بهذه الأرض، وكما نجد أن الشاعر القديم وحتى شعراء العصر الحاضر قد تحدثوا عن الأوطان في بعدهم عنه والحنين إليه وتجده جليًا في مُعظم قصائدهم في كل لحظة يتذكر فيها الوطن والحديث عن قضاياها.

فقد أسهمت الأحداث السياسيّة في الأردن بعد عام ١٩٤٨م. في دفع حركة مدّ وجزرٍ في فكر الناس، واستقطبت الأحزاب من الشباب، وتشابكت المؤثرات الثقافيّة والفكريّة، ووُلِدَ أدبٌ مُتجانسٌ تقريباً بسبب الأحداث التي شهدها الأردن في الخمسينيات، فقد هزّت الأحداث ضمائر الشعراء وحفزتهم إلى الصحو على حقائق الأمور.

فإنّ الحديث عن البُعد القومي في الشعر الأردني، يقودنا للحديث عن القوميّة بمفهومها الخصب، ذلك أنّ القوميّة هي حُب الوطن والأمة، فالوطن قطعة من الأرض، والأمة هي جماعة من البشر، فالوطنية: هي ارتباط الفرد بالأرض، الذي يُسمّى الوطن، والقوميّة هي ارتباط الفرد بجماعة من البشر تُعرف باسم الأمة.

حيثُ يتجلّى الحديث عن الوطن بكميّة من اللّوعة والحُزن من خلال قصيدته (تقاسيم على الجراح) فيقول الشاعر:

فارس آلامي أنت

سيد أحلامي أنت

في حضنك أتعري .. أغفو .. أتهاوى،

أغرق في بحر مخنوق الصمت

وتعشّش في ذاتي الرؤيا

ويدغدغ أعصابي الموت

يُصوّر الشاعر نفسه غريقاً في بحر الصمت دلالة على الصمت الذي بات مُسيطرّاً على العرب كاشفاً لنا بذلك الحال الذي وصل إليه العرب بما يتعلق بالاحتلال الصهيوني، ويرى أنّ الألم بات يُرافقه نتيجة ذلك الصمت، ويُصوّر الشاعِر الموت بالإنسان الذي يُدغدغُ أعصابه وهذه صورة تدلّ على اختناق الشاعِر وحرقة نتيجة ذلك الهوان والذل.

ويتحدث الشاعِر هنا عن رفضه للصمت الممزوج بالذل والهوان والتمرد على الواقع والوقوف في وجه المُحتل، ومواجهته رافضاً كل أشكال الهوان والضعف ويُجسّد ذلك من خلال قصيدته (تقاسيم على الجراح) والذي يقول الشاعِر فيها:

الأحرف تصرخ في التصميم

والكلمات لها طعم الخنجر

انفخ بالونك كي تكبر

وعليك بإتقان الترقيم

يَضْرِبُ لنا الشَّاعر صورة رائعة بفعل الكلام الذي لا يقلُّ أهميَّة عن فعل الخنجر، في مواجهة العدو، ويرى أنَّه لا بدَّ من الجميع أن يتكلموا ويكتبوا ويطلقوا ألسنتهم بوجه الظلم، والألَّا يقبلوا بذلك الصمت القاتل، فالكلام ضدُّ المُحتل من فعل الكبار وحتى يُصبح الإنسان كبير لا بدَّ له من الكتابة، ويَقصد هنا الخروج عن الصمت، مُشرطاً بذلك إجادة فن التعبير والكلام والكتابة وهذه تعتبر بمثابة دعوة ضدُّ المُحتل بعدم السُّكوت والصمت.

الشَّاعر هنا في يصف ويصوِّر معاناته ومأساته لما حصل بالوطن، ويبعث الأمل بتحرير الأرض وردع المُحتل، فقد ارتبط ذلك باستدعاء فارس يدحر المُحتل ويُقهره، وتجلى ذلك من خلال قصيدته (البحث عن مرآة) حيث يقول فيها:

يديّ في النار وقلبي يمضغ الثلجا

وها أنا على الطريق أنسج الهوى سرجا

فربَّ فارس يأتي غداً أو بعد غدٍ

أو بعد قرن .. ذاك ضمير حظي المقرود

أقول : ربَّ فارس يأتي فأهديه الهوى السرجا

وأهمس الحنين في أذن حصانه، وأملأ الخرجا

بكل أشواقي لفجر الفجر

ففجري المحبوب بات يُنشد الفجرا

بدأ الشَّاعر قصيدته بوصف معاناة حسية فالشَّاعر يبدو وكأنَّه يكتوي ويتلوَّع بدلالة قوله: (يديّ في النار) وكأنَّه يُريد القول إنني أكتوى بنار الاحتلال وبالوقت نفسه أقاوم المُحتل بكل

بسالة وجأش وأعصاب هادئة بدلالة قوله: (وقلبي يمضغ الثلجا) دلالة على برودة أعصابه وطول باله في مقاومة المُحتل.

الشاعر يُعطي لنفسه جرعة من الأمل حيث يأملُ بقدم فارس بعد مدّة من الزمن قريبة أو بعيدة، يأتي لردع ودحر العدو وقهره وتحرير الوطن، حيث يُصوّر حظه بالعائر في مقاومة المُحتل بدلالة قوله: (حظي المقرود).

-الرؤيا الاجتماعية-

وفي الحديث عن الرؤيا الاجتماعية في شعر إبراهيم العجلوني، والمتمثلة بالحديث عن القضايا التي تخص المجتمع من خلال المضامين التي تدور حولها شعر إبراهيم العجلوني من مشكلة الفقر، وكذلك الحديث عن العادات والتقاليد، ونقدها والحديث عن مشاكل الشارع الاجتماعي، التي درات حولها أشعار الشاعر وكذلك التطرق بشعره للعدالة الاجتماعية، فإن علاقة الأدب بعلم الاجتماع والفلسفة والحضارة والشعر هي علاقة وثيقة، فنجد أن الشعر قد ارتبط بظروف سياسية واجتماعية وثقافية، وحمل هم الأفراد والجماعات، لهذا نجد أن الشاعر الحقيقي أدرك أن الشعر فلسفة وعمقاً وصدقاً وبعداً عن المناسبات ورفضاً للحماقات والظلم، ذلك أن الشعر يُعتبر حركة إصلاحية، إذ حمل روح النقمة، وفرح الانتصار، واللمسات الإنسانية المباركة.

ومن الموضوعات الاجتماعية والتي نجدها جلياً في شعر الشاعر إبراهيم العجلوني قضية الوحدة والتي تتجسد من خلال حلول الليل والذي ينبعث منه الحزن والأسى، فالعجلوني كغيره من الشعراء الذين تحدثوا عن قضية الليل مُجسداً فيه حزنه وألمه ووحدته في ذلك الليل الذي كلما اشتد ظلامه اشتد حال الشاعر وبدأ بالمُعاناة نتيجة التفكير بهوموم واسترجاع ذكراه بالألم والحزن الشديدين؛ ذلك لأنَّ الليل يترد منه الشاعر إلى نفسه ويتجرّد من عمل النهار وحرآكاته، ليملاً فضاء الشاعر الداخلي بهوموم النهار وأعبائه، وكذلك بهوموم الوجود والتفكير فيه، كما يملأ فضاءه الخارجي بسواد مُطبق هو أشبه بظلام القبر، وغرق الأرض بالموت.

وبذلك فإنَّ الشَّاعر العجلوني حاول أن يُعالج ألامَّ الشعوب وأمراضها الاجتماعيَّة، ويُزيح السِّتار عن مضمار القمار، وكذلك العطف على المظلومين والمنكوبين، ومن تلك القصائد التي تحدثت عن قضايا المُجتمع والفساد الاجتماعي، وقضيَّة الليل والوحدة، ومدى التزام الشَّاعر بقضايا المُجتمع، وتتجلَّى المضامين الاجتماعيَّة في بعض قصائد الشَّاعر إبراهيم العجلوني.

حيثُ عمَدَ الشَّاعر إلى تصوير واقع مُجتمعهِ مُجسداً أَلْمَهُ وحُزْنَهُ لما وصل إليه المُجتمع، حيثُ يُعبِّر عن ذلك من خلال قصيدته (مزامير الحزن) فيقول:

الليلُ وريحٌ من خلف الشِّبَاكِ تموءُ
وسؤالٌ يبحثُ محتاراً عن كنه القدرِ المخبوءِ
وأنا وكتابي والغرفة

بعض من كلِّ .. والدنيا حيٌّ موبوءٌ

يتحدث الشَّاعر هُنا عن واقع المُجتمع الذي يعيشه، بأنَّه يجب تغييره والخلاص منه حيثُ نجد أنَّ الإحباط والكآبة تسيطر على الشَّاعر لما وصل إليه ذلك المُجتمع، حيثُ يرى أنَّ القيم والتقاليد قد اهتزلت، فما عادت قيِّمنا الجميلة وعاداتنا الأصيلة كما هي.

فالشَّاعر ومن خلال الحديث عن الليل وما يحتويه الليل من حُزنٍ وألم، فإنَّه يأمل بالخلاص من هذا الشيء العظيم وهذا تجسيد لرفضه لواقع مُجتمعهِ، الذي أصابه الوباء، مُجسداً حجم الألم والإحباط الذي عمَّ في المُجتمع وساد فيه حتى وصلَ الإحباط بالأديب العربي بفعل الاختلال المُجتمعِي مُستخدماً بذلك الريح وما تركه من أثر سلبي، ليُعبِّر عن وحدته في ذلك الليل الذي اشتدَّ أَلْمُهُ فيه، وأصبحَ الشاعراً يتساءل عن القدر أملاً منه بالخلاص.

ونجد الشَّاعر هُنا يُثير رؤيته الشَّعرية بالليل لتجسيد وصفه للوحدة وأثر تلك المُعاناة التي تُسيطر على نفس الشَّاعر عند حلول الليل وقد عبَّر عن ذلك من خلال قصيدته (مزامير الحزن) الذي يجعل من الليل ظلمة مليئة بالحُزن والاستلام حيثُ يقول الشَّاعر فيها:

الليل، وأشواق تمتدُ

وسراب يملأُ باب الغدُ

وأنا أدعو

أدعو

أدعو

ودعائي يهرب منه الردُّ

فقد ارتمى الشَّاعر في أحضان الليل، مُجسِّدًا الوحدة والألم والأرق وما يُحدثه السهر وأشواقه تمتد، حيثُ أنَّ الشَّاعر يتحدث عن الأوهام في يوم الغد، دلالة على خيبة أمله وفقدان ثقته بزوال الليل الذي فيه انقضاء الهموم، حتى نجد أنَّ الليلَ بات عند الشَّاعر مليئًا بالعلل ومُثيراً للهموم الذي أحاطه من كلِّ جانبٍ ممَّا جعلَ الشَّاعر يشعُر بفقدان الأمل الذي طالما تمنى وانتظر مجيئه.

ويُثير الشَّاعر أيضًا من خلال الاستعانة بمشهد الليل وما يتركه من حُزنٍ وألمٍ وقسوةٍ على حاله، مُعطيًا لنفسه أملٌ من خلال لُجوء الشَّاعر إلى الدَّعاء الذي بات أمله الوحيد من بين كلِّ هذه الأحزان التي سيطرت على الشَّاعر، فيدعو الشَّاعر مُكرراً لدَّعائه للخلاص من مُعاناة الليل، ثم يُنهي الشَّاعر حديثه بأنَّ دعائه يهربُ منه الرد.

ويُجسِّد الشَّاعر شعوره التام بالوحدة الممزوج بالحُزن وما يتركه ظلام الليل في نفس الشَّاعر من خلال حديث الشَّاعر عن الليل الذي يُجسِّد حجم الألم مع صرخات الشَّاعر والتي تجلَّت في قصيدته أيضًا (مزامير الحزن) والتي يقول الشَّاعر فيها:

واهترَّت في الليل الأشجار

وبكت أكمّام النوار

وهتفت وآمالي صرخت

وصرختُ وآمالي صرخت

يا هذا اللاشيء الجبار

أترى .. أهلكت فتى الأزهار !!؟

نجد أنّ حديث الشاعر عن الليل والسهرةً أمراً طبيعياً لحالة الشاعر الذي يُكابد الليل، فيبدأ الشاعر مع بداية الليل بالتفكير بأحزانه وهُمومه واسترجاع الذكريات، مما يُثير الأرق ويُفجر الحُزن، ويرسم بذلك صورة حركيّة من خلال اهتزاز الأشجار ليلاً، فيبدأ الشاعر بالصراخ لعلّ في الصراح راحة وهروب من ذلك الحُزن الشديد مُعظماً فعل الليل بدلالة قوله: (يا هذا اللاشيء الجبار) حتى وصل الأمر بالشاعر بعدم رؤية أيّ شيء جميل بدلالة قوله: (أترى .. أهلكت فتى الأزهار).

الشاعر هنا يُجسّد حجم وحدته بحضور الليل وفقدانه للنوم الذي هو ملاذه الوحيد للهروب من ذلك الليل الكئيب الذي يُثير في نفس الشاعر الألم والحُزن والأرق نتيجة الوحدة الذي يعيشها الشاعر مع نفسه.

ومن خلال ما سبق نجد إنّ الشاعر إبراهيم العجلوني استطاع تحقيق واحدة من أهم الوظائف التي يؤدّيها الشعر، من خلال رصد الرؤيا وتحولاتها والتي تركزت على ثلاث مراحل: مرحلة كان الوطن محوراً هاماً فيها، بوصفه جزءاً من حركات التحرر العربي، وحمله لهموم وطنه وأبناء أمته، ومرحلة كان الموت والحياة محوراً آخراً فيها، بوصفهما جزءاً من الإنسان والوجود، والمرحلة الأخيرة كان المجتمع محوراً أيضاً رئيساً بوصفه جزءاً من التغيرات التي قد طالت الواقع ورفضه تلك التغيرات التي حلت بالمجتمع.

ناهيك على أنّ الشاعر العجلوني قد أتخذ من شعره طريقاً للوصول إلى رؤيته، حيث حرص في رؤيته السياسيّة على الحديث عن الوطن والحث على مقاومة العدو وردعه، فتارةً يبعث الهمم، وتارةً يُثير العواطف الصادقة، فيتعالى صوت العجلوني في الحث على الجهاد لذا تجده قد تنوّع بين الشكل التقليدي والشكل المُحدّث في شعره، ومحاولته السير على حُطى النماذج القديمة، لتأكيد تلك الرؤية التي يقوم عليها النصّ الشعري والكشف عن المضامين التي أرادها الشاعر.

الشذرات

للأستاذ إبراهيم العجلوني

بقلم: فوزي الخطبا

عنوان يلخص الكتاب في مجمله وطرحه ومضمونه، ومؤلف هذا الكتاب معروف بثقافته وموقفه من الوحدة والحرية والديمقراطية والعدالة وكرامة الإنسان، ويلخص أيضاً هذا الكتاب خبرة ودراية وتجربة وعمق ثقافة الكاتب المتعددة في آن معاً.

تموضع كتابات العجلوني بين الفكر والأدب والفلسفة قطب اتجاهاته وأفكاره وإحساسه، سواء كتب في الفكر والأدب أو الفلسفة أو الاجتماع أو القضايا الوطنية أو القومية أو الإنسانية، وهي موضوعاته المفضلة.

أخرج قبل هذا الكتاب حوالي عشرين كتاباً منها: الوعي المتمرد، دفاعاً عن العقل، ثقافة المستقبل، فصول في الفكر العربي، في الفلسفة والخطاب القرآني، نحو حوار معقول مع السادة الأمريكان، مسلمات في ضوء التحقق، إضافة إلى إبداعات في الشعر والرواية والقصة.

وحين تقف عند هذه الأعمال مجتمعه المتميزة في بابها وطرحها، تشعر أن الكاتب ينظر لهذه القضايا بعين المفكر، ويتذوقه بحس الأديب، ويتناول هذه القضايا والمواضيع بشعور مزيج من الفكر الواعي الملتزم والأديب المرهف الاحساس.

وابراهيم العجلوني في هذا الكتاب، يتحدث في ميدانه المفضل ويستخدم قدراته وملكاته الفكرية والأدبية، فيخرج أفضل عطاء، واخصب إنتاج، يصل ويجول في هذا الميدان الرحب بقدرات كبيرة ومدهشة في القضايا القومية والوطنية والإنسانية وقضايا الأمة المصرية.

والعنوان المتقدم يضم مجموعة محاور كبيرة، ويحتوي على المحاور التالية (في الديمقراطية) (في الصهيونية) (لمع وإشارات) (في الوطن والوطنية) (في النهضة وشروطها). ويبين الكاتب في عرضه لهذا الكتاب الدافع الحقيقي من تأليف هذا الكتاب بمقدمه قصيرة يقول فيها «أن الشذرات فن قائم بذاته من القول، وانه لم يحظ بعناية الدارسين، وانه مجال مفتوح لمن يطبق الحكمة ويصبر عليها من العالمين: من أجل ذلك اعتمدنا هذا اللون من التعبير وطورناه أو (تمثلناه) وعلى نحو يخدم غرضنا في هذا الكتاب، وجعلنا سبيلنا لإبداء جملة من الآراء التي نعتقدها في كثير من الموضوعات التي تؤرقنا في هذه الأيام المدلهمة من تاريخ امتنا، مؤمنين ان البلاغة في الإيجاز، وان خير الكلام ما قل ودل).

ويستمد الكاتب أسباب ودوافع تأليف هذا الكتاب من معاشته للواقع وقضاياه المصرية من زواياه الممتدة دون أن ينظر الى الأمور من باب الربح والخسارة أو المنفعة الذاتية، فالمثقف الذي لا يرفع صوته في زمن الصمت ولا يحاور واقعة الاجتماعي، ولا يرصد المواقع المؤذيه له، ولا يحاور قضاياها الكبيرة، ولا يؤذّن في الناس بالوحدة والكرامة والحرية والديمقراطية والعدالة، لا يكون مثقفاً مهما اعتلت مراتبه، وكثرت كتبه ودراساته وبحوثه.. ولعل هذا سبب من الأسباب من وضع الكتاب، إضافة على ما ذكره المؤلف أن هذا الفن «من القول أن يلجأ اليه حكماء الأمم ليعبروا على سبيل اللوح الدال، مما لا يصح أن يكثر فيه الحديث على أمهات المعاني، أو من خلاصات العلوم والتجارب».

وجل مواضيع الكتاب قد نشرها في صحيفة الرأي الأردنية، فهو كاتب مقالة متميزة في مضمونها وإيجازها وتكثيفها وبلاغتها وطرحتها وعمقها وبعدها.

ولا نتجاوز الحقيقة كثيراً إذ قلت أن فن المقالة من أصعب وأشق الفنون كتابة، لأنها تحتاج الى قدرة فائقة على الإلمام بالقضية أو الموضوع من جميع جوانبه بعمق وكثافة شديدين، وإذا أردنا أن نحصل على مقالة جيدة، فلا بد أن يتوفر في المقالة من فكرة وموضوع، ولا بد من تنسيق داخلي في تسلسل الموضوع، لا يقل عن التنسيق الخارجي بين الفصول المتجددة في الكتاب أو القصة أو المسرحية أو في الترجمة، في حين قد تختفي هذه المواضيع في القصة، لأن الحكاية أو الحبكة تغطي عليها.. إن أدب المقالة ليس أسهل ولا أقل مرونة من سائر الأدب».

ونعود الى المحور الأول في الكتاب، «الديمقراطية»، ويضم هذا المحور واحد وخمسين عنواناً فرعياً، كل موضوع بحد ذاته يشكل محاوراً عاماً وكبيراً في موضوعه وبابه، فيخرج بفكرة واضحة، إن الهم العام الوطني الذي ييوح به الكاتب يشغل فضاءات هذا الباب، مبتدئاً بالديمقراطية والتي نراها ويراها الكاتب انها ليست منحة أو هبة من أحد العالمين تهب أو تعطى للناس، وإنما هي حق طبيعي نتمسك به، وهي ممارسة وسلوك تمارس على جميع الصعد دون خوف أو وجل، وأن الإرادة الأردنية الوطنية المتمثلة برعيل الجيل الأول من المناضلين الذين حملوا لواء الدعوة الى الحرية والديمقراطية والعدالة وكرامة الإنسان، وسخروا انفسهم في سبيل عزة امتهم، ورفع شأنها وتخليدها على خارطة الدنيا، وسخروا انفسهم في سبيل المبدأ والمعتقد الوطني والقومي، وكان ايمانهم الكبير بالوحدة عقيدة اتخذوها رسالة للنضال القومي وتحرير الوطن من الاستعمار، ونسجوا صفحة رائعة في تاريخنا الوطني، وكان وعيهم سابق عصرهم، حملوا عبء المرحلة وتحولاتها الصعبة والعميقة، والذي يقف عند بنود قرارات المؤتمرات الوطنية الثلاثة ومجالس التشريعي الأردني، يجد مدى إحساسهم العميق تجاه القضايا القومية والوطنية، وإن إرادتهم سابقة بأزمان على الديمقراطية، ويدل ميثاقهم الوطني الذي وضعه المؤتمرون على مدى الخط الذي تغلغل في نفوسهم ضد هيمنة وغطرسة الدولة المنتدبة، وتحكمها على مقدرات البلاد ومجرى الحكم فيها وإصرارها على مصادقة ممثلي الأمة على تلك الغطرسة، ولكن الإرادة الأردنية وقفت مواقف مشرفة واعدت في ميثاقها ان البلاد لا تعترف بالانتداب، وانها ترفض وعد بلفور، وترفض الانتخابات، الا إذا أجرت على أساس جعل الحكومة مسؤولة أمام مجلس النواب أو التشريعي، وترفض التجنيد الا إذا كان من قبل حكومة دستورية، وترفض تحمل نفقات غير مشروعة وغير ذلك.. هذه الصورة البهية لا يستطيع ان ينكرها «أي باحث نزيه، ولا بد ان يقر معنا بان الإرادة الوطنية سابقة بأزمان على الديمقراطية التي نعيشها هذه الأيام».

فالديمقراطية الأردنية لم تأت لمتطلبات مرحلة فقط، ولا هي منقطعة عن جذورها، وإنما امتدادها من الإرادة الصلبة التي تمثلت في وعي رموزنا الوطنية في فترة مبكرة من تشكيل الدولة، وكل المحاور والقضايا التي يطرحها ويحاورها في هذا المحور تفضي الى أربع قضايا أساسية، الوطن، الحرية، الديمقراطية، والعدالة، ومن يدخل الوطن في دائرة

الإبداع الخلاق والتجديد والتغير لا بد من ان تنضج تجربته، ويلتزم بشروط التقدم من اجل استئناف حياة ديمقراطية رفيعة في تعاملها، ونموذجاً رائعاً يحتذى به، ويتشكل مناخاتها بالحوار المسؤول الصادق الذي يعكس هموم الإنسان وأحلامه ورؤيته، وتتوحد جميع جهوده في سبيل نهضته وقوته.

وقد جاء هذا الباب بمحاوره نبضاً صادقاً نبياً لهموم الوطن وقضاياه الاجتماعية والسياسية والمعيشية، وقد وقفنا وقفة متأنية عند هذا الباب، لأنه يحتوي على مواضيع ذات خصوصية لا نستطيع ان نتجاوزها دون محاورتها.

أما المحور الثاني فيضم اثنين وعشرين عنواناً، خصص الحديث فيها عن الصهيونية، وهو خلاصة قراءات الكاتب المتأنية في الفكر والايولوجية الصهيونية، وطرائق تفكيرها ووسائلهم وأهدافهم المبينة وغير المبينة وعقليتهم التأميرية على مر التاريخ، ويتحدث عن السلام بالمفهوم الشامل، ويرى أن السلام لا يتحقق ان لم يكن متكافئاً بين أطراف النزاع، ولا يمكن ان يحقق على أرض الواقع إذ لم تكون وسائله الكفيلة قادرة على خلق وتعزيز دعائمه، وتوطيد سلام عام عالمي تكون له صفات الشمولية والديمومة والثبات كما طرحها بعض المنصفين من المفكرين الغربيين، وبهذه الصفات يتخلى عن دواعي الحرب ومبرراته التقليدية، وإضاعة جوانب خافية من اسبابه البعيدة والقريبة، ولا يمكن ان يكون هناك سلاماً بمفهومه الشمولي ونحن في حالة ضعف وهوان، وانما الذي نسعى اليه ونزعم انه سلام يصدر عن ضعفنا يغري الجانب الآخر «إسرائيل»، باستغلاله الى أقصى درجة من الاستغلال، وهذا ضرباً من ضروب الاستسلام، وليس السلام، لأن الدعوى عندما تأتي عن القوي الذي يكون اقدر من غيره على القتال، فإنها تمثل سمواً في الإدراك والفهم ورصيلاً من سلامة القصد ونيل الطويلة، يجعلانها وسيلة حقيقة آراءهم وحججهم التي لا تستند الى سند تاريخي أو مرجعية مطمئن وانما نظريتهم وبراهينهم لا تصمد للواقع والمناقشة وكذلك يكشف عن الوهم الذي ران على قلوب الكثير من المفكرين وبين مدى تضيق افقهم ولا ينظرون للأمر الا من باب مصالحهم الذاتية .

وهناك مغالطة كبيرة تكمن في الأسلوب الإسرائيلي الأمريكي لتحقيق أو فرض السلام في منطقة وارثة لصراعات تاريخية وثقافية يستحيل إلغاؤها ما بين غمضة عين وانتباهها،

ويحتاج ان تهدأ أولاً، ولأن تتخذ مساراً مختلفاً ثانياً الى زمن ممتد، وتحولات بطيئة، ووقائع متراكمة متتابعة كثيرة.

وفي خاتمة هذا المحور، يدحض الكاتب آراء الأساتذة الإسرائيليين الذين يرون إمكانية تعاون اقتصادي مشترك بين طرفين غير متكافئين، مؤكداً أن الهدف من طرح هذه الآراء هما هدفين امعاناً في المصادرة على المستقبل الفلسطيني والعربي معاً، ويتحقق أولاً بتعزيز الوهم بإمكان تكافؤ الطرفين الإسرائيلي والفلسطيني، وبإمكان ان يقوم بينهما يوماً تعاون اقتصادي على غير أساس التبعية والاستلاب.

إن ترويح هذا الأنموذج من التكافؤ ومن عدم التبعية في الشرق كله، يظل من شأن الأساتذة الإسرائيليين دائماً، ان يخرجوا علينا بمثل هذه النظريات «الموضعية»، وسيظل دأبنا ان نعود بموضوعيتها الظاهرة الى مواطن الظلمة ومظانها المعتمدة من البنية النفسية والعقلية لأصحابها «كما يقول الكاتب».

والمحور الثالث فيقع في ثلاث وعشرين مقالة أو عنوان تحت عنوان «لمع وإرشادات»، ويكشف هذا المحور دواخل النفس الإنسانية، ويضعها تحت المجهر، أو كأنه يضعها أمام المرأة وجهاً لوجه، وي طرح في مقدمة هذا المحور سؤالين كبيرين ومهمين هما:

هل يكون في طبائع النفوس ما تنقلب معه فجأة؟، فإذا بتصرفك الود بعد ان محضك العداء زمنًا، أو تصفو لك بعد ان اعتكرت حيناً بعد حين في ظلمة حادة مطبقة؟!.

وهل يكون من شأن من يقاربك على دخل ويوادك على سوء سريرية ان ينقلب «ما بين غمضة عين وانتباهها» الى محب متدلة، ينبئك أشواقه وينثر في دروبك الإشعار؟!.

وقد اراد الكاتب من طرح هذين السؤالين ان يقول ان النفس الإنسانية يكمن فيها الخير والشر والمحبة والكره، وكأنه يعيد صياغة القول المأثور «أحب حبيبك هونًا ما عسى ان يكون بغيضك يوم ما، وأبغض بغيضك هونًا ما عسى ان يكون حبيبك يومًا ما».

ونلمح في ثنايا هذا المحور اللمع الهادفة الدالة البناء والحكمة الموجزة والخبرة العميقة في شؤون الحياة، وعصارات المعاني من خلاصات أمهات الكتب من تراثنا، وصور تثن من واقع الحياة، وما تكشف النفس من اشجان وشجون، وطبائع بأسلوب حوارى مكثف

لطيف في مبناه ومعناه، كاشفاً عن سوءات النفس ومعريها، قاصداً من هذه الصور والمشاهد والمقاطع والحكم والحوارية، التوجيه والتقويم واصلاح الاعوجاج، وتهذيب النفس.

اما الحوار الرابع الذي يحمل عنوان «الوطن والوطنية»، فيضم واحد وثلاثين عنواناً، مؤكداً على ان هذا الوطن المعطاء الوفي منذ تأسيسه كان مسكوناً بالمحبة والصبر والعطاء، وقناديله مضيئة تطرد عتمة الليل.. ويسترجع الزمن الذي شق فيه الوطن طريقه وهو واقع بين احتمالات صعبة، وهو يناى عن كل ما هو اقليمي وطائفي وعنصري، لأنه أسس على الثوابت القومية، وبعيداً عن التعصب والانغلاق والانكسار «ووصل الى بعض غاياته منذ رسم رواد نهضته علامات الطريق بالوفاء والصبر الجميل»، وأنه يقبل الوحدة ولا يقبل القسمة، عصي على الاقتلاع، قوي الحججة وباهر في حضوره ومواقفه مهما بلغت حملات التشكيك بالنيل من مواقف رواده ورموزه ومناضليه وشهادته، بل بلغ الحقد عند البعض «ان يرى الأردن وطناً بلا شعباً، وان يثر نثاراً من كلمات سود، كأنها الذباب، حول الوجود الأردني في التاريخ، وحول ما إذا كان قد تم تشكيل الشعب الأردني أو لم يتم بعد، وأشياء أخرى لا يمكن ان تحمل على غير محمل الانتماء بهذا الجزء العزيز من ديار العرب المنكوبة بأبنائها قبل دعائها».

وتتجلى غيرة الكاتب وهو ينادي بإعادة كتابة تاريخنا الوطني على أسس علمية، متحرين الصدق والأمانة، وتحري التطابق التام بين ما كان فعلاً وما هو مرقوم في السطور، وإذا كان هنالك مراحل معتمدة في تاريخنا الوطني تتطلب الإضاءة والفهم والتحليل، وكان ثمة عقود متتالية من السنين، ولا سيما أواخر القرن الماضي وأوائل قرننا هذا تبحث عن يدرسها ويقدمها بموضوعية أمام شعبنا الأردني، فإن من تحصيل الحاصل القول ان تاريخنا الوطني لم يكتب بعد، وأن من حق الأردن علينا ان نسارع الى تلافي هذا النقص الخطير في مقومات وعينا السياسي والاجتماعي، وان نتداركه في أقرب سبل».

وختم الكتاب في محور «النهضة وشروطها»، وأجود ما في هذا المحور سؤاله الكبير، هل ثمة نهضة عربية قادمة؟، لعل هذا التساؤل الذي يطرحه الكاتب يدعونا ان نفق عند الشرط التاريخي لهذه النهضة، وما هي العوامل التي عاقت العرب في أحداث نهضة عربية شاملة لها جذورها الأصلية المستمدة من الحضارة العربية الإسلامية التي أغنت العقل وبهرت

العالم بإنجازاتها العظيمة في مختلف مصادر العلم والمعرفة، في الفترة التي كانت أوروبا تعيش في غيها وظلمتها.. وإذا كانت بوادر اليقظة العربية أو النهضة قائمة في مواجهة التسلط والاستبداد والتخلف التي كانت تعاني منها الدولة العثمانية خلال القرن التاسع عشر، ومطلع هذا القرن، ويمكن هذا التخلف والجمود الحياتي والحضاري لمناقضة المسار ومنطق التاريخ وحركة دورة الحياة، ومعروف ان الدولة العثمانية كانت دولة محافظة عزلت العالم العربي عما يجري في الخارج خلال خمس قرون، كانت الأمة العربية تعيش في عزلة تامة عن التحولات الكبيرة التي تجري في العالم من إنجازات في مختلف شؤون العلم والمعرفة، وحتى ان الحركة التعليمية في بلاد المشرق وسوريا بدأت تزدهر وتنتشر بصورة ملفتة في أواخر النصف الثاني من القرن التاسع عشر بجهود بعض المخلصين من أبنائها، فكيف تتم نهضة إذا فقدت ابسط شروطها؟.

وقد صور هذا الجهل والتخلف الأمير فيصل بن الحسين حين كانت الأمة العربية تروح في أغلالهما حتى نهاية الحكم العثماني تصويراً واقعياً وحقيقياً وبلغاً في خطبة حافلة ألقاها في حلب، فقد جاء فيها «خرج الأتراك من بلادنا، ونحن الان كالطفل الصغير، ليس لنا حكومة ولا جند ولا معارف، والسواد الأعظم من الشعب لا يفقه معنى الوطنية والحرية، ولا ما هو الاستقلال، حتى ولا شيء يذكر من كل هذه الأمور، ذلك نتيجة ضغط الأتراك على عقول وأفكار الأمة، لذا يجب ان نفهم هؤلاء الناس قدر نعمة الاستقلال، ونسعى، إن كنا أبناء أجدادنا، لنشر لواء العلم، الان الأمم لا تعيش الا بالعلم والنظام والمساواة.. أخص إخواني العرب على اختلاف مذاهبهم بالتمسك بأهداب الوحدة والاتفاق ونشر العلم وتشكيل حكومة تبيض وجوهنا.. إن حلب خالية من المدارس، فأتمنى لها مستقبلاً عالياً باهراً كما كانت عليه بالتاريخ، وأرجو أخيراً صرف الهمة والنشاط لأمرين مهمين «حفظ النظام وترقية المعارف».. وكلام فيصل بن الحسين لا شك إجابة شافية وافية في أسباب قيام نهضة عربية، ولعل هذه الأسباب مجتمعة كانت من أسباب تأخر النهضة العربية، وكانت الدولة العثمانية لا تنظر الى العرب الا نظرة السيد المبجل الى الغوغاء المهازيل، «إما العطاء وإما التأديب»، ولا شك ان محاولات كبيرة حدثت في أحداث النهضة العربية الإسلامية، وقد بدأت تباشيرها منذ أوائل القرن السابع عشر الميلادي، وكان يمكن لها ان تأخذ مسارها الطبيعي في إيقاظ الأمة واستفاض عزماتها، وإعادة العافية الى عقلها ووجدانها، لولا

ما كان من إصرار أوروبا، بل استماتة مئات علمائها وسياسيها ومستشقيها على تقويض أسس هذه النهضة والذهاب بأركانها، «منذ حملة نابليون التي كانت تتويجاً لجهود متصلة استهدفت وأد هذه النهضة».

ان هذه النوعية من الكتابة الملتزمة والصادقة، أعادت لنا الثقة فيما يكتب من فن المقالة أو الشذرات، كما انها تحمل خلاصات فنية للنفس والحياة والوجود، وتمد نحو الآخرين بما تحمل من دلالات ومضامين اجتماعية، وما يكمن فيها من آفاق إنسانية، وما تطرحه من قضايا وطنية نابعة من صدق الانتماء، وقومية أصيلة تربينا عليها من ثوابتنا الأردنية.. والقضايا والأحداث في هذا الكتاب تأخذ موقفها مع منطق الحدث ومقوماته، والمحور لديه طاقة كبيرة في الإقناع، غني بخبرات الكاتب الكبيرة، والكلمات ممزوجة بالصدق والمرارة معاً، مزج تجربته الخاصة بالعامية.

هذا الكتاب حمل قلق المرحلة، وعمق التجربة، وصورة التحدي، وكبرياء الموقف، فهو صورة لمسار التجربة المرّة، لا صورة لمسالك الوجود، فيه من الفكر رؤيته ورؤاه، ومن بلاغة القول جماله وروعته، وقوة حجته ودقته وإيجازه، وجاءت لغته مشبعة بالحقيقة الباطنية، ومستمدة من ثقافة عميقة، وأسلوب يشد القارئ، متماسك كأنه قطعة من ذاته.

الحوارات

لقاء خاص على قناة الرافدين

أهلاً بكم مشاهدينا إلى برنامج لقاء خاص يسرنا أن نلتقي الأستاذ إبراهيم العجلوني الأديب والمفكر والكاتب الصحفي الأردني المعروف مرحباً بك أستاذ إبراهيم معنا إلى هذا اللقاء الخاص على قناة الرافدين

حياك الله أهلاً بك وسهلاً إستاذ.. أهل بك

س. أستاذ بداية حدثنا عن بداياتك الأكاديمية والمهنية والعملية؟

ج: نعم حقيقة أنا من الناحية الأكاديمية أنا خريج ليسانس لغة عربية آداب ثم مضيت في برنامج الماجستير في الفلسفة ولكني تأبيت على أساليب التدريس وتركت قسم الفلسفة وخلال شهر كنت أهدبهم كتابي في الفلسفة والخطاب القرآني ثم اعتمدت على نفسي في الثقافة وفي التثقف والتعلم ومضيت عصامياً على مدى هذا العمر، وبحمد الله أنجزت أربعة وأربعين ٤٤ كتاباً في شتى حقول الثقافة والأدب. وعملت في مناصب أو في أماكن متعددة كنت مستشاراً في وزارة التعليم العالي، وكنت مستشاراً في مركز دراسات الرأي، وكنت رئيساً للقسم الثقافي في الإذاعة الأردنية فترة، وكنت أيضاً مسؤولاً ثقافياً في جريدة الرأي لمدة ربع قرن أو أكثر، وكاتب زاوية يومية أيضاً بعنوان أفق في جريدة الرأي لمدة خمسة وعشرين عاماً، وشغلت أشياء أخرى أيضاً ولكن بوجه عام هذه أهم الأشياء التي قمت بها.

س. خلال هذه الفترة كيف تنظر إلى الواقع الثقافي العربي وأيضاً في الوقت الحالي؟

ج: اعتبر نفسي تلميذاً لذلك الرعيل الأول الذي كان موجوداً وحاضراً في مطلع القرن العشرين فأنا أعتبر نفسي من تلامذة الرافعي والمازني والعقاد وطه حسين وأحمد أمين والبشري، وهذا الرعيل من المفكرين وتأثرت بأساليبهم وبخاصة بالعقاد رحمه الله.. ثم

كان مبلغ تأثري ببعض الكتاب أنني أخرجت كتباً بنفس أسماء الكتب التي أخرجوها؛
مثلاً للرافعي رحمه كتاب وحي القلم ثلاثة مجلدات؛ أنا أصدرت كتابي وحي الآفاق في
ثلاثة مجلدات أيضاً .. كتاب ..

س: هذا مقتبس من؟؟

ج: لا لا ليس مقتبساً، بل هذه مقالات مني، ولكن لأنه كان لي زاوية اسمها «أفق» في جريدة
الرأي لمدة ربع قرن، اخترت من هذه الزاوية ما مكنتني من أن أخرج هذه الثلاثة أجزاء
بعنوان وحي الآفاق . ثم إني كتبت كتاباً بعنوان في مرآة الإسلام على غرار مرآة الإسلام
لطف حسين ثم إني أصدرت كتاباً بعنوان صوان الأحزان على غرار رسائل الأحزان للرافعي
ثم إني أصدرت كتاباً بعنوان كتب وشخصيات ونفس العنوان كان لسيد قطب رحمه الله
.. فأنا كنت مغرماً بهم، ولكن لأثبت لنفسي وأتحدى نفسي أنني أستطيع أن آتي بشيء لم
يأت به هؤلاء العباقرة .. على أنني لست ظلاً لهم ولكن قد أكون امتداداً صغيراً لهم .. نعم
.. ثم توالى الكتب بحمد الله، أعتبر نفسي وأنا الآن في الرابعة والسبعين أنني لم أنجز إلا
ما يقارب ٢٠ الى ٣٠ في المائة مما كنت أطمح إليه ..

س: وما زلت تصدر الكتب باذن الله

ج: بحمد الله أنا صدر لي الكتاب الأخير برقم ٤٤ بعنوان (صفو الاعتبار في حصائد الأنظار)
ويتضمن شيئاً من الكلام حول فكرة رئيسة وهي ضرورة أن تنتهي من واقعة الانبهار
بالغرب، الانبهار بالغرب هذا عجز لا ينبغي لمسلم أو عربي أن يمارسه .. لأن العربي
إذا خرج من مشكاة القرآن وخرج تلميذاً لأولئك العباقرة في علماء أصول الفقه وأصول
الدين والبلاغة العربية وعلم الكلام وما إلى ذلك لا ينبغي عليه أن يصغر أكتافه أمام
حضارة أخرى.

هذه هي الفكرة الرئيسة في الكتاب فضلاً على ما فيه من كتابة على غرار نمط المقامات
الهمدانية وكليّة ودمنة في نوع من الأدب الرمزي السياسي . إلا أنني الآن أعكف؛ والعد
التنازلي بدأ لكتابين اثنين أرى أنهما آخر ما أختتم به حياتي إن شاء الله؛ وهما كتاب بعنوان
(محمد رسول الله والنخب الأوروبية المستنيرة) والكتاب الثاني هو (الرجعية الماركسية

وأصولها الوثنية واللاهوتية) .. وهذان الكتابان أُودِعَ بهما هذه الحياة إن شاء الله وعسى أن يكونا صفحات بيضاء لي عند الله تعالى .

س: ما أبرز ما تضمنه هذان الكتابان ؟

ج: الكتاب الذي عن سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، أريد أن أقدم فيه الرؤى التي كانت متوافرة لدى نخب مفكري عصر الأنوار الأوروبي إزاء شخصية الرسول عليه الصلاة والسلام؛ لأتبين أيُّهم كان منصفاً وأيُّهم كان ظالماً .. فمثلاً جوته الألماني له كتاب (الديوان الشرقي للشاعر الغربي)، وفيه قصيدة في رثاء شهداء بدر، وفيه قصيدة في مدح سيدتنا فاطمة بنت الرسول عليه الصلاة والسلام، وفيه قصائد أخرى واضح تأثيره فيها بالنص القرآني، حتى قيل أنه وجد ريشة نعام في المصحف فقال: «أي مأوى أويت إليه» !! وكان يحتفل بليلة القدر ويقول هذه أعظم ليلة عرفها تاريخ البشر، هذا جوته الألماني .. أما فكتور هوجو مثلاً فقد أسلم قبل وفاته بستين وكتب قصيدة العام التاسع، يتحدث فيها عن خطبة حجة الوداع على عرفات لسيدنا محمد عليه الصلاة والسلام، وأسلم عن طريق أحد المتصوفة المغاربة، وحاول بعض الماسونيين في باريس أن يخفوا هذا.. وسارعوا بدفنه في مقبرة العظماء في باريس، دون أن يشار إلى هذه الواقعة الخطيرة واقعة إسلام فكتور هوجو، ولكن بعدئذ تبينت الأوراق فإذا الرجل كان قد أسلم وكتب هذه القصيدة، وهي موجودة على الجوجل بالعربية والفرنسية .. ثم يا سيدي تولستوي له كتاب (حكّم النبي محمد) اختار ٤٠ - ٥٠ حديثاً نبوياً وقف إزاءها وقفة المتدبر وتحدث وتجلّى تجلياته الروحية إزاء هذه الأحاديث الشريفة، ثم يقال إنه أسلم وان هذه بعض أسباب اضطهاده في آخر حياته حتى إنه توفي في محطة قطار غريباً بعد أن تنازل عن كل أطيانه وأمواله للفقراء والمساكين .. أيضاً الكاتبة كارين ارمسترونغ البريطانية وكانت راهبة وكتبت كتاباً جميلاً عن سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأنصفته إنصافاً عظيماً، ودافعت وردت كثيراً من الشبهات التي قيلت حوله .. ثم عندك الكاتبة الألمانية آني ماري شيمل وكتبت كتاباً بعنوان (وأشهد أن محمداً رسول الله)، وقيل إنها قبل وفاتها أوصت بأن يقرأ القرآن الكريم على جثمانها قبل دفنها، دعك طبعاً من مراد هوفمان الذي كان سفيراً لألمانيا في الجزائر وأسلم، دعك من روجيه جارودي الذي أسلم واضطهده الفرنسيون وحرقوا كتبه، يعني هذه مواقف النخب الأوروبية ..

س: طيب ما هي الأسباب وراء تأثر هؤلاء بالإسلام برأيك؟

ج: الحقيقة هو بعد أن مضت فترة عصر الأنوار يبدو أنهم تركوا كل ما له علاقة بالاضطهاد الكنسي للمفكرين الأحرار في أوروبا؛ فأصبحت عقولهم حرة تنظر في ما تشاء نظرا موضوعيا عقلانيا، فرأوا أمامهم هذا الإسلام الذي صُوِّرَ بتصوير شائه، ثم أنصفوه .. كبارهم وأدركوا هذه المزايا التي في هذا الدين وهذه الرؤى الشاملة والإنسانية التي فيه، فيبدو أنه كان هناك ردة فعل وبخاصة على الاستشراق الاستعماري، لأن الإستشراق الاستعماري قدم صورة شائثة للإسلام وكأنها صورة جاءت لتبرير الحروب الصليبية على الإسلام ليس إلا .

س: من الذي بدأ بالاستشراق؟

ج: الاستشراق بدأ مبكرا كما يقول الأستاذ محمود محمد شاكر في كتابه (رسالة في الطريق إلى ثقافتنا) يقول إن الاستشراق بدأ من زمن الحروب الصليبية، يعني في الفترة التي بدؤوا يدرسون فيها تاريخ الشرق وأعراف الشرق وعادات الشرق تمهيدا لغزو الشرق، فكما تعرف، مراحل الصدام مع أوروبا الصدام العربي الإسلامي كثيرة؛ منها أيام البيزنطيين وأيام الحروب الصليبية وأيام الاستعمار الحديث، فهم أهل الاستشراق عندهم نزعة هدفها الرئيسي هو خدمة الاستعمار، ليس هناك سبب موضوعي لدراسة الشرق كالاقتراب منه لفهم هذا الشرق .. لذلك لما كتب إدوارد سعيد كتابه الاستشراق فضح هذه النزعة .. لأنهم أرادوا أن يجوهروا الشرق من حيث هو حالة متخلفة؛ الشرقي لا علاقة له بالتحليل العقلي، الشرقي لا علاقة له بالفلسفة أو بالمعاني الكبرى، الشرقي حسي ...

س: يعني عزل الشرقي دائما؟

ج: دائما وضعه في مثابة هابطة، ولكن جاء بعض الناس فتأبوا على هذا، ما عدا فولتير الذي يظن أنه فيلسوف تنوير، وأنا أعتقد أنه فيلسوف ظلامي، لأنه كتب مسرحية بعنوان (محمد) هجا فيها الرسول واتهمه بأنه يتلمظ لأكل اللحوم ولهدر الدماء وأنه هاجم مكة بعد تركها خمسة عشر عاما هاجمها وقام بمذبحة كبرى .. وهذا عكس التاريخ، فالرسول دخل مكة وقال اذهبوا فأنتم الطلقاء .. فالحقيقة أنه أراد تشويه الحقيقة وأخذ جائزة سنوية

من البابا في زمنه، أرسل إليه الجائزة وشكره على هذه المسرحية، فبين أن هذا الذي يظن أنه فيلسوف تنوير هو في الحقيقة فيلسوف ظلامي.. وتناقضاته واضحة أنا أفردت فصلا في الكتاب لتناقضات فيلسوف التنوير هذا المزعوم .. يعني هذه بعض ملامح من هذا الكتاب .

س: والكتاب الثاني؟

ج: الكتاب الثاني هو وقوف منطقي وعقلاني علمي في مواجهة الدعوة العريضة للشبيوعيين بأنهم تقدميون .. الذي يسير بالإنسان في خطأ التقدم والترقي الروحي هي الروح والعقل والنفس البشرية لا المادة .. المادة ظلامية، المادة ترزح بالإنسان، المادة تجذب الإنسان إلى الوحل، لكن الروح هي رائدة الإنسان في تمرده على كل أنواع الظلم، وفي نشدانه للأناوار وللتقدم، فهذه الفكرة الحقيقة بدأتها أنا منذ مجمع نيقية الذي عقده قسطنطين عام ٣٢٥ للميلاد في هذا المجمع أقروا الثالث الكنسي، وجاء الجذر الهيجلي لمحاولة إيجاد معادل منطقي للثالث الكنسي النيقاوي، فالدعوة الأولى أو الطرح الأول في منطق الجدل عند هيجل هو الله سبحانه وتعالى بمعنى المطلق اللامحدود الله اللانهائي ثم النقيض الذي هو الإنسان المحدود الفاني ثم يأتي الكمبرومايز أو الحادث التركيب المركب الوسط منهم وهو السيد المسيح الذي هو لاهوت وناسوت في آن واحد .. هذا الجدل الهيجلي جاء تبريرا لأنه كان هيجل بصدد أن يكون شماسا في كنيسة ورجل دين شتوتجارت، وفي ألمانيا درس الدراسة الكنسية يريد أن يكرس نفسه رجل دين مسيحي فأراد أن يقوم بإيجاد معادل منطقي للثالث النيقاوي الذي فرضه قسطنطين فرضا وقتل الموحدين في ذلك المؤتمر، فقد كان هناك أريوس الموحد، قتل أريوس، وأول حملة صليبية على بلاد الشرق مرت بآسيا الصغرى فقتلت ٣٠ الفا من أتباع أرميوس الموحد .. وأنا أعتبره أول شهيد في الإسلام إذا صح التعبير .. فهذا الكتاب منذور لبيان أن هذا الفكر الجدلي الماركسي ليس إلا انعكاسا للجدل الهيجلي، فبدلا من أن يكون المطلق هو الله سبحانه وتعالى أو الفكرة كما هي عند هيكل أصبح المطلق هو المادة وبالتالي أصبح عبارة عن جدل لاهوتي ما دي .. فبذلك مثلا بيرتراند راسل في كتابه تاريخ الفلسفة الغربية يقول لا تختلف الماركسية عن أي دين؛ فيها شيطانها الذي هو الرأسمالية العالمية،

وفيهما جنتها الموعودة التي هي البروليتاريا، وفيها إبليسها، يعني فعلا هذا لاهوت ولكنه لاهوت مادي كما يقول مفكر آخر عندهم اسمه فيورباخ فبالثاني نحن مبهورون أو يريد الماركسيون في العالم العربي أن يوهمونا بأنهم هم التقدميون وأن الآخرون هم رجعيون لأنهم لهم فكر مثالي أو روحي أو كذا، والعكس هو الصحيح. لا يجعلك متأبياً على الذل والظلم والعبودية إلا روحك المتمردة على كل هذا. الروح هي قائدة المرء في طريق التقدم، المادة تهبط بالإنسان وتضعه في دائرة ضيق العطن؛ يصبح فيها ولا يمكن أن يفكر تفكيراً حراً رائداً، وهذه فكرة عن الكتابين ..

س: استاذ ابراهيم لديك يوميات عراقية صدرت عام ١٩٩٠ ما الذي تضمنته ..

ج: يا سيدي يوميات عراقية يتضمن ثلاثة أجزاء الجزء الأول هو الحالة العراقية وسيناريوها ت المستقبل لأنني كنت أقول فيها إن العراق مهياً لأن يكون قوة عظمى والمستقبل للعراق بالتحالف مع ضحايا الصهيونية في العالم، يعني الألمان كانوا ضحايا ودفنوا أثماناً كثيرة، والعرب والفلسطينيين، ثم العراق وما يمثله من نهضة الأمة واسترجاع لذاكرتها الحضارية، فالعراق مهياً لأن يكون قوة عظمى لكن ليس قوة ظلامية، قوة ملؤها النور والسلام والثقافة أنت تعرف أن العراقيين يقرؤون، كان الكتاب يؤلف في مصر ويطلع في بيروت ويقرأ في العراق .. فالعراق كان رائد الأمة وفيه آلاف العلماء الذي لاحقتهم الصهيونية وقتلتهم وكان لي محاضرة ذات مرة في هيئة علماء العراق حول الشهيد الراوي العالم العراقي، لأن الحقيقة هي أن الصهاينة كانوا يتبعون العلماء العراقيين حيثما ذهبوا في العالم ويقتلونهم؛ وهذا دليل على أن الغرب والصهيونية يخافون من نهضة العراق وقيادة العراق للأمة ولذلك هم أرادوا أن يقصموا ظهر العراق ولكن العراق بإذن الله تعالى سيتعافى ويتعافى من قريب رغم كل هذا الكيد .. في يوميات عراقية أثناء الحرب والهجمة الغربية العالمية ضد العراق كنت أكتب زاويتي اليومية في جريدة الرأي فذهبت إلى رئيس التحرير وقلت له أنا يومياً عندي فيض من المشاعر باتجاه العراق فأرجو أن أكرس هذه الزاوية «أفق» كلها فقط للعراق .. خلال هذه المعركة فكتبت ٣٠ زاوية كلها موجهة لهذه المعركة .. أمتي أمتي الآن مهددة بالخطر ..

هذه كانت في عام ١٩٩٠ إبان العدوان على العراق ..

نعم لكنني جمعتها أنا بعد ذلك؛ جمعتها مع ما كتبه عن سيناريوهات المستقبل والعراق، وافتتحت الكتاب بأنه حوالى ٢٠٠ من حرائر العراق رمين أنفسهن في فوق الجسر المنصوب على دجلة حتى لا يغتصبن، وهذا دليل على أن العراقي عنده الشرف العربي أهم شئ في الوجود، فهذه المشاعر هي التي كانت وراء هذا الكتاب ..

س: أيضا استاذ ابراهيم أشياء أخرى ذكرتها في كتاب يوميات عراقية تطرقت لها ..

ج: يعني عموما كل ما كان له علاقة بالنهوض بروح الأمة وعدم الاستكانة للأعداء، لأنه كما يقولون «الكثرة غلبت الشجاعة»، تحالف ثلاثيني يهاجم العراق وأول ما يدمر في العراق يدمر مكباتها متاحفها والروح الحضارية فيها؛ هذا الذي كان يثير غيظهم، لا يريدون لهذه الأمة أن تنهض، بالتالي كان التركيز الرئيسي على أن لا يعترينا القنوط أو اليأس فالحقيقة يعني كما قال تعالى: ((الذين قال لهم الناس إن الناس قد جمعوا لكم فاخشوهم فزادهم إيمانا وقالوا حسبنا الله نعم الوكيل)) لكن رغم هذا الجمع العروم فالعراق بقي صامدا، ويرأى كل المؤامرات الموجودة لتفتت الوحدة العراقية هدفها الرئيسي أن لا يكون نهوض لأمة العرب والمسلمين؛ لأنها لن تنهض أمة العرب والمسلمين إلا بالعراق . هذه فناعتي ..

س: أستاذ تجولت في ثقافات الشعوب وأديانها ما الذي أثار اهتمامك؟؟

ج: والله يا سيدي أنا أعتقد كما ذكرت في كتابي الأخير صفو الاعتبار؛ هناك فصل في معنى الإسلام .. أنا أعتقد أن الإسلام هو دين الأرض كلها منذ آدم إلى آخر نبي، وما من أمة إلا خلا فيها نذير، وبالتالي كل أمم الأرض جاءها أنبياء وجاءوها بالإسلام وبالتوحيد لكن حين يتراخي الزمن وتكون الشقة بعيدة بين الرسول أو النبي ورسالته، ثم توجد بعدئذ هناك خرافات دخلت وأساطير وأشياء أبعدت الناس عن الدين الحق، ولكن الدين الحق ظل حتى الرسالة الخاتمة رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم . فكل أمة فيها أثارة من الإسلام. يعني البيروني حين كتب كتابه (تحقيق ما للهند من مقولة مردولة في العقل أو مقبولة) كتب عن الهندوس والبراهمة وقدم صورة عن رؤيتهم لله سبحانه في الذات والصفات .. فحين تقرأها أنت تقول يا إلهي هذا عندنا نحن المسلمين!! لكن كيف غاب عنهم التوحيد وضاع منهم الدين الحق ووقعوا في الكفر؟ الجواب أنه مع الزمن

وتراخي السنين والعقود، بدأت تتشوه الحقائق وتتغير مبادئ التوحيد وتحل عقائد الكفر محل العقيدة الصحيحة .. فالإسلام جاء لنفض الغبار عن كل هذا، وتقديم التوحيد خالصاً للأمم، فكل الأمم أنا باعتقادي هي في الأصل مسلمة، باعتبار أن ما من أمة إلا خلا فيها نذير فالمسلم حين يأتي للعالم فيقول أنا يا قوم آتيكم بدينكم الأصلي، أنا آتي للهنود للصينيين للأمريكان للأمم كلها، أنا لا آتيكم بدين غير دينكم الأصلي الذي علاه الصدى وعلته الأتربة، أنا أنفض الغبار وأزيل هذا الرين من أجل أن أقدم لكم الدين خالصاً ومتجوهرًا لامعا بريئًا من كل أذى. فبالتالي إن دعوة الإسلام للأمم هي دعوة لإزالة غبار الكفر والشرك العالق بدينها، وإعادة الروح البشرية والفطرة الإنسانية إلى حقائقها الأولى .

س: أيضا عملت في مجال الصحافة والإعلام لسنوات طويلة ما هي أبرز المحطات التي أثار انتباهك وكنت تطمح لأن تقدم فيها الأكثر؟

ج: والله أنا يعني اتفق لي أن عملت رئيسا للقسم الثقافي في الإذاعة الأردنية عام ١٩٧٩ وحرصت على أن أطور العمل بحيث أنه كانت هناك حوالي ثمانية برامج للثقافة فجعلتها ٢٠ أو ٢١، وحرصت على تكون متنوعة فمثلا كان ممن يكتبون البرامج المرحوم الفيلسوف الأردني الراحل الدكتور سحبان خليفات كان يكتب برنامج محاورات الحكماء، ولدكتور نقولا زيادة يكتب عن مدن عربية أو مدن أردنية، في الأدب الشعبي في الأفلام الواعدة، لم نترك شيئا إلا قمنا بمواجهته ثقافيا. ولكن لم تطل تجربتي في الإذاعة، ثم ذهبت إلى الصحافة وبدأت أنا في جريدة الرأي مسؤولا عن صفحة آراء حرة ثم استلمت الرأي الثقافي، والرأي الثقافي كان عن عبارة عن ملحق أسبوعي في حدود ثمان صفحات ونستكتب فيه كثيرا من كبار مفكري الأردن والعالم العربي، واستطعنا أن نقدم صورة عن حركة الثقافة في الأردن وما أمكننا في العالم العربي. استكثبت مثلا حين توفي رحمه الله العلامة محمود محمد شاكر في مصر قمنا بإنجاز ملحق عنه كتب فيه الدكتور ناصر الدين الأسد والدكتور أحسان عباس والدكتور أسعد عبدالرحمن لم أدع مفكرا ذا شأن وذا ثقل إلا واستكثبته في هذا الملحق .. فخرج كأنه يعني خارجا عن الطور، احتفي به احتفاء خاصا وخاصة في الجانب الأكاديمي ثم حرصت على أن يكون لأساتذة

الجامعات حضور في الملحق الثقافي طوال هذه السنوات التي كنت فيها مسؤولاً قبل أن
أُسلم الزاوية اليومية «أفق» التي استمرت ربع قرن في جريدة الرأي..

نعم إذن نذهب أستاذي إلى فاصل ثم نعود إلى إكمال اللقاء الخاص ..

من جديد .. مرحبا بك ثانية ... حياك الله .. أهل بك

س: لديك الكثير من الدواوين الشعرية والمؤلفات الكثيرة المتنوعة حدثنا عن هذا التنوع ..

ج: الحقيقة أستاذي أنا بدأت شاعرا ثم ملت إلى القصة القصيرة ثم كتبت الرواية وكتبت
المسرحية وبأخرة في السنوات الثلاثين الأخيرة من عمري أنا عمري الآن ٧٤ عاما
توجهت نحو الدراسات الفكرية والفلسفية وذلك أنني منذ تأبيت على المناهج
الأكاديمية الدراسية في الجامعة ورفضت أن أسلك هذا السبيل الأكاديمي في التفلسف أو
الفكر الفلسفي آثرت أن أكون عصاميا. ثم بدأت أذهب إلى النصوص الرئيسية والمنابع
الرئيسية للفكر. مثلا لا بد أن تقرأ جمهورية أفلاطون وكتاب السياسة لأرسطو ومحاورات
أفلاطون في أغلبها وبخاصة ما تعلق باللغة أو تعلق بالسفسطائيين أو ما إلى ذلك ثم ذهبت
إلى نصوص الفلسفة الرواقية ماركوس أوفيليوس ابكتوس القديس أوغسطينيون وما
إلى ذلك، ثم عدت إلى أبناء أمتي الذين قرؤوا الفلسفة مثل الفارابي وابن سينا والكندي
وغيرهم، ثم عدت إلى النبع الأصلي الذي هو القرآن الكريم فتبين لي أن كثيرا مما نراه
حكمة بالغة عند الأمم هو موجود في أيسر سبيل وفي متناول يد العقل المسلم، وذلك
من خلال القرآن الكريم، فعلى سبيل المثال قرأت تاريخ الفلسفة الغربية لبرتراند راسل
وهو ثلاثة مجلدات وقرأت كتابه تحرير العقل وكتابه لماذا لست مسيحيا وكتب أخرى
كثيرة عن رسائل فلسفية وما إلى ذلك فتبين لي أنه حتى حواراته مع بعض رجال الكنيسة
تبين لي أن هذا الذي يظهر لنا بمظهر الإعجاز أو المعجزة الإغريقية . أنه في الحقيقة
لا يوجد معجزة أغريقية؛ بل المعجزة الوحيدة في تاريخ الثقافة الإنسانية هي المعجزة
الإسلامية، بل إن الإغريقيين كانوا تلامذة للشرقيين؛ لا أفلاطون ولا أرسطو ولا غيره
ولا غيره، لقد جاءوا إلى صور وصيدا وإلى مصر ومكثوا فيها سنين في مصر وتأثروا
بالثقافة الشرقية سواء كانت عند الكنعانيين الفنيقيين وعند البابليين أو عند المصريين
والفراعنة، وبالتالي ما يسمى بالمعجزة الإغريقية كما يذهب أحد الباحثين الأمريكيين له

كتاب اسمه (أثينا السوداء) يقول: كل هذه الحضارة تفسرها بالرجوع إلى أصولها، لكن كيف لك أن تفسر أمة خلال مائة عام فإذا بها تفرد جناحيها على الأرض شرقها غربها وتقدم مئات بل قدمت ٢٠ مليون ٣٠ مليون ٥٠ مليون مخطوطة موجودة الآن باللغة العربية وغير محققة، وبعض المخطوطات تبلغ ٢٠ مجلدا، إذن، إذا كان ثمة معجزة في تاريخ الحضارة الإنسانية فهي المعجزة العربية الإسلامية .. هذا اللسان العربي المبين الذي تبلغ مفرداته ١٢ مليون ونصف مليون مفردة .. فإذا ألغينا نظرية المترادفات بمعنى أن لكل مفردة دلالة خاصة بها؛ فهذا يعني أن أغنى اللغات دلالة في العالم قاطبة هي اللغة العربية، وإذن هذه لغة مهياة لتلقي الوحي من جهة، ثم لأن تكون لغة العالم ولغة الفكر ولغة الإنسانية بشمولها . ولكن للأسف الآن نحن نعيش ألوانا من الهماله السياسية في العالم العربي حالت دون أن تتفجر هذه العبقرية العربية الإسلامية، ودون أن تأخذ مداها في العالم وتبلغ أقصى وجودها وحضورها .

س: أذن أمة أقرأ لا تقرأ أو تقرأ القليل ما الأسباب في رأيك وراء ذلك؟

ج: يا سيدي أول تعليم إلهي نزل إلى رسولنا الكريم عليه الصلاة والسلام .. لم يقل له الله سبحانه وتعالى : صل ولم يقل له صم ولم يقل جاهد لم يقل له ابن المجتمعات ولم يقل له أي شيء من ذلك .. قال له أقرأ .. فأول فريضة في تاريخ الهدي المحمدي والإسلامي هي القراءة .. لذلك لا نعجب إذا كتب العقاد كتابه (التفكير فريضة إسلامية). وهو من أجمل الكتب حقيقة فالمؤسف أنها غابت عندنا فكرة الأسباب والمسببات، فقد كانت في العصور المزدهرة في الإسلام، كان من يقرأ ويتثقف ويقرأ ويسير مسير العلم تكون له منزلة في المجتمع .. (قل هل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون) .. بالقطع لا يستون؟ .. لكن في مجتمعنا الآن أنت حين تسلخ من عمرك نصف قرن وأنت تقرأ وتكتب وتهذب روحك وتوسع آفاقك ثم لا يكون لك المكانة اللائقة بك في المجتمع بل بالعكس تدفع إلى الزوايا المظلمة؟ لأنك لا تريد أن تناق ولا أن تحابي ولا أن تباع أمتك بأرخص الأثمان، هذا السبب أن قانون السببية ملغى في حياتنا الثقافية والاجتماعية، لذلك ينافق المرء قليلا فتصعد به المراقبي يكون صريحا بعض الشيء لا بد أن يذاد .. للأسف هذا هو واقعنا ..

س: استاذ ابراهيم ذكرت في مقدمة الحديث أنه لا يجب أن نتأثر بالحضارة الغربية إلا أن لدينا شبا بآ يتأثرون، والجيل المقبل كثير التأثر بالانترنت وكثر من الدخيل الغربي ؟

ج: هو سيدي أنا على جه التحديد لم أقل لا نريد أن نتأثر .. قلت لا نريد أن ننهر .. التأثر شيء طبيعي في الحياة كل أمة تتأثر بالأمة الأخرى بالعكس فقد يكون هذا سبباً لتلاقح الأفكار والتأثر بالأمة .. التأثر مطلوب لكن الأنهار مرفوض لماذا أنهر أنا بفيلسوف مثل برتراند راسل وأنا عندي ابن سينا مثلاً لماذا أنهر بأي نص فكري أو أدبي وعندي القرآن الكريم والحديث النبوي وعندي أساطين البيان الجاحظ خير من كل فلاسفة التنوير الأوروبي أبو حيان التوحيدي أين له مثيل كل محاورات أفلاطون وأرسطو إذا جمعتهما ومحاورات الحضارة الإغريقية مع الأمتاع والمؤانسة والمقابسات لأبي حيان أين سيكون حجمها إذن أنا لا أنهر أنا رجل أخرج من مشكاة القرآن ومشكاة الأدب العربي وهذه الأمة العظيمة .. إذا لماذا نواطي كما يقول الإنسان لا أصغر أكتافي هذا المقصود .. لكن التأثر مطلوب نحن نتأثر لكن نتأثر نستوعب ونتجاز أنا أو من بنظرية الاستيعاب والتجاوز استوعب المعطى أو المنجز الحضاري الغربي المعرفي ولكني أتجاوزه برويتي القرآنية، القرآن رسم لي أفقاً من قوس القرح، أفقاً واسعاً جداً، لا بأس أن أوثت هذا الأفق متأثراً بأي شيء لكن يبقى الأفق هو الأفق القرآني، لا أفقد أصالتي وهذا هو المقصود ..

س: يعني نأخذ الأشياء الجيدة ونرمي الأشياء السيئة؟

ج: طبعاً الحكمة ضالة المؤمن لذلك أنا لا أقول الفكر الغربي كله ساقط .. لا هناك مفكرون رائعون هناك مفكرون تنحني القامات لهم ولكن أنا باعتباري ابن حضارة، حضارتنا لم تنهزم على فكرة .. الذي يقول إن الحضارة الإسلامية انهزمت هو مهزوم في داخله .. الذين انهزموا هم السياسيون العرب فقط .. الهماله السياسية هي التي نزلت رؤوسنا في الأرض لكن حضارتنا رافعة الرأس، حضارتنا لم نجد مثلها حضارة إنسانية في الوجود كله .. انظر إلى صلاح الدين الأيوبي حين دخل القدس في الحروب الصليبية منتصراً كان حريصاً على أن يأتي لإحدى النساء التي فقدت ابنها أن يأتوا بابنها لها ولم تنزل قطرة دم واحدة لم تسفك قطرة دم واحدة لدى دخول صلاح الدين القدس، على حين لما دخلت

الحرب الصليبية القدس قتلوا ٧٠ ألف أنسان..قتلوهم في القدس كانت الخيل تخوض في الدماء، الغرب هذا المتوحش، الليبرالية الآن المتوحشة هي وريثة الصليبيين، هذا الغرب الذي الذي يدعي الحضارة .. هذا غير موجود حقيقة .. فنحن بحاجة إلى إعادة الموازين إلى نصابها الحقيقي، نحن أمة العالم كله تأمر عليها، لا يريدون لهذا النور أن يشع، لأنه إذا شع نور العروبة والإسلام في العالم- وأنا لا أفصل بين العروبة والإسلام- أنا أعرف أن الذين يعتقدون أن المسيحي العربي هو نصف مسلم، وأن المسلم العربي يَضمُّ المسيحية والموسوية في عباءة الإسلام . لذلك نحن في الإسلام نقرأ قوله تعالى: ((آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله وقالوا سمعنا وأطعنا غفرانك ربنا وإليك المصير)) وسيدنا الرسول يقول: «أنا دعوة أبي إبراهيم وبشارة أخي عيسى» .. فالذي لا يؤمن بسيدنا المسيح ليس مسلماً. الذي لا يؤمن بسيدنا موسى ليس مسلماً . الذي ينكر أياً من الأنبياء ليس مسلماً . إذن هذا الإسلام هو الدين الخاتم، الذي يضم في عباءته كل ما نزل من قبله، وهو الأوسع والأشمل والممثل لروح الإنسانية كاملة. لكن نحن قضيتنا ناجحة والمحامون خاسرون .. أنا أخص ما نحن فيه نحن نعيش حضارة غير مهزومة بحمد الله، لكنها حضارة قد ائتمروا بها، نحن نعيش حالة من الهماله والتمزق السياسي هو الذي أودى بنا وأوصلنا إلى هذه الحالة.. لكن، قريب نهوضنا بإذنه تعالى، لا نستتس ..

س: استاذنا أيضا نتقل إلى قطاع التعليم العالي عملت مستشارا في هذا القطاع كيف تنظر إلى التعليم عموما في عالمنا العربي؟

ج: والله أنا كنت مستشارا، تقريبا مر بي ستة وزراء تعليم عال .. وللأسف أنا تقدمت بخطة أثناء وجودي في الوزارة بخطة شاملة للتعليم العالي وكنت أريد أن يكون هناك مادة ثقافية تعتبر مادة متطلب جامعي بمعنى الذي لا ينجح في هذه المادة لا يكون له تخريج .. والمادة تقدم الأبعاد كاملة للهوية الثقافية الوطنية .. نحن في الأردن ما هي أبعادنا؟؟ أبعادنا: العروبة الإسلام والإنسانية، فإذا لم تتمثل هذه الأبعاد في ثقافة وطنية كيف ستمثلها إذن؟ فكان لي مثل هذه الخطة وللأسف كان هناك لجنة، في الحقيقة الدكتور عوض خليفات كان هو وزير التعليم العالي وشكل لجنة من أجل دراسة هذا الأمر

واستمررنا ستة أشهر ثم انحلت اللجنة ولم نصل إلى قرار .. أنا أؤمن أن التعليم العالي في بلادنا العربية عموماً يمر بمأزق خطير ذلك أننا نتأثر بالغرب ذلك التأثير السلبي الذي أشرت إليه سابقاً بمعنى أننا لا نفيد من المناحي الأكاديمية التي تهيئ للعقل الإنساني مزيداً من آفاق النظر وتزوده بمناهج التفكير ولكننا نلجأ إلى أساليب التلقين .. ثم الحفظ وإعادة ما حفظ على ورقة الامتحان .. ثم الآن أصبح هناك تيسير للأمور يعني لا توجد صلابة في الدراسة الأكاديمية .. أنا أذكر .. الدكتور شكري فيصل رحمه الله لما كتب عن (الاتجاهات الأدبية التي قاموا بها في مصر) مكثت سنوات حتى أنجزها .. في الغرب كما يقول الأستاذ هشام شراري، طبعاً توفي رحمه الله، في كتاب له اسمه (ذكريات الجمر والرماد) أو (مذكرات مثقف عربي) يقول: إن الطالب إذا كان أمريكياً بقي ثماني سنين دأباً يدرس ويتعلق ويتعلم من اللغات اللاتينية واليونانية القديمة والحديث وحتى يصل إلى درجة الدكتوراه أما إذا كان الطالب من العالم العربي فيسرون له الأمر بحيث إنه ستة أشهر أو سنة يحصل على الشهادة ويكتب عليها (not to be used in USA) يعني ليس للإستعمال في الولايات المتحدة .. هذه فقط للعالم الثالث .. وكأنهم يقولون: دعهم يظنون أنهم علماء .. دعهم يظنون أنهم أصبحوا مفكرين وليربوا أجيالهم على هذا النمط .. فلأسف أنا لا أبرئ الأمر من ائتمار عالمي بالعقل العربي لأنهم يخافون أن يتفتح العقل العربي الحديث على عظمة الإسلام ومناهج النظر في الإسلام ومناهج الأصوليين الإسلاميين ثم يواجه العالم مواجهة أصيلة، يخافون من ذلك، لذلك يبادرون ويستبقون الأمور بحيث إنه قبل أن ينهض هذا العقل يتابعونه بالمخدرات والأشياء التي تنيمه إلى أبد الدهر .

س: إذن كيف يمكن معالجة سلبيات في النظم التعليمية العربية برأيك؟

ج: والله هذا لأمر أمرجلل وليس أمر جهة محددة إذا لم يجتمع العرب جميعاً على ميثاق واحد على مناهج متشاكلة، يعني أنا برأيي أن طالب التوجيهي في الأردن ينبغي أن يكون مثل الطالب الذي في العراق، له معارف تقريبا متشابهة معه حين يهيا الطالب للجامعة .. ليس كل طالب اجتاز التوجيهي مهياً أن يكون جامعياً .. وليس كل طالب جامعياً مهياً أن يقدم رسائل عليا . نحن لا نهتم .. مثلاً الصناعات تريد لها خريجين خاصين كل صناعة

كل مجال مهني يريد خريجين خاصين نحن لا نهتم بالفلسفة .. فقط أفراد قلائل الذي يهياون لأن يكون فلاسفة رأيت ؟ بالتالي نحن في فقر مدقع إلى مثل هذا التوجه لكن لا نستئس .. المشكل الآن أنت ترى الأمة العربية الآن كل منها كل فرد في الأمة يعاند نفسه، دعك من قريبه، دعك من الدول فيما بينها، دعك من المجتمعات، الفرق الدينية، وما إلى ذلك، نحن في حالة احتراب عجيب جدا .. يعني أشداء على بعضنا رحماء مع المستعمرين رحماء مع اليهود، الآن نحن نسعى لأن يكون لنا دين تحت ما يسمى الديانة الإبراهيمية ونسبنا قول الله تعالى (ما كان إبراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين) .. أي حوار هذا !!؟ لا يوجد إلا دين واحد في الأرض هو دين الإسلام .

س: يقال بأنه الحوار المتمدن

ج: أي متمدن؟! إنه الحوار الذي يريد أن يسلم أوطاننا إلى جملة من المستعمرين من أجل إسرائيل الكبرى .. فلأسف نحن نواجه تحديات كثيرة أقلها هذا بالنسبة للتعليم العالي .. لكن نحن لا نعدم إرادات خيرة موجودة في العالم العربي لا نعدم وجود أفراد قلائل أفذاذ متفرقين في العالم العربي .. لكن لا حول لهم ولا طول للأسف وكما قلت لك ما زلت أو من أن الهماله السياسية وراء كل ما نحن فيه من ترد.

س: أذن الكفاءة تحارب ويهاجرون إلى خارج بلدانها العربية ما الأسباب؟

ج: يا سيدي .. الكفاءة تحارب في مواطنها هاجر أو لم يهاجر .. لا أريد أن أتكلم عن شجن ذاتي إذا صح التعبير .. هذا أمر غير وارد لأنه نحن مشكلتنا عامة، مشكلة الأمة وليست مشكلة أفراد؛ الأفراد فليذهبوا، لهم عند الله الأجر، لكن نحن في العالم العربي حيث ما كانت هناك كفاءة فهي مدحورة إلى الصفوف الخلفية وحيثما ماكان هناك مدهن أو منافق فهو مقدم في الصفوف الأمامية ..

س: طيب لماذا يحارب؟

ج: هذه هلهله أخلاقية لأننا نحن مستعمرون .. يعني أخلاق العبيد .. نيتشه الفيلسوف الألماني كان يقول لا نريد أخلاق العبيد نريد أخلاق الأحرار، وله عبارة جميلة يقول فيها هذه الحضارة الغربية مجرمة لماذا؟ لأنها وأدت تلك المدنية العظيمة التي بناها رجال

أحرار في الأندلس. وهذا إحياء من نيتشة الفيلسوف الألماني لأن لأن المسلمين أقاموا حضارة أحرار في الأندلس لذلك نحن الآن عبيد. كل منا عبد لمجموعة من الشروط الموضوعية المكبلة له؛ فبالتالي لا تَطْلُبُ من العبيد أن يصنعوا أوطاناً، لا تطلب من العبد أن يبدع.. نحن كلمة السر في نهوضنا، وفي حياتنا كلها؛ إضافة إلى العقل والإيمان هي: الحرية .. نحن بحاجة إلى الحرية في العالم العربي . وأيما نظام عربي أو مجتمع عربي يدعي أن أفراده أحرار فينبغي أن يعيد النظر في نفسه لأننا لو كنا أحراراً ما كان ما كنا إلى ما نحن فيه الآن.

س: برأيك أستاذ ابراهيم ما علاقة العلم بالوعي المجتمعي ؟

ج: والله سيدي العلم يقدم لك طرائق ووسائل للتحقق من الأشياء، العلم هذه مهمته؛ لأنه ليس فلسفة .. العلم ليس فلسفة .. العلم يقدم لك كفيات الأشياء .. ولكن الفلسفة تقدم لك غايات الأشياء .. العلم معني بالكيف الفلسفة أو الحكمة معنية بالغاية .. لماذا .. أنا هنا لماذا؟. في دائرة الكيف عملي كعلم . كفيات، لكن الغايات أو لماذا هي الأمور؟ الفلسفة تقدم الإجابة .. لكن من عظيم نعمة الله على المسلمين أن أتاهم بقرآن يتضمن كل ما يمكن أن تأتي به الحكمة والفلسفة من معان ولكن مع تصويت وتسديد لها حتى لا تضل. فنظرية المعرفة تنطلق من القرآن الكريم في بناء الحق .. نظرية العلم العلم التجريبي .. (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف بدأ الخلق) هذا إذا في العالم التجريبي .. (قل سيروا في الأرض فانظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلكم) .. هذا في التاريخ وفلسفة التاريخ .. وهكذا (قل انظروا ماذا في السموات والأرض) هذا الفلك والفضائيات وإن كل الفلسفة وأصول العلوم في هناك قواعد أساسية موجودة في القرآن الكريم، فبحمد الله عندنا كتاب يتضمن الحكمة وأسس العلم، وأسس لمعارف بشكل عام وهو يجعل المسلم ينطلق في الكون ليؤسس حضارة بني الإنسان، فلذلك أنا من الذين يرون أنه لو عدت كل الكتب في الأرض وبقي القرآن الكريم لكان كافياً لبناء حضارة تكرم الإنسان .

س: نعم لديك أستاذ ابراهيم دراسة أسميتها الوعي المتمرد.. نعم ..لماذا؟

ج: والله هذا كتاب، الوعي المتمرد كتاب أظن صدر في أواخر السبعينيات طبعت منه نسخاً معدودة وأهديتها للناس الكتاب هدفه الرئيسي مواجهة الأيديولوجيا وانغلاق

الأيدولوجيا لأنها تأتيك بنسق أفكار نسق محكم لكنه مظلم، وبالتالي قد تظن ابتداءً أنه يأتيك بسقف أعلى، ولكنه يأتيك بسقف يحطم الجمجمة، ويحطم الرأس ويمنع من التفكير مقولات ثابتة مقولبة استنساخ فكري وأيدلوجي ولا يسمح لك بالحركة فالوعي المتمرد أساسه كان، محاضرة لي في رابطة الكتاب في الزرقاء بعنوان عن الحوار الفكري .. هذا المعنى .. واشترطت في الحوار الندية، الآن الذين يقولون أن ثمة حواراً بيننا بين الغرب؛ كذبة، لا يوجد حوار لماذا؟ لأن الندية هي أول شروط الحوار. ثانياً الحرية.. هل نحن أنداد الآن للغرب نحاوره؟؟ نحن صدى فقط لما يقول؛ لأنه هو الحاكم وأنا المحكوم، هو المستعمر وأنا المستعمر فكيف سيكون حوار؟ حرיתי ليست معي ..

س: الحوار يجب أن يكون متكافئاً !!

ج: في تكافؤ وفي حرية وفي نشدان للحق .. لذلك في كتاب (الكافية في الجدل) للجويني الإمام الجويني هذا الكتاب حققته الدكتورة فويرة حسين في مصر، مصر ستظل مركز الثقافة العربية دائماً .. حين تقرأ هذا الكتاب ترى كل شروط الحوار الإنساني الحر في كل حضارة؛ لأنه يضع هدفاً للمتحاورين أو المتناظرين أن يصلوا إلى الحقيقة، وليس فقط أن تكون صراع ديكمة من أجل إثبات الذات. لا؛ الهدف هو الوصول إلى الحقيقة، ثم أعطى للجدل معنى غير الجدل بالمعنى الأرسطي، والمعنى الأرسطي أن هذا الجدل هو تحاور في مرحلة وسط بين اليقين الخطابي للدهماء وبين اليقين البرهاني للفلاسفة والعلماء، فهو واقع في الوسط، لكن في المعنى الذي يطرحه الإمام الجويني الجدل هو نشدان الحق، أنت في حالة حوار مع الآخر من أجل نشدان الحق، حتى إذا وجدت أنت الحق مع نظيرك فامض معه وسلم له؛ لأنك أنت تريد الحق ولو جاء به غريمك، فمعنى الجدل هو معنى البرهان وليس معنى المجادلة والمماحكة اللفظية ..

س: استاذ ابراهيم قبل أن نختم هل من كلمة تودون إلقائها بهذه المناسبة .؟

ج: والله يا سيدي حيث أنني أتكلم من فضائية الرافدين فإني أرجو من الله سبحانه وتعالى أن يتعافى العراق من قريب، وأن يعود إلى تسلم راية النهضة العربية، وأن ينتهي من كل مشاكله وأن ينتهي من الاستعمار سواء كان استعماراً أمريكياً أم إيرانياً أو ما شئت من كل ألوان الهيمنة التي تتجثم على صدره وترين على قلبه .. وهذه أمنية أولى. ثانياً أن

يفك الله أسر إخواننا في فلسطين الحبيبة لأنهم هم البقية الباقية من العرب الصالحين الآن، يعني يقاتلون على ضعف العدة والناصر يقاتلون أشرس عدو لنا في العالم، ويعني في ظهره أمم أخرى تظاهرة وتعززه، هاتان أمنتان والثالثة أن يستيقظ الوعي العربي على حقائق الأمة أساس ثم على حقائق هذا العالم الذي يتربص بنا، ساعتئذ يمكن أن يكون إن شاء الله قريبا أمل النهوض لهذه الأمة.

إذن في ختام الحوار أشكر الشكر الجزيل إستاذ ابراهيم على هذا اللقاء ..

مشاهدنا كان هذا لقاء مع الأستاذ إبراهيم العجلوني الأديب والمفكر والكاتب الصحفي الأردني المعروف .

الميثاق الوطني العراقي

يحاوّر المفكر والأديب والكاتب الأستاذ إبراهيم العجلوني

الميثاق: نحن على أبواب عام جديد يحمل معه كوارث وأزمات تمر بها المنطقة العربية والعراق: ماهي رؤيتكم لمسار العام الجديد؟

العجلوني: اعتقد أن الأعوام القريبة القادمة لن تحمل في أطوائها غير ما حملته الأيام المنصرمة منذ انسحاب الاحتلال «الصوري» من العراق الشقيق إلى يومنا هذا؛ وكل ما نشهده الآن دراما مرسومة وسيناريوهات يتفق عليها الأمريكان والروس والإيرانيون على أن هذا كله لا ينبغي أن يورث بأساً أو فتور همّة، فإن كان للباطل جولة فللحق جولات.

أما المسار المنتظر في العام الجديد فهو مزيد كشف للمتلاعبين بمقدّرات العراق، ومزيد انتباهٍ ويقظة بين العراقيين، على اختلاف أطرافهم، ومزيد رفض لهيمنة الأمريكان والإيرانيين على حد سواء، وذلك ما سينعكس، قوّة وتلاحماً في القوى الوطنية العراقية.

الميثاق: وهل بمقدور من يتحكم بأوضاع العراق أن يجد سبيلاً للحل بعد إخفاقات وفشل الأعوام الثمانية عشر الماضية، وما هي سبل خلاصه من تداعيات تلك السنين برأيكم؟

العجلوني: لن يتحكم بالعراق أحد، وما ترونه في ظاهر الأمر هو هيلمان إلى زوال وقد كشفت الأعوام المتتالية عن هزاله، وسوف يستعيد العراقيون وحدتهم الوطنية التي ستتحطم على صخرتها كلّ المؤامرات، الظاهر منها والخفيّ، والوعي المستبصر هو أول الطريق إلى ذلك.

* الميثاق: كيف تقرؤون تداعيات الحرب في العراق وسوريا ولبنان واليمن على الأمن القومي العربي؟

- العجلوني: لا أملك في ضوء رؤية شاملة لمبعث هذه التداعيات وأسبابها العميقة، إلا أن أرى إلى انبثاقها جملةً من بين يدي الصهيونية العالمية، ثم إلى تحقق غاياتها بسبب من الغباء العربي المستحکم وطباع الاستبداد التي هي القيد الأكبر على الإدارة العربية. وأعتقد انطلاقاً من ذلك كله أن «الأمن العربي» حُلْم أو أسطورة تدغدغ ذهولنا وحيرتنا، فنحن متفرون أيدي سَفَهٍ، بعد أن فقدنا ذاكرتنا الحضارية، وجعلنا الإسلام وراءنا ظَهْرِيًّا.

* الميثاق: لعبت إيران بورقة الطائفية لزعة استقرار بعض الدول العربية؛ فهل استطاعت أن تحقق أهدافها، وكيف يمكن التصدي لها؟

- العجلوني: الإيرانيون قصيرو النظر، فاقدون للحكمة، وإلا لما خسروا أهل السُنَّة والجماعة (وهم مليار ونصف تقريبا من المسلمين)، ولما آثروا الانخراط في اللعبة التي يقودها الإسرائيليون والأمريكان لتمزيق العالم الإسلامي، ثم إنَّ العراقيين (سُنَّةً وشيعةً) قد انتبهوا إلى هذه اللعبة التي يأخذ بناصرها الأمريكان والصهانية وسنرى إلى آثار هذا الانتباه قريباً.

* الميثاق: وإلى أي مدى استفاد الكيان الصهيوني من زعزعة استقرار المنطقة وعمليات التهجير والتغيير الديمغرافي التي شهدتها العراق وسوريا؟

- العجلوني: كل ما يجري في بلادنا العربية مَسَاقُهُ ومنتهاهُ إلى مصلحة إسرائيل وإلى تمكين مطرد لها في المشرق العربي الإسلامي، وهذا أمر بَدْهِي، ولكننا ضللنا عنه أو لفتنا الاستعمار المتجدد، العائدُ بخيلِهِ ورجله إلى بلادنا عن حقائقه الشرسة.

* الميثاق: هناك من يعتقد أن ولادة الحكومة في العراق مرهون بتفاهم واشنطن وطهران؟ هل أنت مع هذا الرأي ولماذا؟

- العجلوني: أنا ممن يذهبون إلى أن معظم ما يجري في المشرق العربي الإسلامي (أو في الشرق الأوسط في المصطلح الغربي) إنما تمَّ بتفاهم صهيوني أمريكي إيراني، ولو أن الإيرانيين ينكشف عن بصائرهم الغطاء لأدركوا عمق الهوة التي سقطوا فيها بسبب

إيثارهم ضيق الطائفية على سعة الإسلام الجامع للأمة. على أن في إيران من لا يرضون عن هذه السياسية المتواطئة مع الغرب ضد أبناء دينهم وحضارتهم المشتركة.

* الميثاق: ما هي مقومات النهوض بالشعوب العربية وبماذا تنصح هذه الشعوب ومنها العراق؟

- العجلوني: ما ثمة إلا الإسلام مقومًا لنهضة العرب والمسلمين، وللعراق دوره الرئيس الأكبر في ذلك، فهو حاضرة الإسلام ومهوى أفئدة المسلمين، قديمًا وحديثًا، وسيعود بإذن الله إلى أن يتبوأ مكانته، رائدًا وقائدًا ولو كره المجرمون.

* الميثاق: لماذا تطالب القوى الخاسرة بالانتخابات بضرورة التوافق السياسي في تشكيل الحكومة بعيدًا عن نتائج الانتخابات على الرغم من أن هذا التوافق أودى بالعراق إلى الهاوية؟

- العجلوني: لا يتمثل في الانتخابات العراقية معنى (الشورى والبيعة) بقدر ما يتمثل فيها الكيد الكبّار بالشعب العراقي، وما يسمونه توافقًا، لا يعدو كونه استجابة لمُرادات الأمريكان والصهاينة في آن.

* الميثاق: هل تعتقد أن تغيير مهام قوات الاحتلال الأمريكي من قتالية إلى لوجستية ستنتظلي على الشعب العراقي وقواه المناهضة للاحتلال؟

- العجلوني: يقولون: (من استدعى الذئب ظلم) وكل ما يتولى كِبْره الأمريكان معقود الأواصر بإسرائيل، ومستهدفٌ به تمزيق العراق والمصادرة على مستقبل أمة العرب والمسلمين، فكيف يوثق بذلك ومن تُرى يستنيم إليه!؟.

* الميثاق: ولكن هناك من يرى في التموضع الأمريكي الجديد ومعطيائه على الأرض أنه تكريس للاحتلال بصيغ جديدة؟

- العجلوني: هو بالضرورة احتلال متجدد ولو وسعنا دائرة الرؤية، لرأيناه في سياق شمولي مع ما يجري في سائر بلدان المشرق العربي.

* الميثاق: في ظل الانسداد السياسي وانعكاسه على مستقبل العراق؛ ما هو دور القوى المناهضة لمشروع الاحتلال وعمليته السياسية؟

- العجلوني: لا نتوقع «انفتاحًا» سياسيًا من أي نوع ومن أي درجة، فتحالف الاستعمار (الأمريكي الإيراني) مستقر على عُقده وأطماعه، ولن يزحزحه إلا الوعي بضرورة جلائه عن العراق، وما ذلك على الله بعزيز.

* الميثاق: كيف ترى وتقيم دور وجهود الميثاق الوطني العراقي ومكوناته في تعضيد الجهد الوطني في مواجهة تبعات الاحتلال والمشروع الإيراني؟

- العجلوني: يصدرُ الميثاق الوطني العراقي عن رؤية وطنية متراحة الآفاق، ويؤسس لوحدة الوجدان العراقي، ووحدة النضال، وهو يبشّرنا بعراق جديد عفيّ قويّ ذي إرادة مستقلة، وأعتقد أنه موضع إجماع من أحرار العراق وعقلائه.

* الميثاق: ما هي خطورة سعي القوى الظلامية التي تحكم العراق في تغييب وإلغاء موروثه الحضاري والإنساني بالتزوير تارة وإلغاء تاريخه تارة أخرى، وما هو السبيل لمنع معاول الهدم الطائفية من تنفيذ مخططاتها؟

- العجلوني: الظلامية في العراق إلى زوال، مهما امتدت بها أسبابها، وسيستعيد العراقيون عافيتهم الروحية ونفّسهم الحضاري، ومن أولى بذلك منهم؟ كما أن العروبة ستهزم الطائفية فيه، وذلك ما نراهن عليه واثقين.

* الميثاق: في ظل هذا التمادي الطائفي على حضارة ومستقبل العراق عشرات الآلاف من المغيبيين في العراق ما هي خطورة بقاء ملفات التغييب والاعتقال والتهجير بدون حل ومسؤولية النظام السياسي القائم بالعراق بالتنصل في حل هذه الملفات الإنسانية؟

- العجلوني: كل الممارسات البشعة هذه رهن ببقاء النفوذ الإيراني، وباستمرار التحالف الأمريكي مع الطائفية الإيرانية، ولا بُدّ من استنهاض الضمير العربي الإسلامي والضمير الإنساني في مواجهة ذلك.

* الميثاق: كيف تفسر تغاضي وتستر قوى ومنظمات إنسانية دولية عن جرائم حقوق الإنسان في العراق ولماذا؟

- العجلوني: أفسر ذلك هيمنة الإعلام الغربي المنحاز وبكيد الصهيونية الكُبار، وبقصور هيئات حقوق الإنسان عن أداء دورها المطلوب وبتواطؤ كثير من العرب أيضًا.

* الميثاق: الأنياب المسلحة للمشروع الإيراني تتغول في المجتمع العراقي وتمدد بقوة سلاحها على الأرض؛ ما هو السبيل لوقف هذا التغول في العراق الذي أصبح حديقة خلفية لإيران؟

- العجلون: لولا الأمريكان ما كان لإيران هذا الحضور الدموي في العراق، وبوحدة أبناء العراق وانتباههم إلى ما يراد بهم وبوطنهم، وباجتماعهم على (الميثاق الوطني العراقي) وما يشتمل عليه من قواعد لتجديد البنيان، يمكن لهم مع الأيمان والصبر والجهاد الدؤوب، تحقيق آمالهم بالتححرر والاستقلال. والله ولي المؤمنين.

* الميثاق: وكيف تفسر غياب الموقف العربي من مخاطر المشاريع المشبوهة التي تسعى لتغيب الهوية العربية للعراق؟

- العجلوني: أما تفسير غياب الموقف العربي من المشاريع المشبوهة التي قد تطيح بالأقطار العربية واحداً إثر الآخر، فمردُّ ذلك إلى أسباب متظاهرة يأخذ بعضها بحُجرات بعض، وأول ذلك في اعتقادي هو ذهولهم عن الإسلام الذي هو قِوامُ أمرهم وأساس حضورهم في التاريخ، وانصياعهم على نحو أو آخر، لمقررات الاستعمار المتجدد والصهيونية والماسونية، فضلاً عن شيوع طبائع الاستبداد جملةً في كياناتهم المرسومة.

ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم

سياحة ثقافية مع إبراهيم العجلوني

حاوره: عبد الرحمن نجم

رابطة أدباء الشام ٢٥ / ٣ / ٢٠٢١

اعلم أيها القارئ أنه كان مما غلبَ على معظم الحوارات الثقافية في وطننا العربي أنها تُبدئُ وتُعيدُ في أثناء سياقة الكلام على الضيف الشاعر أو الأديب في التعريف بمولده وتعليمه وتفصيل حياته المتشعبة، ثم لعلها تُدير الحوار على ذات «الضيف الإنسان» بإسهاب، ثم «الضيف المثقف» بإيجاز، وهذا على أهميته في تعرف مَظانِّ تفتق إبداع المُحاور ليس لائقاً في جنبِ أستاذنا إبراهيم العجلوني، ولا في جنبِ قرائنا بما لهم علينا من الحق.

فلئن كان قَمِينًا بنا ونحن نَقصدُ بالقارئ إلى تذوق أدب الفطرة الإنسانية - أعني «الأدب الإسلامي» بِضُروبه كلها - أن نُوقفه على أدبِ أنفِ سام يُعظّم كبرياء الإسلام في خاصة نفسه، ونتعاهد وإياه ما اتسع له مَجاز العربية من علوم وفنون وحضارة تُكسبنا بعض القدرة على تذوق الكلام العربي تَدَوُّقًا يُسَلِّمنا إلى إنزال هذا الكلام منزله فَهَمًّا وتَنزُّلاً، لا لأنه قوميةٌ وهويةٌ له كعربي وحسب، بل لأنه أيضًا وقبل كل شيء أداة الفهم لمراد الله كما جاء عن الله قَدَمًا وَجَنَسًا.

فإذا كان قَمِينًا بنا ذلك؛ فإننا إذ نَضرب صَفْحًا في حوارنا هذا مع الأستاذ إبراهيم العجلوني عن سُؤالات تتوسل مُعاشة ما كابده فصيرَه إلى ما هو عليه، فلأننا نَجري على منهج سَرْدِيَّة «القَصص القرآني» في تَرَكة الاستغراق في التفاصيل الجانبية، واستطراده العجيب بالإتيان على التفاصيل استطرادًا تأنس مُسوِّغاته في خاتمة القصة أو السورة.

فأنت لا جرمَ واجدٌ أن بعض القصص القرآني مُجملةٌ في بضع آيات معدودات ليس غير. كما أنك واجدٌ قصصاً مُفصلةً بتفصيل مُطوّل من مبدأ السورة إلى مُنتهاها، ولقد تكون تحمل السورة اسم القصة، والآيات كلها تدور عليها! ذلك لأن المقصد الإلهي ليس الإمتاع الروائي بل «التشريع بالرواية»؛ ولذلك وصفها الرب تعالى في كتابه بـ«أحسن القصص» لا أمتعها، إذ الغرضُ بها تشريعيٌّ لا ترفيهيٌّ.

ومن أجل ذلك، كان من الحيف أن نُقدّم لقرائنا العرب الأستاذ إبراهيم العجلوني على أنه شاعر أو قاص أو ناقد أو أديب، على مُكنته في هذه الفنون الأدبية كلها، وبزّه فيها؛ ذلك لأن ضيفنا -المولود في منطقة الصريح في محافظة إربد الأردنية في ٩ أيلول لعام ١٩٤٨م- فوق هذا مفكر إسلامي قلّ أن يوجد مثله في بلدنا الأردن.

فمؤلّفاته الـ٤١ تشترك جميعها في كونها معقودة الأواصر بالإسلام مرجعيةً وأدباً وفكراً وثقافةً وحضارةً وتراثاً، صبّها في أواني بيان عالٍ على معهود سبكٍ فحول قرون الإسلام الأولى، مع موسوعية بالتراث الإسلامي كاملاً، والفكر الإنساني وآدابه وفلسفاته تُشاكل تلك التي طوّبت لعباس محمود العقاد من سعة اطلاع في عمق فهم، و«ليس الخبر كالمعاينة»!

تعرض الأستاذ إبراهيم العجلوني في مؤلّفاته لعنوانات أدبية ونقدية وفكرية وفلسفية وحضارية بسّط فيها المثقفون الغربيون نظريات وكتبا، كان من أخطر معبّاتها أنها أدخلت الجيل المسلم في شرك الانبهار بالغرب مع زرع النقيصة الذاتية في نفسه، طامسةً بذلك -على نار هادئة- فطرته الإلهية التي وُلد وتربى عليها؛ ما سهّل لهم التلاعب فيه وعن بُعد دونما حاجة منهم إلى حَقنه بشيفرات وراثية مُعدّلة تُعيد برمجتَه الجينية، أو حتى غسل دماغه بالكهرباء لإعادة ضبط إعداداته العصبية، أو تشفير IP الخاص به عنه (العنوان الجيني المعروف بـDNA) ليسهّل قيّاده إلى حيث يُراد له وللأجيال المسلمة برمتها، إذ ما الداعي إلى كل هذه الخطط المُكلفة مع غياب دقة النتائج في ظل وجود ما هو أرخص منها، وأسرع أثراً، وأضمن ضرراً!

وآتياً نص الحوار..

١- أيما الدورين أحرى بالمتقف المسلم أمام ضياع البوصلة الإسلامية للشعوب العربية سياسياً وحضارياً وقيماً؛ قياماً بواجبه تجاه دينه وأمته وأدبه: أن يكون مثقفاً تبريراً أم تشويراً؟

- يتضمن سؤالك هذا أكثر من افتراض، كلها مواضع للنظر؛ أول ذلك «ضياع البوصلة»، حيث يمكن القول إن الشعوب الإسلامية ما تزال تهتدي بهذه البوصلة، وتستبين أهدافها بها، ولكن الذين أضاعوها هم السياسيون، وأدعياء الثقافة، وكثير من الأكاديميين.

ثم إن «المتقف» لا يكون تبريراً، ولا تشويراً؛ فكلا الخيارين يُفضي به إلى الضلالة، والخروج عن الجادة، إذ هو بما يمتلكه من أدوات المعرفة وطرائق الفهم والتحليل أعمق رؤية من أن يسقط في التبرير، أو أن يعجل إلى التشوير؛ فثمة موازين لديه ليست قابلة للتخسير، وهي موازين قرآنية ونبوية هيئات تميل عن الصراط، ودور «المتقف المسلم» في كل حال أن يتمثلها حق التمثل في مواجهة الواقع في شتى جوانبه، وأن يرى في ضوئها إلى الوقائع أدبية كانت أو سياسية أو اجتماعية، فيحدد موقفه منها، ولا يغمغم برأي، ولا يكتم شهادة.

ذلك هو واجبه نحو دينه وأمته، ونحو «الحق» الذي يتواصى به المؤمنون، ويصبرون على ما يكون للجهر به من تبعات!

٢- هل توافق على نسبة «الأدب» مفهوماً وهوياتياً إلى دين (الأدب المؤدلج)؛ باعتبار أن ثم «الأدب الإسلامي»، و«الأدب المسيحي»، و«الأدب اليهودي»، و«الأدب الكنسي»، أم إن ثم ضوابط حاصرة للأدب الإسلامي لا تنفك عن دين الأمة، ومزايا ليست في سواه تجعله متفرداً على من سواه تُخوِّله رسالة من نوع ما؟

- كل أدب يوائم الفطرة التي فطر الله الناس عليها، ولا يتجانف بها لإثم، ويُصور أشواق الناس الروحية ومنازعتها الأخلاقية هو أدب مرشح لأن يوصف بـ«الإسلامي».

وثمة في أعمال الروائي الروسي «دستوفسكي»، والشاعر الألماني «جوته»، والروائي الفرنسي «فيكتور هوجو»، والروائي الروسي «تولستوي»، والروائي الألماني «هرمان هسه»، ثمة في أعمال هؤلاء ما يثبت صدورهم عن فطر لم تتلوث بموبقات الحضارة الغربية المادية!

وثمة في أدباء المسلمين من تنكب فطرته، وأنتج أدبًا عجبًا يضرب في تيه بعيد، شعرًا ورواية ومسرحًا، مُضاهيًا في كل ذلك أسوأ ما في حضارة الغرب من ألوان الانتكاس الأخلاقي! وهؤلاء مُمَكَّنون في واقعنا الثقافي؛ بسبب من غياب النقد الجاد النزيه، ومن غياب الصحافة الثقافية المسؤولة، ومن فهاهة كثير من سدنة الإعلام.

على أن في الأمة مثقفين أصلاء يقبضون على جمر الوعي، ويتصدون لهذه الموجات المتتابعة من الغشاء التي لا بد أن تنحسر عند امتلاك الوعي والإرادة وتقرير المصير.

أما عن التمدب السياسي أو الفكري -ضَيِّق العطن- القائم غالبًا على الاستنساخ الحزبي، أو ما شابهه، فهو ينزل بالأدب إلى مستوى «المنشورات» التي تنمُّ على الاستلاب، وساء ذلك سيلاً!

٣- علامَ تَقْرَم الدور الحضاري والثقافي للأمة على كثرة شعرائها، وزخم آدابها، وثناء تراثها، مع أن الأمم إنما تحيا وتقوى وتبقى بآدابها وتراثها، فلم لم يُغن هذا الإرث الفخم عن أمتنا في وجه الاستعمار الثقافي، والاستلاب الحضاري، والتقهقر الأممي، والاستيراد الشعري (قصيدة النثر ذي الأصل الفرنسي غير الموزون)!!؟

- نحن لم نَرَقْ إلى مستوى المنجز الثقافي الذي حققته أمتنا في مدى حضورها التاريخي المتطاول، على الرغم من تكالب الأعداء عليها، وما تعرضت له من نكبات.

إنه لا أحد فينا اليوم يزعم أنه ظاهرٌ على هذا المنجز الثقافي، وأن وعيه يحْتَقِبُ علوم الإسلام من فقه وكلام ومناهج نظر، أو يستوعب الأدب العربي في مختلف تجلياته.

وبسبب من هذه الحال التي فاقمها انبهارنا بالغرب المستعمر، فإن بنا أن نقول إننا لم نحقق بَعْدُ نهضتنا المنشودة، وإن ما نحن فيه هو «وهم النهضة» لا غير! وهو وهم يتيح لمغامري السياسة والثقافة التلبس علينا، وخداعنا عن حقائق وجودنا.

لكن هذا كله إلى زوال وانكشاف هُزال بإذن الله، وإن في الأفق لَبَاشِيرَ مُنْبِئَةٍ عن عودة الأمة إلى ذاتها وسماتها، وذلك ما نراهن عليه، ونَرَقِبُ نصره الله سبحانه فيه.

٤- أترى الأمة أحوج إلى مثقف الأدب: النخبوي أم المباشر النهضوي، ولماذا؟

- «أدب النخبة» عندي هو نفسه «أدب الجماهير»؛ لأنه لا بد أن ينعكس على وعيهم وذائقتهم، ولا بد أن يحمل همومهم، ويُترجم عن أحوالهم.

وإذا عني الأديب بترقية ذاته، وإرهاق أدواته، وراعى حق اللغة عليه، وحرص على رفعة أسلوبه، وسخّر ذلك كله لخدمة مجتمعه؛ فهو حينئذٍ «أديب نهضوي» على حد ما ورد في سؤالكم.

أما ما يسمونه بـ«أدب الأبراج العاجية» فهو رهن بتنفّج المترفين من مدعي التميز، ومقترفي الكبر، وهو دليل تضخم الذات قبل أي شيء آخر!

٥- فيم اختفاء الشعر المقاوم وأدب المقاومة من المناهج الدراسية للنشء، ولم خلت دواوين الشعراء الشباب إلا قليلاً منهم عن العناية بهما نظماً ونثراً؟

- هذا السؤال يُذكرني بما كان من دار العودة في بيروت حين أصدرت الأعمال الشعرية الكاملة للشاعر المصري «علي محمود طه» في عدة طبعات في مدى عقدين أو أكثر، وقد حذفت منها قصيدة «فلسطين» التي مَطَّلَعها:

أخي جاوز الظالمون المدى

فحق الجهاد وحق الفِدا

وهو السؤال نفسه الذي نملك أن نُوجهه إلى مسؤولي الإذاعات والفضائيات العربية المتكثرة الذين يتواصلون - فيما يبدو - بالصمت المُرِيب عن أي عمل أدبي أو فني يُذكر ببطولات الأمة ومجاهديها قديماً وحديثاً.

أما عن اشتغال المناهج الدراسية على أشعار الشباب فذلك مما قد نجد له سبباً يتعلق بصلاحيّة هذه الأشعار لأن تكون أنموذجاً للتعبير القوي الجميل، ولا بأس من أن يستأنى الجيل الجديد من الشعراء حتى تنضج تجربته وترسخ قدمه؛ إذ الملاحظُ تهلُّهُ وضعفُ كثير من الشعر الذي تلفظه المطابع هذه الأيام، وتمتلئ به أنهار الصحف والمجلات!

على أن هذا لا ينطبق على العباقرة من الشعراء، فهم الاستثناء الذي يؤكد القاعدة.

٦- «أهناك» (أدب سياسي) في العصر الحاضر؟ وأين الأديب والشاعر والمفكر الإسلامي منه؟

- الأدب مشتبك بالحياة في شتى مظاهرها، والسياسة بما هي تدبير ومسؤولية أخلاقية، وقيام على ما ينفع الناس، مجال واسع للأدب، ولكنه -حفاظًا على ماهيته وخصائصه- لا يتأتى إليها كفاً ومباشرةً.

ودونك أعمالٌ روائيةٌ مثل: «الحرب والسلام» لتولستوي، و«ثلاثية نجيب محفوظ»، والروايات التي كتبها نجيب الكيلاني، و«مدن الملح» لعبد الرحمن منيف، وما يكتبه الروائي الأردني أيمن العتوم وغير ذلك كثير، فإن السياسة قاسم مشترك بينها جميعاً. بيد أن المَعْوَل على «الأدب» فيها لا على السياسة، فإذا كان الأدب -و«كان» هنا كاملة لا ناقصة- وتوافرت خصائصه، ساغ للأديب أن يكتب في أي موضوع كان.

٧- في زمن الرغبة عن العربية إلى لغات الأمم الغالبة (استشراق، فرنسة، تغريب الهوية، استغلال «عقدة النقص».. إلخ)، كيف يمكن للشعر المقاوم والأدب الإسلامي أن يُحدثا الأثر ذاته الذي كانا يُحدثانه في النفوس المؤمنة، ما دام أن هذه النفوس مُنبتةٌ وجدانياً عن قَدْرِ العربية نفسها ديناً وإراثاً؟

- النفوس المؤمنة على بصيرة لا يمكن أن تكون منبتة الوجدان عن لغتها وتراثها وآدابها. وما تراه من هيمنة التغريب، والعولمة الثقافية لا يتجاوز سطوح الأشياء، ولولا الهماله السياسية، والاتتمارات الاستعمارية والصهيونية لَمَا كان مثلُ هذا الاستشراء المرَضِي الذي تراه في واقعنا الثقافي للمفاهيم الغربية، ولأدبيات الهزيمة الروحية، والانتحار الأخلاقي!

٨- كيف السبيل إلى الرد على مَنْ يرى العربية صالحَةً ديناً خاتماً لرسالات الله (القرآن الكريم) لزمانٍ غير هذا الزمان؛ بمسوخ أن فهم لغة الخطاب القرآني محصورةٌ بلسان أصحابها (أي: العرب)، على حين أن الأمم الناطقة بالعربية لا تُذكر أمام تكاثر اللغات العالمية أكثر من عدد الأمم نفسها، وليس في طَوْق كل أحد تعلم العربية لتُقام عليه حجة الله، كأن تطلب -على سبيل المثال لا الحصر- إلى إفريقي تعلم اللغة اللاتينية ليحكم بنفسه على زَيْف الإنجيل المُحَرَّف؟

- نحن هنا أمام أسئلة عدة متداخلة، وثمة أحكام تتعلق بالإجابة عنها، لكن ما يمكن الجزم به اليوم أن غالبية العرب الذين تنزّل القرآن بلغتهم وبين ظهرانيتهم، غير مؤهلين لفهم كتاب الله فهمًا صائبًا أو مقاربًا! وأنّ اللهجات العامية غالبية حتى على كثير من أدبائهم وسياسيهم وأساتذة الجامعات لديهم!

ولعل لتلامذة الاستشراق الغربي، ولصنائع الاستعمار المتجدد، ولؤسطاء العولمة دورهم المشهود في ذلك، وكيدهم الكبار!

على أنّ في طوقنا أن نجزم أيضًا بأن العربية هي من أكثر اللغات انتشارا في العالم - شأنها في ذلك شأن الإسلام نفسه -، وأنها تستعيد عافيتها وحضورها الغالب، كيف لا وهي محفوظة بحفظ القرآن الكريم والذكر الحكيم: (إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون).

ثم إنّ علينا أن لا ننسى أن ثمة دولاً إسلامية كبرى، مثل: تركيا، وإندونيسيا، وماليزيا، والباكستان، تُدرّس أبناءها منذ اليقاعة لغة القرآن، وتجعل العربية لغة ثانية في مناهجها الدراسية، وهي مسألة بالغة الأهمية، وعلى العرب أن يُعززوا هذا التوجه، وأن يأخذوا بنصر القائمين عليه، وإلا فهم معرضون لأن يستبدل الله قوماً غيرهم ثم لا يكونوا أمثالهم!

إبراهيم العجلوني

* الإعلام صدى لأي خطاب فكري وفلسفي وسياسي

* حضور المرأة في الإعلام غالباً ما يكون شكلياً

* معظم كتاب الزوايا في الصحف العربية تم إنزالهم بشكل عشوائي

* كتابي الجديد نقدي ذو طابع فلسفي سميته -الرجعية الماركسية وأصولها
اللاهوتية والوثنية-

حاوره: سليم النجار

صراع الحضارات وتفاعل الثقافات وأفكار لقاء الشرق بالغرب، كلها عبارات روج لها الإعلام بشكل هستيري.

إبراهيم العجلوني الذي استفاض في الحديث عن هذا الجنون الذي يملأ الفضائيات العربية والعالمية. كما تحدث في حوار معي عن قضية مهمة ألا وهي أن الإنسان المهودور الكرامة، هو أسير الإشكاليات الاجتماعية العربية وبنيتها المتهاكمة. كما أوضح أن الإنسان في عالمنا العربي ضحية من ضحايا الأزمات العربية المستفحلة، إنه مُستلب الإدارة يعمل ليأكل، ويأكل ليعمل، إنها فلسفة التهميش، فهو في نهاية المطاف مجرد رقم لا قيمة له إلا للإحصاء من أجل خدمة هذه السلطة أو تلك.

* ماذا يعني الإعلام لك؟

ج- إذا كنت سأتكلم عن الإعلام من حيث هو تَجَلُّ لدعوة ما أو لفكرة أو عقيدة، فإن مجال الحديث سيتسع بحيث يتناول الأبعاد الفكرية والفلسفية التي تبقى أصداءً لأي خطاب إعلامي. أما إذا كنت سأتكلم عن الإعلام الذي يملأ الإذاعات والصحف والفضائيات،

فهو إعلام لمرأة الانهيار والأخلاق، وانعدام الصدق الموضوعي. لذا من هذه الزاوية يصبح الإعلام مرادفاً للخديعة على نحو ما نسمع ونرى ونقرأ أثناء الليل وأطراف النهار.

* ماذا تُعيب على الخطاب الإعلام العربي؟

ج- من الصعوبة بمكان وصف ما نسمع أو نقرأ ونشاهد بأنه خطاب إعلامي، لأن الخطاب لا يكون إلا تعبيراً عن منظومة فكرية أو عقائدية أو فلسفية، وهذا معدوم في الإعلام العربي والإسلامي، فما يحدث في فضائياتنا وإذاعاتنا أبعد ما يكون عن وصفه بالخطاب، فعلى سبيل المثال، وحتى هذه اللحظة لا يوجد اتفاق على معنى لكلمات (إرهابي، أو متطرف، أو أصولي) يتم تعريفه والتعاطي معه من منظور علم الكلام أو أصول اللغة التي نستقي تعريفاتها من الثقافة الغربية، الساعية لخلق منظومة ثقافية معرفية استعمارية متجددة، فهي تستغفلنا وتصطادنا في الشباك التي تخدم أفكارهم!

* صورة المرأة في الإعلام تسليع؛ كيف ترى ذلك؟

ج- حضور المرأة في الإعلام غالباً ما يكون حضوراً شكلياً، ولا فاعلية من تواجدها إلا من خلال هذا الحضور، ولعل التقليد الأعمى للغرب والحرص الشديد أن يكون حضورها شكلياً، ولا يعكس حقيقة واقع المرأة في عالمنا العربي بوجه عام.

فالمرأة العربية ذات ثقافة وانتماء أصليين، وذات معرفة عميقة بواقع الأمة، وما يراد أن نراه، أن تكون صورة منسوخة عن الإعلام الغربي، الذي يصور المرأة حسب مصالحه وأهدافه، وليس صورة المرأة سواء في الشرق أو الغرب. وعلى سبيل المثال، أخبار الرقصات والمغنيات تملأ الشاشات الفضائية على حين يغيب ذكر شخصيات نسائية لعبت دوراً هاماً في تاريخنا العربي والإسلامي، مثل عائشة عبد الرحمن، ورضوى عاشور وغيرهن كثير.

وما بين القوسين الأحمرين يحذف لركاكنه فليس هو من صياغة إبراهيم: ((لا يتواجد أي ذكر لهن، أو عمل أفلام وثائقية للتعرف على تلك الرائدات)).

* ما هو رأيك بكتّاب الزوايا في الصحف العربية؟

ج- معظم كُتّاب الزوايا في الصحف العربية، والمسؤولين في المنابر الإعلامية بشكل عام، تم إسقاطهم على مواقعهم، ونُصّبوا فيها كالخشب المُسند. ومعظمهم من فلول الأيديولوجيين، الذين تخفّفوا من قيمهم.

* أكثر ما يلاحظه المتلقي العربي للفضائيات كثرة التحليلات السياسية، التي تتناول قضاياها، وفي حقيقة الأمر تتحول هذه التحليلات إلى حلبة مصارعة؟

ج- هذا صحيح والدليل على ذلك ما نراه في مسارعة الفضائيات إلى استضافة عدد كبير من المحللين السياسيين، الذين يتناولون قراءة الأحداث، وخاصة الأحداث الجارية في فلسطين، وما يتعرض له شعبنا العربي الفلسطيني من قتل ممنهج وقمع غير مسبوق في تاريخ البشرية، يتحول على يد هؤلاء إلى حدث عادي، وهذا في رأيي ليس مستغرباً، لأن غالبيتهم يقيمون في بلاد الغرب، كلندن وفرنسا، وواشنطن وموسكو، وهؤلاء يمثلون وجهة نظر البلاد التي يقيمون فيها، ولا علاقة لها بمفاهيمنا وآرائنا في العدو الإسرائيلي، وعلى هذا المنوال يمكن قياس كل القضايا التي يتم تناولها من قبلهم.

* اللغة العربية في الإعلام العربي ضحية ومتجنى عليها، ما هي الأسباب التي جعلت منها ضحية؟

ج- اللغة العربية هي اللغة الأم التي تجمع العرب جميعاً، وما نسمعه ونقرؤه، ومن يتابع النشرات الإخبارية في فضائياتنا يلحظ العثرات والأخطاء اللغوية القاتلة والعجز في التعبير، على عكس ما كان يحدث في ستينيات القرن الماضي، عندما كان يتم اختيار مذيع أو مقدم برامج، كان لا بد أن يخضع لامتحان اللغة والثقافة ليكون جديراً بهذه المهمة.

* أنت عملت في الإعلام وكنت كاتب زاوية يومية في صحيفة الرأي، لمدة تقارب ربع قرن أين انت الآن؟

ج- يبدو لي أن حكمة ما خفيّة أدت إلى حجب زاويتي بالصحافة منذ عشر سنوات، وأما عن أصحاب هذه الحكمة فهم يُصرّون على هذا الحجب لدواعي لا أملك أن أتحدثها. وهي عندي من المجهولات حتى يومنا هذا.

* ما الكتاب القادم لك؟

ج- كتابي الجديد، كتاب نقدي ذو طابع فلسفي سميته -الرجعية الماركسية وأصولها اللاهوتية والوثنية-، وفكرته الرئيسة هي أن التفكير المادي غالباً ما يشد المرء إلى أضيق زوايا النظرة للحياة هذا أولاً، ومن ثم أن الماركسية على وجه التحديد هي وريثة الجدل الهيجلي اللاهوتي التي لا تعدو أن تكون امتداداً للاهوت الكنسي النقاوي، - نسبة لمجمع نيقية - ٣٢٥م- والذي يعتبر تخريجاً فلسفياً لقرارات ذلك المجمع حول -الثليث في اللاهوت الكنسي- وأحسب أن حديث يورباخ عن اللاهوت المادي، هو ما يتناوله الكتاب.

الشهادات

إبراهيم العجلوني..

رسالة الكاتب المفكر

إبراهيم السواعير

مطلع الألفية، وقبلها، كانت الرأي سجلاً حافلاً بين مفكرين وفلاسفة وأكاديميين يناصرهم في ذلك إعلاميون ومثقفون وشباب يتوزعون بينهم تستهويهم الحضارات والنماذج، وكان الكاتب والأديب إبراهيم العجلوني رحمه الله في ضمير هذه المعمعة الفكرية، وكان مكتب رئيس التحرير في الرأي لا يخلو من مراسلات المعجبين والمناوئين وأصحاب الردود على أفكار العجلوني في الحضارة العربية الإسلامية وإظهاره نماذجها وتلمسه عبرها ودروسها، كان ذلك في فترة بداية البحث الإلكتروني والمدونات والأدلة والمدارس الثقافية، ومع أنّ الصراع حول ذلك كان في الكتاب الجديد أو الإصدار اللافت الذي يبادر إليه المهتمون والأكاديميون وذوو النزعات الفكرية ويطلبونه من مصادره ومطائه من الطبقات العربية ودور النشر الناشطة.. إلا أنّ الحرب الفكرية كما كان يصفها إبراهيم العجلوني لأبنائه وزملائه تستدعي التزوّد بالثقافة والاطلاع والمقارنات، وقراءة الفكر الآخر، وهو ما عكف عليه سابقاً وواصله في مقالته الشهيرة «أفق» التي نُقلت بعد فترة إلى صفحات الرأي الثقافية اليومية والملحق الثقافي الأسبوعي في الصحيفة.. وفي كلّ ذلك كان العجلوني يتشظى بين التنوير وشروطه ومكتبة الجامعة الأردنية والتفتيش عن المراجع والأهمّات، متمثلاً شخصيات عبقرية، في طليعتها عباس محمود العقاد، وكانت مقالة العجلوني لا يخلو منها مكتب أكاديمي أو وزير أو مفكر، خصوصاً سجالاته الظاهرة والمخفية مع المفكر الأردني هشام غصيب وفلاسفة آخرين، في خط سير الحضارة العربية الإسلامية ووعيتها

«المفوّت» كما كان يصفه غصيب، وكان المستفيد في النهاية القارئ وذوقه ونضوجه الفكري وقراءته لما يستجدّ.

تلك مرحلة مجتزأة أو مشهد ثقافي متقدّم زمنيًا للعجلوني، المولود في الصريح عام ثمانية وأربعين، دارس الثانوية في كليّة الحسين بعمّان أواسط ستينيات القرن الماضي، الذي يممّ نحو جامعة بيروت يدرس اللغة العربيّة، بكلّ ما في بيروت والمدرسة اللبنانيّة من مدارس ومهجر أدبي واستشراق وثقافات فتحت وعيه على معنى المساجلة الفكرية والقراءة والإنصاف، لينضمّ إلى العمل الثقافي الرسمي في الأردن: الإذاعة رئيسًا للقسم الثقافي فيها وما يحمله ذلك من استضافات ورؤية وسنوات رياديّة كان العمل الثقافي فيها شديد التأثير على جمهور الإذاعة، كمنبر تثقيفي وتوعوي مهم.

كان العجلوني يميّز في ذلك بين الخطّ الرسمي وفكر الكاتب، ويؤمن بأهميّة التوليف والانسجام ما استطاع، فكان مزيجًا من كلّ هذا، له وطنيّة ونوافذ القرائيّة والفكرية والعقدية بالتأكيد، كان ذلك أواخر السبعينيّات من القرن الماضي، وهي الفترة التي كان فيها سكرتير تحرير المجلّة الأشهر في وزارة الثقافة «أفكار» مدّة ثلاث سنوات، ليكون رئيس تحريرها مطلع التسعينيات التي شغل فيها مديرًا للشؤون الثقافية في وزارة الثقافة، ومستشارًا في وزارة التعليم العالي أربع سنوات، ومسؤولًا إعلاميًا في رئاسة أمّ الجامعات، الجامعة الأردنيّة.

أمّا الرأي، فكانت عين كلّ مثقف وصاحب فكر؛ ولا شكّ أن عمل العجلوني فيها مبكّرًا، محررًا ثقافيًا في فترة الثمانينيات حتى أواسط التسعينيات، قد فتح أفقه على مصراعيه متلقيًا ومهدبًا ومرجّحًا ومعتنيًا بالناشئة، في صنوف الإبداع الأدبي تحديدًا، بما يحمله من جغرافيّة فكرية يحسن استثمارها، من خلال خلطة المبدع المُفكّر المشتغل بالإعلام، الخلطة التي تمّ نضوجها تحت العنوان العريض في العمود الصحفي «أفق» المنفتح على رؤى وأفكار ومذاهب وقراءات ونقد ومساجلات.

في أواخر الثمانينيات كان للعجلوني هاجس تأسيس مجلة لم تستمر هي «المواقف» بما يحمله مسماها ورسالتها وفلسفتها، فقد كان المثقف قديمًا يضطلع بمهام جليّة ونبيلة، من خلال رسالة التنوير، وكان فشل المثقف معناه فشل أجيال كاملة تأخذ عنه وتمثل به، بل لقد كان المثقف والمفكّر والأديب حضان السياسة ورائد الوطن في قراءة الجديد وبرمجته ثقافيًا

ومما حكته فكرياً، وعلى هذا النهج كان العجلوني الذي نال أواخر ثمانينات القرن الماضي جائزة الدولة التشجيعية عن كتابه «فصول في الفكر العربي»، يسير ويؤمن بوجود من يتلقى فكره ويحتضن رؤاه على مهل.

كنّا نتسابق إلى العجلوني نأخذ عنه لغته وأسلوبه البياني وألفاظه الرائعة التي يحار فيها القارئ، لكونها تملأ مكانها ولا تسدّ مسدّها ألفاظ بديلة، ومن هنا كانت معضلة محجري الصفحة الثقافية في الرأي في وقوفهم طويلاً أمام مقالة العجلوني أو تأجيلها لحزهم في العبث أو التغيير الذي يمكن أن يحرفها عن وجهتها الأصيلة، من خلال وجه صاحبها الصبوح المسامح صبيحة اليوم التالي للمقالة، وهكذا كانت السنوات تكرر والأجيال تفرّ من تعاليم العجلوني وتحوّطه وقلقه أمام عالم جديد يمور بدخان فكري عاصف ومخيف.

أمّا روائع الفكرية والأدبية والثقافية، فكثيرةً قاربت الخمسين مؤلفاً، في الشعر والرواية والقصة والسيرة والنقد والواقع الثقافي الأردني والدفاع عن العقل واحترامه، والحديث في هذه العجالة عنها أمرٌ يطول، غير أننا ربّما نتخيّر منها أحدث كتبه الذي صدر قبل شهرين بعنوان «هذه الكتب القيّمة: ملاحظات أوليّة»، وعلّق فيه على هوامش كتب رأى أنّها ما تزال لها قدرتها على رفق وعينا المعاصر وإنارته، كعلامات تقود إلى مزيد نظر وتمحيص، وربما يكون فيها قد أحسّ بدنوّ أجله، حين قال «ناهيك بها ضرباً من التحايل على لحظات العمر الهاربة أن تستأني قليلاً حتى تكون ثمّ توصية أو شهادة أو استغفار»، ويحسن بنا أن نحيل القارئ إلى عناوين الكتاب فاتحةً لقراءة محتواه: موسوعة الدكتور علي سامي النشار «نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام»، وكتاب ابن حزم الأندلسي «الفصل في الملل والأهواء والنحل»، وكتاب كارين أرمسترونغ «الإسلام في مرآة الغرب»، وكتاب أنا مار شيميل «وأنّ محمداً رسول الله»/ تبجيل النبي في التدين الإسلامي / ترجمة الدكتور عيسى علي العاكوب، وكتاب الدكتور نظمي لوقا «محمد الرسالة والرسول» دراسة وتقديم محمد الباز، وكتاب أبي الحسن العامري «الإعلام بمناب الإسلام»/ تحقيق ودراسة الدكتور أحمد عبد الحميد غراب.

إبراهيم العجلوني ..

المثقف النقدي السجالي ..

إسماعيل أبو البندورة

وأقول عن المرحوم إبراهيم العجلوني المثقف السجالي وليس الإشكالي أو الخلافي لأن في كتابته الانشباك وتتبع كافة القضايا الفكرية والأدبية والثقافية بشكل عام والدخول في حوارات مع معطياتها، وفيها الفكر النقدي الطليق الذي يحلل وينقد دون حرج أو تردد ويدخل في حومات المعارك الفكرية متسلحا بثقافة متعددة المنابع ولا يتردد في المناقشة عن يقيناته الراسخة حتى لو أدى ذلك إلى خصومات كان إبراهيم يخفف من وقعها بسعة صدره وأفقه ومعشره الحواري الراقى الذي يذيب الخلافات ويحولها إلى حواريات مخصبه ..

هكذا كان إبراهيم يتبدى لي في معظم كتاباته وحوارته، ومنذ أن عرفني عليه صديقنا المشترك المرحوم الشاعر نايف أبو عبيد، وهذا ما كان مبعث شغفي واحترامي لكتابته المثقفة والمثقف (بكسر القاف) المختلفة المميزة والتفاتي إلى ثقافته الشمولية التي تكاد تكون موسوعية متكاملة تحوي كل مجلوبات الفكر والإشكاليات والمسائل الثقافية ..

وضع ابراهيم ذاته الفكرية المثقفة في خندق القومية والأمة العربية ودافع عنهما دفاعا مستميتا ودحض في كثير من المداخلات ماتعرض له الهوية والمرجعية العربية القومية من محاولات لاستبعادهما عن العقل والواقع العربي، وبنى نصا موازيا لمقاربة هاتين المسألتين كان فيه صاحب الفكر العميق المفحم والمدجج بالمحاجات والقناعات الراسخة وبقي متمسكا بمعطيات ويقينات قابلة للتداول والتحقق .

التقيته آخر مرة في معرض الكتاب في عمان واستذكرنا صديقنا الراحل نايف أبو عبيد ورأيت فيه بعض الوهن والعناد في آن واحد وبقي كما هو دأبه يفتح الحوارات ويمضي في التعليقات السلبي منها والإيجابي ويختم حزنا دفينا يكاد يطلع من ثنايا كلماته ونظراته ..

كان إبراهيم إنسانا طيبا شفافا صاحب رؤى واسعة وعقلٍ ثاقبٍ ومشروع ثقافي حول الحاضر والمستقبل، ومضى من هذه الدنيا رقيق الحال غني النفس مدججا بالمجد والكرامة ..

نترحم عليه ونأسى لرحيله وفقدانه !!

عن إبراهيم الذي رحل

بلال حسن التل

الرأي ٨ / ١٢ / ٢٠٢٢

في ظني أن قليلين هم أولئك الذين يقدرّون حجم خسارتنا برحيل المفكر والكاتب والشاعر إبراهيم العجلوني، الذي رحل عنا هذا الأسبوع بصمت، وفي ظني أن قائمة أدبية وفكرية بحجم إبراهيم العجلوني وثناء عطائه وبحجم حضوره العربي لو كان في بلد آخر لكان نجما يشار إليه بالبنان، ولخصّصت لرحيله برامج مسموعة ومرئية، لكن إبراهيم عاش ومات في بلد لا يتقن صناعة النجوم والرموز، خاصة في مجال الفكر والثقافة، في مجتمع تقبع الثقافة في ذيل أولوياته.

تعرفت على الراحل إبراهيم العجلوني في منتصف سبعينيات القرن الماضي، في مقر جريدة اللواء في جبل عمان، وقد استقطبناه للكتابة فيها، والاشراف على صفحاتها الثقافية والأدبية. ومما عمق أواصر الثقافة بيننا على الصعيد الشخصي تعلق كل منا بمصطفى صادق الرافعي، وعباس محمود العقاد، واعجابنا بكتاب أباطيل واسمار وكتاب المتنبي للكبير محمود محمد شاكر، ومما زاد من عمق علاقتنا أن كَلَيْنا كان محل رعاية العلامة الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد، بالإضافة إلى الكثير من الطموحات والأحلام الثقافية، ولعله كان من أكثر المشجعين لي على تأسيس دار النشر والتوزيع، كان من بواكير منشوراتها كتابه نظرات في الواقع الثقافي الأردني وكان ذلك عام ١٩٧٩ .

تفرقت بنا سبل العمل بعد ذلك فتنقل إبراهيم بين الرأي التي عشقها وإذاعة المملكة الهاشمية في قسمها الثقافي أيام ألقها، ولم يسجل عليه أنه حاول تلميع نفسه أو أحد أصدقائه

من خلال هذا الموقع كما فعل غيره، وبين وزارة الثقافة والخطوط الجوية السعودية، ووزارة التعليم العالي، والجامعة الأردنية وهي مواقع عمل بها إبراهيم ذكرتها دون ترتيب زمني، وفي كل المراحل ظل يلازمه حلمه في إصدار مجلة تعبر عنه وعن أفكاره فأصدر مجلة مواقف، التي لم تعمر طويلاً لأسباب مادية بحثة.

لعل من أسباب تنقل إبراهيم العجلوني في مواقع عمل كثيرة، أن القلق كان رفيقه الدائم، فقد سيطر عليه قلق المبدع الذي يبحث عن الأفضل في كل شيء، فلا يجده في شيء بهذه الحياة الدنيا التي رحل عنها إبراهيم العجلوني إلى دار الراحة الأبدية.

إبراهيم العجلوني..

المفكر العربي المنحاز للعقل واحترامه

جلال أبو صالح

هنا صوتك... صوت النهضة / ثقافة وفن

٢٠٢٢ / ٠٥ / ١٢

برحيل القامة الفكرية والأدبية الأردنية، إبراهيم العجلوني، يخسر العالم العربي أحد أهم أعلامه، الذي ترك خلفه قرابة خمسين مؤلفاً أصب فيها فكره وسخر فيها قلمه لخدمة قضايا أمته ومعالجة همومها، في سبيل نهضتها ورفعتها واستعادة مجدها وتحقيق شهودها الحضاري.

وغادرنا العجلوني أمس الأحد ٤ كانون الأول/ ديسمبر، عن عمر يناهز الـ٧٧ عاماً، وهو صاحب أسلوب لا يخطئه القارئ بين ما يقرأ من أساليب أخرى، وهو صاحب المعنى الغزير في اللفظ الوجيز، فظل ما يكتب العجلوني يتردد في العقل وفي النفس، وتحرص عليه الذاكرة مهما مضت السنوات.

والراحل مولود يوم ٩ أيلول ١٩٤٨ في بلدية الصريح بمحافظة إربد، أنهى الثانوية العامة في كلية الحسين بعمان سنة ١٩٦٦، وحصل على شهادة البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها من جامعة بيروت العربية سنة ١٩٧٦.

ترأس القسم الثقافي في الإذاعة الأردنية ١٩٧٩، وعمل سكرتيراً للتحليل في مجلة أفكار التي تُصدرها وزارة الثقافة ١٩٧٦-١٩٧٩، وتولى رئاسة تحريرها ١٩٩٠، ثم عين مديراً للشؤون الثقافية في الوزارة ١٩٩١. كما عمل في صحيفة الرأي اليومية؛ محرراً ثقافياً ١٩٨٣-

١٩٩٤، ثم كاتب عمود يومي فيها بعنوان أفق منذ سنة ١٩٩٤، بالإضافة إلى عمله مستشاراً في وزارة التعليم العالي ١٩٩١-١٩٩٤، ومسؤولاً إعلامياً في رئاسة الجامعة الأردنية ١٩٩٤.

في العام ١٩٨٩ نال جائزة الدولة التشجيعية (حقل الفكر العربي) من وزارة الثقافة عن كتابه فصول في الفكر العربي. وفي العام ٢٠١٦ احتفى الملتقى الحضاري الثقافي في قاعة بلدية الصريح بتكريمه، تقديراً لمنجزه الشعري والإبداعي والإعلامي والفكري.

للراحل عدة دواوين شعرية وأدب نثري ومؤلفات، منها: «تقاسيم على الجراح»، «طائر المستحيل»، «الوجه»، «من مفكرة رجل يحتضر»، «أحزان مسيحية، سيرة ذهنية وجدانية»، «نظرات في الواقع الثقافي الأردني»، «مسلمات في ضوء التحقق»، «في الفلسفة والخطاب القرآني»، «فصول في الفكر العربي»، «الرافضون»، «نحن وثقافة المستقبل».

وظل العجلوني، خلال مسيرته الإبداعية الفكرية، يدافع عن العقل واحترامه، وكانت أحدث كتبه «هذه الكتب القيمة: ملاحظات أولية»، الذي علق فيه على هوامش كتب رأى أنها ما تزال لها قدرتها على رfd وعينا المعاصر وإنارته، كعلامات تقود إلى مزيد من النظر والتمحيص، وربما يكون فيها قد أحس بدنو أجله، حين قال: «ناهيك بها ضرباً من التحايل على لحظات العمر الهاربة أن تستأني قليلاً حتى تكون توصية أو شهادة أو استغفار».

الراحل استطاع أن يُعبر عما في داخلنا من عواطف، ومواقف إنسانية وفكرية وثقافية، وكان ذلك الشخص الذي استطاعت كتاباته أن تنير دروبنا، فلم يلهث يوماً من أجل الوقوف على المنابر، لذا استطاع على مدى سنوات طويلة أن يكون فارس الصحافة الأردنية حيث يطيب له أن يصهل قلمه على الورق، ويسعد كثيراً أن يسمع صدى ما يكتب.

رحيلك خسارة كبيرة ليس للأردن فقط، إنما للأمة العربية، فقد كنت رمزاً ومثالاً للمثقف العربي، وواحداً من المدافعين عن اللغة العربية، وقامة فكرية طالما انشغل بمشروعه الثقافي النهضوي الذي ينهل من التراث الحضاري العربي، وشكل علامة مهمة في المشهد الثقافي الأردني والعربي.

لروح هذا الفارس الذي قال كل ما يريد بصمت لسانه وصوت قلمه الرحمة والمغفرة.. وستبقى في ذاكرتنا صاحب كلمة وموقف معاً.

«إبراهيم العجلوني الغائب الحاضر»

«مستقبل كنزه المعرفي»

أ.د. جمال الشلبي

أستاذ العلوم السياسية في الجامعة الهاشمية

أن تكتب عن الراحل الكبير إبراهيم العجلوني فهذا يعني أن تتصدى لقصة الإنسان والمثقف والكاتب والمبدع الأردني بكل ما لهذا من معنى ودلالات. فالعجلوني لم يكن كاتب عمود صحفي تقليدي في جريدة الرأي التي كانت تمثل روح الدولة الأردنية و«ناطقها الرسمي» بل كان أيضاً أحد أعمدة كتاب الصحافة الأردنية منذ سبعينات القرن الماضي حتى وفاته في ٤ كانون الأول/ ديسمبر ٢٠٢٢؛ فلم يختلف حضوره ووجهه المعرفي عن كتاب الأعمدة الكبار المعروفين في تلك المرحلة وما تلاها بالمجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية أمثال: محمود الكايد، فهد الفانك، وطارق مصاروة، وسلطان خطاب، وجورج حداد، وحسين رواشده، وغيرهم.

ومن جهة ثانية، يمكن القول - وبثقة - أن العجلوني كان يتميز عن أقرانه من كتاب الأعمدة الآخرين بكونه أديباً، وشاعراً، ومفكراً، وكاتباً في ضروب الفكر والثقافة والسياسية والإعلام، والفلسفة، وربما وجود ما يقارب ٤٠ كتاباً له ليس إلا دليلاً واضحاً للعيان على هذا العطاء والتميز والإبداع الذي شكل «فضاءً واسعاً» للمهتمين بـ «الإنتاج المعرفي» الرصين القائم على العمق، والرؤية الواضحة، والمرجعية الجادة، مما زاد من قوة حجته، وديناميكية تحليله، وبلاغته اللغوية.

وفي الحقيقة، لم أكن أعرف الأخ والصدیق الراحل الكبير إبراهيم العجلوني بشكل شخصي إلا في نهاية عام ١٩٩٩ من القرن الماضي، عندما عرفني عليه الأخ والصدیق معالي الدكتور خالد الكركي بصفته رئيساً لمجلس إدارة صحيفة الرأي أثناء عملي بجانب معاليه في تأسيس «مركز الرأي للدراسات والمعلومات» بمعية د. تيسير أبو عرجة أستاذ الإعلام المعروف، والأستاذ سليمان القضاة رئيس تحرير جريدة الرأي آنذاك، ود. بشار عبد الهادي أستاذ القانون في الجامعة الأردنية؛ ومنذ ذلك التاريخ والعلاقة بيني وبين (أبو سلطان) تتعمق وتتجذر فكرياً وإنسانياً.

وقد تشرفت بأن كتب عني مقالاً في عموده اليومي «أفق» في الصفحة الـ ١٧ بعنوان «جمال الشلبي وجيله الذي ننتظر منه الكثير» بتاريخ ١٤ تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٩ مادحاً منهجيتي العلمية، ورؤيتي الفكرية بعد اطلاعه على كتابين من كتبي: الأول: كتاب «محمد حسنين هيكل: استمرارية أم تحول؟» الذي كان في الأساس أطروحة دكتوراة في العلوم السياسية ناقشتها في جامعة باريس الثانية (السوربون) عام ١٩٩٥ ونشرتها المؤسسة العربية للدراسات والنشر في بيروت عام ١٩٩٩، وترجمته الراحلة اللبنانية الكبيرة د. حياة الحويك عطية من الفرنسية إلى العربية. أما الكتاب الثاني فكان «العرب وأوروبا: رؤيا سياسية معاصرة» تقديم معالي د. خالد الكركي الذي أكرمني بنشره في صحيفة الرأي عبر ٥ حلقات متتالية.

كتب العجلوني في المقال أعلاه قائلاً:

«يمثل الدكتور جمال الشلبي جيلاً جديداً من الباحثين العرب، غير مأخوذ بتحكيمات المستشرقين، ولا مأسور لدعاوي الإعلام الغربي، ولا مُعول على غير ما يطمئن إليه من حقائق، وما ينتهي إليه، بعد تحليل وتعليل، من أحكام».

إلى أن يقول راحلنا الكبير:

«فخلصت من قراءة الكتابين إلى توكيد أمرين متلازمين: أولهما: أن ثمة باحثاً موضوعياً يمتلك من الصبر والأناة ومن أدوات التحليل، ما يمكنه من تقديم صورة مقاربة للموضوعات التي يطرقها. {..}. ثانيهما: أن باحثنا يتمتع بأصالة ذاتية تمكنه من طرح أسئلته الخاصة (

وهي أسئلة ذكية سابرة) في المواطن التي يكثُر فيها التأمين والموافقة بين الدارسين، وأن في ذلك ما يميزه عن جمهورهم {..} من أجل ذلك أعلن فرحي بجمال الشلبي وجيله من الباحثين العرب، الذين شبوا عن طوق الرؤى الاستشراقية والتليسات الاستعمارية، وأخذوا يؤسسون لذلك (الوعي المتمرد) الذي يرفض الاستلاب والمضاهاة والانبهار».

شخصياً، اعتبرت مقالة الراحل الكبير «شهادة جديدة» لي في مساري الأكاديمي والمهني الذي كان في بدايته آنذاك (نهاية التسعينات وبداية الألفية الثالثة) كون إبراهيم العجلوني لم يكن شخصاً عادياً بل مثقفاً كبيراً، ومفكراً عميقاً، وصاحب قلم وكلمة، ولغة راقصة تجعلك تدور حولها فرحاً متعجباً من جمالها، وسلاستها وعمقها الواسع.

أما إنسانياً، فكنت أسعد جداً عندما كان يتصل بي لأحتسي معه القهوة في بيته القديم في منطقة تلاع العلي، أو عندما أراه بالصدفة خارجاً من مبنى جريدة الرأي لأقله بسيارتي للمكان الذي يريد، أو أعرض عليه مكاناً قريباً لنحتسى القهوة سوياً بعيداً عن هموم الحياة والعمل والجريدة، بحيث تشكل هذه الرحلة البسيطة «لقاء الأصدقاء» الذي من خلاله كان يعبر عما في خاطره وعقله نحو البيت والأسرة، والشعب والدولة، وحتى الأمة!

بالطبع، لقد كان العجلوني ناقداً للأوضاع الفكرية والاقتصادية والسياسية ولكن بهدوء ولطف، وربما أقول أيضاً بشيء من الالتزام الجميل، وروح الفكاهة اللاذعة رغبة منه في التغيير والتطوير لمجتمع ودولة لم ينفك في معاشتهما، باحثاً في الوقت ذاته عن سبل إنقاذهما من براثن أولئك الذين لا يفكرون إلا بذاتهم ومصالحهم الضيقة بعيداً عن رؤية فكرية وإنسانية واضحة ومؤثرة.

إن بساطة كاتبنا الكبير العجلوني كان تجعله يبوح بما في صدره وعقله وروحه بعيداً عن المجاملات الاجتماعية والسياسية، وقد يكون هذا هو السبب الذي جعله محل استهداف بعض الذين استفردوا في المشهد الإعلامي طيلة العقود السابقة؛ فأبعدوه أحياناً وعاقبوه أحياناً أخرى، واستبعدوه تماماً في أغلب الأحيان عنها، لا لشيء إلا لأنه يمثل «مدرسة فكرية» تزوج بين الأصالة والمعاصرة، والتصورات الغربية والشرقية، والعقل والعاطفة، الوطنية والقومية، في حين كانوا «هم جميعاً وبلا استثناء» ليسوا أكثر من مجرد «أدوات

وظيفية» لا تفهم ولا تعي كل تلك الثنائيات المنهجية في تفاعل العجلوني مع العقل، والفكر، والثقافة !

ولذلك، عانى كاتبنا الكبير من بعض هذه «النخب الباروشية» التي لم تكن تملك أي تصور للحياة الفكرية والإعلامية، ما جعلها تحكم عليه بـ «الإقصاء الجائر» بحجة الدفاع عن الوطن وأمنه ومستقبله؛ وهو الشخص المسالم الذي كان يجد «قوت يومه» من قلمه، وعقله، وكلماته في ظل مسؤولية أبنائه (سلطان وفاطمة)!!

وبالتأكيد، سيشكل هذا الموقف الإداري غير المسؤول لبعض إدارات المشهد الإعلامي الأردني «وصمة عار» إزاء رجل سيكتب عنه في قادم الأيام والسنين أنه كان مفكر الأردن الكبير، ومثقف الأردن العضوي الصادق، وأديب الأردن الذي يستحق أن يشيد له «تمثالاً من ذهب» تقديراً لمسيرته الفكرية الطويلة في أهم ساحات عاصمة بلده التي أحبها كثيراً.

وبكلمة واحدة، لقد ترك لنا الراحل الكبير إبراهيم العجلوني «كنزاً معرفياً» يحتاج إلى من يستطيع أن يفك «رموزه» العميقة ليرى المستقبل الذي ينتظره بشغف بلده وأمته.

وكأنه كان يقول لي :

(لا تفعل كما فعلت، وكن حراً)

د. حسام عزمي العفوري - ناقد وأكاديمي

حينما تعرفت إلى المفكر والأديب إبراهيم العجلوني (رحمه الله) كان من خلال مقالته (كاتب حر كتابة حرة)، التي كانت تُدرس في مادة فن الكتابة والتعبير، في جامعة البلقاء التطبيقية، في العام الدراسي (٢٠٠٧-٢٠٠٨).

فعندما نقرأ مقالة العجلوني، سنجدها محكمة مترابطة متسلسلة، ونجد أدلته وشواهد حقائق ملموسة في الحياة، ولكن بقي بينه وبين الحل الشافي ضربة معول على كل قلم جعل من ورائه تملقاً ونفاقاً.

وكأن هذه المقالة^(١) رسمت لي المنظومة النقدية عبر خارطة المفاهيم الأخلاقية للكاتب، وحددت لي في اللاوعي مسار الكتابة الحرة فيما بعد، إذ بادرننا الأديب والمفكر إبراهيم العجلوني في مقالته كاتب حر / كتابة حرة، بكلمة (الشهادات) قاصداً منها، نفسه خاصة، وكل من يكتب مقدمات الكتب، أو الخطب التي عادة ما تخالف فكر ورؤية المُقدم.

لذا، فكانت هذه (الشهادات) عنده غير منسجمة مع ذوقه وعقله يوم كتب لها؛ ولكن أدرك بعدها أنه قد كان مجاملاً على حساب ما يعتقِدُ ويستيقِنُ من حقائق الفكر والحياة.

وبذلك لو استقبل العجلوني من أمره ما استدبر، لأعاد الحق لصاحبه دون ميل لمرضاة الناس، بموضوعية تامة ليس فيها تملق، أو إجحاف في الحق، وهو بذلك في حل من أمره ويستبرئ لذمته ما كان من أفعاله وكتابته.

(١) انظر التحليل: جابر، عادل، وآخران، التنوير في فنون التعبير، دار المأمون، عمان، ٢٠٠٩، ص ١٠٨-١١٣.

وفي هذه المقالة سلط العجلوني الضوء على أمر يجهله أكثر الناس؛ هو أن طبيعة الأعمال للكاتب، أو الأديب في صناعة الإنشاء، في نظره، وظيفة تتطابق بالعبودية، فهي رقُّ القرن العشرين، أما في نظر العقاد فما هي إلا كشاهد زور غير مأجور.

ونلاحظ في هذه المقالة أن العجلوني يوجه رسائل متعددة إلى (الكاتب، أو الأديب، أو المؤلف)، منها: يجب أن يكون (الكاتب) ذا ثقافة كبيرة، وسعة اطلاع، وأن يكون لديه فُكْرٌ مُتَقَدِّمٌ، وأن تنسجم لغته مع التراث العربي، ولعل العجلوني استخدم كلمات قديمة غير فجة ولا منفرة، من مثل: عقابيلها^(١)، تتجانب^(٢)، تتنكب^(٣)، مناجشات^(٤)، حتى يقول للكاتب عليك أن تتناغم مع تراثك اللغوي بلطف وبصيرة.

وفيها يقدم لنا العجلوني بكل صراحة وثقة نفس، أن من أراد العمل في هذه الوظيفة كما يقول (رحمه الله): «وبعد، فليس يليق بالكاتب إلا أن يكون حراً من كل قيد، ومن كل اضطرار. وليس يليق بالكتابة إلا أن تكون فيض عقل غير مأسور، وترجمة ضمير غير مكبل، وبياناً حراً من كل التباس. ولن تكون كتابة حرة بغير كاتب حرّ، فيما لا يختلف فيه عاقلان، أو يتلجلج فيه في النفس الأبية بيان»^(٥).

وكأنه كان يهمس في أذني؛ ويقول لي: (لا تفعل كما فعلت، وكن حراً).

فأقول: إن اضطرني زماني إلى أن أشتغل في (صناعة الإنشاء)، سأسير على نهج أستاذي العزيز (إبراهيم العجلوني) - رحمه الله-، وستبقى كتاباتي حرةً، وسأبقى حراً، ولن أكون مجاملاً على حساب ما أعتقده، أو أستيقنه من حقائق الكون والفكر والحياة.

(١) عقابيل: جمع عقبول وهو بقايا المرض أو العشق أو العداوة.

(٢) تتجانب: تميل إلى.

(٣) تتنكب: تتجنب.

(٤) مناجشات: جمع مناجشة وهي زيادة في مدح شخص ما.

(٥) صحيفة الرأي الأردنية، تاريخ ١٢/٦/٢٠٠١، ص ١٦.

الأردن يودع المفكر الكبير

إبراهيم العجلوني

د. حسن المبيضين

مدير الدراسات في المنتدى العالمي للوسطية

فجع الأردن ومعه كل من يؤمن برسالة الفكر والثقافة في نهضة الأمم والشعوب برحيل المفكر والفيلسوف والشاعر الأديب والإعلامي الأستاذ إبراهيم العجلوني، الذي شغل مساحة كبيرة في صنوف الفكر والثقافة والأدب، حتى استحق لقب حارس الوعي الوطني والقومي والإسلامي بكل ما في هذا المفهوم من أصالة مرتبطة بالجدور، وبكل ما فيها من حداثة غير منسلخة عن الثوابت والجدور، ولذلك فإن الحضور الذي أسسه إبراهيم العجلوني في هذه الميادين كان حضوراً مشهوداً من قبل كل متابع للمنجز الفكري الحضاري القديم منه والحديث.

ولعل مصيبة الموت التي تنتظر كل حي لم توقظ فينا بعد كأمة وأفراد ضرورة الانتباه إلى بواعث النهضة التي آمن بها إبراهيم وحركها على صفحات كتبه المتعددة، لكنها لم تجد من يفعلها لتكون حركة دائبة في ثنايا المجتمع: أفراداً وأسرّة ودولة، إذ بقيت حبيسة الكتب ذات الأغلفة المتينة التي لا يرشح فكرها إلا بمزيد من القراءة والتمحيص والتلخيص والتطبيق الذي يحقق معادلة مفادها أن العلم لا يفيد إلا إذا كان حاضراً في ميادين العمل، فلا قيمة لعلم الطب إن لم تسعفه الممارسة الحقيقية التي تظهر قيمته في الوجود، وهندسة المعمار كذلك، لا نراها إلا إذا احتوتنا المباني بهيكلها، فللمسها بأيدينا، وكذلك الزراعة والصناعة بكل معارفها وعلومها لا تكون منتجاً مميزاً إلا بدخول عناصر الإنتاج المستند إلى المعرفة والعلم.

ولا ننظر أن المعرفة ببواعث النهضة تغفل عن العلم باللغة، وذلك لأنها تمثل الإطار الذي يحمي الفكر من الضياع، فكلما ارتقت اللغة وازداد حضورها، وقويت شكيمتها، شكلت قيمة مضافة في معايير الأمة، ولذلك نجد الهجمة قوية على اللغة العربية، إذ لم تسلم مناهجها المدرسية والجامعية من التدخل في سبيل إضعافها وجعلها مادة ترفيه في المعرفة وإبعادها عن مسألة صياغة العقل الجمعي والوجداني للأمة بكل ما تحمله ألفاظها من المعاني السامية النبيلة.

وفي هذا الميدان الخصب قدم العجلوني خلاصة فكره وعصارة ثقافته ليجعل من اللغة السامية التي يستخدمها أثناء كتابته أبحاثه ومقالاته وقصائده درساً متجدداً في اللغة ليسترشد بها كل طامح في تحسين لسانه وقلمه، وكم صحح السنة من قرأوا له، إذ كان يضيف على قارئيه مظلة اللغوية الحانية التي تشمل بالمعرفة الأصيلة كل راغب بالمزيد من اللغة صرفاً ونحواً ووزناً ومعنى.

إن المقالة الصحفية ذات الملامح الأدبية والفكرية والثقافية التي كان ينشرها يومياً في صحيفة الرأي، قد شكلت منبراً ثقافياً متنوعاً بمفاهيمه المعرفية التي يبثها ليستفيد منها السياسي والاقتصادي والاجتماعي، مثلما يستفيد منها التربوي والداعية، إذ كانت مقالاته تزخر بالمفاهيم والمصطلحات العديدة التي يحتاج فهمها والإحاطة بدلالاتها الرجوع الى قائمة الكتب التي أوردتها في مقالاته، إذ يندر أن يكتب إبراهيم العجلوني مقالة ما دون أن يذكر فيها على سبيل الاستشهاد عدداً من الكتب التي قرأها وهي ذات صلة بمقالته، مثلما يذكر أيضاً ما يتوافق مع هذه المعلومة أو تلك من أقوال هذا الشاعر أو الفيلسوف أو العالم أو المفكر، ولذلك تجد مقالته تزخر كذلك بأسماء كثيرة من هؤلاء الرموز قديماً وحديثاً. حتى إذا ما استكمل القارئ مقالته خرج بمعرفة إضافية ليس حول فكرة ما، وإنما بأسماء جديدة من الكتب والأشخاص من ذوي العلاقة.

إن المعرفة الثقافية الموسوعية عند إبراهيم العجلوني هي ما جعلته يستحضر هذا الكم الهائل من العناوين والأسماء، وليس ذكراً فقط، بل بين التدرج في القيمة المعرفية لتلك الكتب، والتدرج الزماني في صدورها، وهو بذلك يرصد القديم والجديد من الكتب حول

هذا الموضوع أو ذاك، حتى لتظن أن القارئ يستكفي من هذا الموضوع أو استطاع حفظ الأسماء المتعددة من المؤلفين والكتب ذات العلاقة بهم.

والمتدى العالمي للوسطية لم يكن المحطة الأخيرة التي نثر فيها إبراهيم عيبير إبداعاته وفكره، بل سبق له أن شكل قيمة مضافة في كل مؤسسة استقر فيها فترة من الوقت، فالإذاعة الأردنية التي أعد وقدم من خلالها برامج ثقافية أسهمت في رقد المشهد الثقافى الأردنى بالنافع والمفيد، ثم نراه فى الجامعة الأردنية فى دائرة العلاقات الثقافية والإعلام، وأثناء حضوره فيها عمل بكل جهد فى مأسسة مؤتمر تاريخ بلاد الشام، والمؤتمر الثقافى الوطنى الأول وما تبعه، إذ كان فى تلك المؤتمرات عنصراً فاعلاً فى لجانها العلمية والتحضيرية والإعلامية كذلك.

ولأنه مسكون بالحضارة العربية والإسلامية ومحب لآل البيت النبوى الشريف منح المجمع الملكى لبحوث الحضارة الإسلامية مؤسسة آل البيت - بعضاً من سننى عمره الحافل بالعطاء، إذ عهد إليه الأستاذ الدكتور ناصر الدين الأسد رحمه الله ببعض الأعمال فى هذه المؤسسة لتكون منارة فكرية تحقق ما كان يصبو إليه الأردن وقيادته الهاشمية من اعتبار آل البيت حيثما حلوا وارتحلوا رسل حضارة قائمة على العلم والمعرفة والنور المبين، وهكذا كان إبراهيم حيثما حل، منارة فكرية وثقافية يصعب نسيانها.

ولم يتوقف عطاء الرجل حتى آخر يوم فى حياته، إذ بلغ نتاجه الفكرى والثقافى (٤٦ كتاباً) فى ميادين الفكر والثقافة المتعددة، غير أن الجميل ليس فقط فيما كتب، بل فيما كتبه الآخرون عنه على شكل رسائل علمية نال أصحابها بفعالها درجة الماجستير أو الدكتوراه، إذ وصل عددها إلى ست دراسات جامعية.

إن الأردن وهو يودع المفكر الكبير الأستاذ إبراهيم العجلونى ليستذكر بألم وحسرة كيف قضى هذا المفكر جزءاً كبيراً من حياته يعانى من التهميش والإقصاء والتضييق عليه برزقه، ولكنه رغم ذلك كله لا يتحسر على حال وطنه، والذي يشفق عليه، بل يتحسر على اضمحلال الثقافة العامة والنوعية عند عامة الناس فيه، وهو أشد حسرة عنده، عندما يرى من يتبوأ المواقع الثقافية والفكرية المتقدمة من هم دون المستوى المطلوب ثقافياً لها، مع أنه الزاهد فى طلبها والقصص كثيرة لديه، إذ تبين ترفعه عن قبول منصب ما يذهب معه خلقه وإيمانه وحبه النزىه لوطنه وأمه.

رحم الله القامة الفكرية الموسوعية الأردنية التي استحضرت شخصية الأديب المصري العربي المعروف بغزارة نتاجه وثقافته (الرافعي) إذ استحق العجلوني بما ترك وأنجز أن يكون (الرافعي) الأردني الذي لا يغيب عن بال كل من تعلق بالأدب والفكر والثقافة ولو لساعات محددة.

رحمه الله رحمة واسعة وعوضنا من بعده، من يحمل رسالة الأمة وهمها، والله نسأل أن يحفظ الجميع من كل مكروه.

إبراهيم العجلوني :

يحمل صخرته ويقاوم كل شيء

د. حكمت النوايسة

راضياً بما اختاره لنفسه، واختارته نفسه له، هكذا، عاش وارتحل، تاركاً هذا الخيار محطّ احترام، ومحطّ ألم، فقد كان المدافع عن خياره أمام أيّ مغرٍ، وقد شغل نفسه بتلك الصخرة التي يلامسها آخرون، وينسحبون من تحتها عندما يشعرون بثقلها على كواهلهم، صخرة الدفاع عن العروبة، والدفاع عن الإسلام، وعندما تنفلت ظاهرة من الظواهر المستوردة من فكر الغرب، ويتبارى المنبثون لتبنيها، كان يذهب هناك، إلى أصول تلك الظاهرة، وإلى سياقها التاريخي، وإلى منابت مبدعيها، والقائلين بها، ومن هناك ينبش، ليعرّف أبناء قومه بأنّ هذا القميص ليس لنا، ولا يليق بما نستند إليه من حضارة عظيمة يمكن أن تكون منطلقاتنا منها، كأنه يقول لنا لا ترتدي قميصاً قبل أن تسأل: هل يليق بي ارتداؤه؟ ولم يكن في ذلك سلفياً جامداً، ولا متنطّعاً متحجّراً، وإنما كان ذلك العقل الواعي الراشد، الذي لا يرفض شيئاً لم يطّلع عليه، وإنما كان عندما يرفض ويناقش، كان محمّلاً بخلفيات ما يناقش، فهو لا يرفض لمجرد الرفض!!!

لقد ارتضى لنفسه ما اختاره لها، وابتعد عن الحياة بالمقدار الذي يتيح له أن يراها كما هي لا كما تبدو صورتها عند المندغمين فيها ويقتلون عليها، كان ينظر إليها من عل، وهو ما أتاح له تلك الرؤية الصافية الواضحة، وذلك الرضا الذي تستشعره معه إن جالسته، فعندما تجالسه تشعر بأنك تجالس من امتلك أطراف الدنيا كلّها، وهذا لا يكون إلاّ للزهاد العارفين، الذين لم يزهّدوا ترفاً، وإنما زهدوا موقفاً، وقد قرأت شعره، وكتبت عنه ذات يوم، وكتبت

كيف اغتال الشعر في نفسه لأنه انتقل إلى مضمار آخر، القصيدة في ذلك المضمار لا تفيد مع أولئك الأعاجم الذين يفهمون رولان بارت ولا يفهمون التوحيدي، ويفهمون الشكلايين الروس ولا يفهمون الجرجاني، هكذا، هؤلاء لا يليق بهم إلا النشر الواضح الجلي الذي يضع النقاط على الحروف ولا يحتمل التأويل، وكان يقدم هذا مهدوء الزهّاد، وصبر المعلمين.

وإذا كان قد ترك القصيدة، وترك أوجاعها في ظل الطوفان الطاغي من شعر الحداثة، والطوفان الطاغي في شعر التزلف، وقد نظر وعرف أن ثقافتنا قد انقسمت إلى مقلد أعمى للغرب، ومصقّق أعمى للقوة العاتية يريد منها خبزا، رأى إلى ذلك، ولم يقل عنه إلا بالأدب في أحيان كثيرة، فكانت القصة القصيرة التي لم يشتهر بها، ولم تكن علامة على نبوغه الأدبي إلى جانب المسرحية والقصيدة، ذلك أننا لا نقرأ، ولو قرأنا لوقفنا على تلك القصص التي يديرها بفكره، أو تلك القصص التي ينقلها من تراثنا على صورة مقتطفات ليضعها في سياقها الحديث لمن يعتبر، ولنا أن نفق مثلا عند قصة، وأقول قصة مرتاح البال، قصة (يد في حلقي)^(١)، تلك القصة التي يعالج فيها ما نعيشه على غير مستوى، ولعلّ المستوى الأهم هو مستوى الوعي والنظر الدقيق، فنحن نخشى من وهم، ونسلمه كل ما يريد إلى أن يضجر الوهم نفسه منا ويقول لنا إنه وهم، وإنما مضحك علينا!!

تدور القصة على صورة حوار، وعلى شكل مشهدية مسرحية، وتبدأ بـ:

قلت للصغير الذي أدخل يده في حلقي:

- أخرجها يا حبيبي؛ ففي حلقي من الشجى ما يكفيه...
- لن أخرجها حتى تقول لي: أرجوك يا سيدي أخرجها.
- أرجوك يا سيدي أخرجها.
- لا بل قل: أرجوك يا سيدي العظيم أخرجها.
- سأخرج يدي ولكن لا تنس أنني أدخلتها في حلقك ذات يوم.
- سأذكر ولا أنسى ما حييت.

(١) العجلوني، ابراهيم، صوان الأحزان، دار ورد الأردنية للنشر والتوزيع، ٢٠١٥، ص ٢٩.

- ولكنّ لي شرطاً عليك، ولن أخرجها دون إلزامك به.
 - اشترط يا سيدي كما تريد فأنا طوع يمينك التي في حلقي.
 - شرطي أن يعترف أبناؤك وذراريك إلى آخر الدهر بأن يدي في حلوقهم أيضا.
 - لكن ذلك ما لا أستطيعه ولا تستطيعه.
 - إما ذاك، أو بقاء يدي في حلقتك!!!
 - لك ما تريد....
 - ما هذه التي سأخرجها؟
 - يدك التي في حلقي!!
 - لكم أنت ساذج يا صديقي القديم! وإلا لأدرت منذ البداية أنني مخلوق هكذا، بلا يدين.
- هذه المشهدية القصصية التي اخترتها، وتصرفت بها بحذف (قلت وقال) وأبقيت الحوار كاملاً، هذه المشهدية هي التي يخاطل بها المرحوم العجلوني عقولنا، نحن نحاور صاحب يد في حلوقنا، ونستجيب لكل ما يطلب منا، دون أن ننتبه إلى أنّه بلا يد ليدخلها في حلوقنا، وأنّ ما نظنّ أنّه في حلوقنا مجرد وهم، لا نطارده، وإنما نعيش تحت سقفه، ونستجيب لرغائبه استجابة آية، ولا نفكر لحظة واحدة بإجالة النظر، وقراءة الأحوال، أو تحريك أيدينا لنخرج تلك اليد التي (في حلوقنا).
- ولتساءل الآن: كم من يد في حلوقنا ونخشى جبروتها، وهي ليست إلا خدعة كبرى، نحن صنعناها.
- ولتساءل بالعودة إلى أول المشهدية: (قلت للصغير الذي أدخل يده في حلقي) فلدينا ثلاث كلمات في هذه الجملة غير المكتملة: الصغير / اليد / الحلق.
- الصغير: دلالة ضعف الذي نخاف منه.
- اليد: دلالة آلة الإنجاز والعمل والعطاء والدفاع عن النفس.
- الحلق: مكان تشكّل الخطاب، وهو منسرب من العبارة الشعبية / أو المثل الشعبي: يده في حلقي، أي أنّه أخرسني بأن أعطاني شيئاً، أو عمل معي معروفاً، أو رأى عليّ ما يعيب، وذلك وفق السياق.

إن تحليل هذه الرموز، في هذه القصة التي اخترتها، هو تحليل لرؤية العجلوني لنا، وللحياة التي نعيشها، إننا نعطل أيدينا، وتكلم بحلوق مكبلة بأياد وهمية لصغار، ولم نسأل أنفسنا، ولا نسألها: كيف يتكلم ويحاور من كان في حلقه يد غيره.

ولنا أن نتوسع في التأويل أيضا، ونرى هذه الشطحة الأدبية الجميلة ذاهبة إلى موقف العجلوني من الحياة بعامة: لا نحاور الصغار ليخرجوا أيديهم من حلوقنا، وأيدينا معطلة وعقولنا معطلة أيضا.

وإذا كتب ما كتب في الأدب والفكر، فإننا لا نجد لديه في أعماله الأدبية كلها عملا خاليا من موقف مما يعيشه الإنسان العربي، سواء أكان ذلك ظاهرا، أم كان مبطنا في تلافيف الشطحة الأدبية الجميلة.

رحم الله تعالى أبا سلطان، وأدخله فسيح جناته.

رؤية في شاعرية

إبراهيم العجلوني

د. راشد عيسى

إبراهيم العجلوني أديب متعدد المنازاع الثقافية، فهو فيما عرف به مفكر نبيه صاحب اعتزاز كبير بأمتة، نزيه الخلق صافي الفؤاد نبيل الأرومة. عرفناه إعلامياً بارزاً في جريدة الرأي وروائياً وكاتب مقالة أدبية فكرية. وهو شاعر أصدر عدداً من المجموعات الشعرية على استحياء، وقد وقفت على مجموعة شعرية قديمة لإبراهيم العجلوني بعنوان «تقاسيم على الجراح» وهي أول إصدار شعري له، في هذه المجموعة منظومة من القصائد تستند رؤاها إلى رؤى صوفية رومانسية، ولا سيّما رموز المسيح والحروف والأعداد والضوء، وقد تبدى استدعاء تلك الرموز ناجحاً ينبىء بمصداقية البوح الجواني الذي تبثه نفس نقية عامرة بالإيمان والمحبة، تتسامى عن كل أرضي طارئ، وترتقي في معارج الوجدان إلى البهجة العلوانية المطلقة.

صدر العجلوني في مجموعته عن فكر قلبي يواجه سؤال الكونية بالإحساس والحدس سعياً وراء طمأنينة الزاهدين في الدنيا الناشدين رضا الله، والمكتفين بالقلب وسيلة لبلوغ مشارع المعرفة. وقد بشرت المجموعة بشعرية نبهة لم أجدها في مجموعات كثيرة لسواه.

لكن التنامي الفكري المتسارع في ثقافة العجلوني قاده إلى تجريب فنون أدبية أخرى كالقصة والرواية والمسرحية والمقالة والنقد الأدبي، فتناهى عن فضاءات الشعر لينشغل بالمناهج المعرفية الكلية التي توفر لطبيعة ثقافته ووجدانه آفاقاً أكثر اتساعاً وشمولية، فعاد إلى الثقة بسلطان العقل في انشغاله المعرفي الشامل بشؤون الفكر والكلمة، وظل الشعر لديه مرهوناً لسوانح القلب ومزاج اللحظة وهو القائل في هذا الشأن.

«ولقد أوشكت مرة أن أكون شاعرًا، ثم مالت بي عن الشعر أحوال وصرفتني صوارف،
لعل أرجحها عندي وأقواها أثرًا أن الشعري الذي أحاوله لا أستطيعه، وأن الذي أستطيعه لا
يرضيني.

ففي تقاسيم على الجراح معزوفات شجنية يتلذذ فيها الشاعر بالألم في بث رومانسي
صوفي يتماثل مع طبيعة الروح الشبابية المكتظة بالأحلام الهاربة:

«وزهرة أضعتها إبان رحلة الشجن

كانت تهدهد الجراح في دمي

وكنت إن فاضت مدامع الحزن

أبحر في أريجها خلف تخوم الألم

وأقهر الزمان والمكان، أرّقص الأسي

على ضريح العدم».

فالشاعر لا يرى في الزهرة الضائعة إلا أريجًا من الألم يبرز معاناته مع الزمان وهما قطبا
وجوده الوجداني والكوني معًا، ليراقص هذا الألم بإحساس فجائعي بالعدمية. ونلاحظ هنا
استخدام الشاعر لمفردتي (يهدهد، وأرّقص) وهما مفردتان دالتان على الترقيص الموسيقي
في سياق عرض المشاعر المتألّمة المتغنية بأحزانها، وتلك لا شك مفارقة نفسية ولغوية تشيع
في الشعر الصوفي الذي يجعل الذات محور العالم، وهي ذات آيلة باستمرار إلى الانقسام أو
إلى الاتحاد الجمعي، إلا أن الذات عند العجلوني أقرب إلى الفردانية المكتفية بنفسها في
ذاتين إحداهما مأزومة بسؤال الحياة والثانية سائرة إلى التناهي وسؤال الموت:

« أخاف أن أفقد ظليّ الرطيب

أمسكه أن يهربا

وكيف أحيا دونه، ووقدة الهجير فيّ تعشق

الجنون، تطلب المنون».

فالعجلوني مأزوم بالحذر من فقدان الجانب الشجري الأخضر من نفسه والذي رمز إليه
(بالظل الرطيب)، ولذلك تساءل كيف سيحيا دونه؟

فهو يحاذر من الجانب المحترق في نفسه ذلك الذي عبّر عنه (بوقدة الهجير) فتماهت نفسه
بأحد المظاهر الطبيعية المناخية وهو (شدة الحر) هذه الشدة الحرارية التي تقوده إلى إحدى
نهايتين الجنون أو الموت، إذن ثمة صراع نفسي شديد تنبئ به أغلب القصائد المجموعة التي
جاءت معبّرة عن مجمل الصراعات الوجدانية لدى شاب في الخامسة والعشرين من عمره
يتقصى أسباب الحياة بموسيقى الألم.

وفي الديوان ثيمات من الدفقات الصوفية الوجدانية الشفيفة التي تشير إلى شقاء الشاعر
بمطاردة الخير والجمال وسائر القيم الجمالية الإنسانية من أجل انتصار الإنسان فيلجأ إلى
الحلم والتمني:

«هل من صدقة»

تأتي بغيوم حبلى ببذور النور

أو تبعث من قلب الديجور

آمالاً ترقص في زفة

وتصيح الرياح

يا صفراً في عدد هائل

يا حجراً في برج مائل

أتريد مسيخ؟

أتريد مسيخ؟!

ويحك يا ريخ

هل ينقذ هذا العالم غير مسيخ؟!

نحن أمام حوار وجداني بين الشاعر والكون، فهو يتمنى أن يكون العالم خيرًا ونورًا ومحبة، لكن الريح تنوب عن الكون في الرد على حلم الشاعر، فتسخر منه وتصفه بأنه صفر وبأنه مجرد حجر في برج آيل للسقوط، بمعنى أنها تذهب به إلى القنوط من حلمه، فيجيب نفسه كأنه يجيب الريح: هلل أنا حقًا أريد مسيحًا جديدًا ينقذ العالم من الضلال والقيح... ثم يعود الشاعر لنفسه يحاورها ويرد عليها مؤكدًا له وللريح أنه حقًا لا ينقذ هذا العالم غير مسيح.

ونجد عند العجلوني في ديوانه (حينما نلتقي) استمرارًا للروح الرجائي بالحب الأجل والارتحال عن مشاعر اليأس، إذ صوّر اليأس بصديق أو أخ يقف معه أمام الناس طالبًا شعاعًا من الحب:

وقفت مع اليأس جنبًا لجنبِ

وناديت يا ناسُ في كل دربِ

ألا من يبيع شعاعة حبِّ

بمالي وروحي وشعري وقلبي

غير أن مثل هذه الحيرة الرومانسية تتراقى في مدارجها في ديوانه الثالث (طائر المستحيل) ليتدانى الشاعر إلى مرحلة الإشراق الروحي برغم بكائه القلبي الضاحك:

وإذ يحلو البكاء أروح أبكي

وأضحك إذ يكون الدمعُ دمًا

وقلْتُ يجيء ء سوف يجيء ء حتى

سطعتَ منائرًا والليل أعمى

فهل أشرقتَ من قمم احتراقي

وهل روحي سكنتَ وعشتَ قَدُما

فالشاعر يخاطب الإشراق نفسه محتفلاً بقدومه وبقائه، وعليه فإن العجلوني يصدر عن نفس رحبة الجمال نازعة إلى النور والتسامي موظفاً جدلية النور والظلام في سياق استفهامي توكيدي، يجعل الذات مشغولة بعزلتها ليس لهدف أحادي مجرد، بل لمرام إنساني عام، ولذلك وجدنا العجلوني في قصائده القليلة بعد الديوان الثالث طيراً جريحاً يغرد على غصن وحيد في شجرة وحيدة في غابة وحيدة شاكياً استمرار الوحدة والعزلة، وهي عزلة الزاهد القوي، عزلة النمر الجريح، عزلة الغني بنفسه عن الآخرين، فنجد في قصيده (وحدك الآن) يعرض بكاءً جميلاً من الشجن الروحاني، الذي يحاكي رومانسية المتصوفة الأصلاء الذين يستعيضون عن البري بالرباني والطبيعي، فيؤنسن بعض مظاهر الطبيعة التي تحلّ فيه محتفيةً ببهائه النفسي ومبتهية كينوته:

وحدك الآن في البكاء فقل لي
 أي أفق في المنتهى قد بدالك
 قيل إن النجوم أهدتك عقداً
 من سناها ورقلتك سبالك
 قيل قد كنت رائقاً سلسيلاً
 يوجم الصفو والصفاء حيالك
 قيل ما قيل ثم هبت سموماً
 مظلمات الرؤى، فلت حيالك
 عدت طيناً لقي بأرض تناءت
 عدم النور فانزوى وتهالك
 وحدك الآن في الحنين فقل لي
 أي أفق في المنتهى قد بدالك

فالشاعر هنا في موقف الحيرة الصوفية وفي مقام الحنين والأنين والتوحد. لا يمتلك أن يُسرِّي عن نفسه ويعزِّيها إلا بتوحدِه مع النجوم والماء وقصة خلق الكون والإنسان لكأن التحولات الوجدانية في روح الشاعر هي التحولات نفسها في قصة التكوين وحضور الوجود والعالم.

ومن اللافت للنظر أن القصيدة مصوغة بحس موسيقي شفيف باعث على الغناء مع أن رؤاها منشغلة بالبوح الحزين، وتلك فيما أحسب أهم ميزة أسلوبية في شعر العجلوني وهي المفارقة بين الرؤيا والشكل الفني للقصيدة...

أصالة التفكير عند

إبراهيم العجلوني

د. رائد عكاشة

يحق لنا وصف المرحوم إبراهيم العجلوني بالمتقف الأصيل المنتمي لحضارته. وينبع هذا التوصيف من تفحصنا لمنطلقات تفكير العجلوني، وتبُّعنا لمنهجيته في معالجة القضايا المتعلقة بالمجتمع والأمة، ومحاورتي الدائمة والمتواترة معه في قضايا الفكر والأدب والفلسفة.

ولعل المتتبع كتابات العجلوني يلمس بصورة جلية أصالة تفكيره، وتصورات الحضارية، وأورد ملامحين مهمين في هذه الشهادة المقتضبة:

١. العودة إلى الذات، والفخر بالمنجز الحضاري؛ إذ ما فتى يُذكر في كتاباته ولقاءاته ومحاوراته بالمنجز الحضاري عند المسلمين، والعِزة الثقافية الحضارية للحضارة العربية الإسلامية، وأسبقية الحضارة الإسلامية وأفضليتها في تكوين المعرفة الإنسانية، ذلك لأنها ربانية المصدر، قرآنية الرؤية، إنسانية الفعل. ولعل الناظر في مقالاته (عنواناً وفكرةً ومعالجةً) يلمح هذا الانفعال الحضاري والرغبة في تمكين المسلم المعاصر من دخول بوابة العصر مؤيداً بإرث حضاري كبير، ومتخلصاً من عقدة النقص بتفوق الآخر المركز (الغربي)، الذي فرض هيمنة فكرية ومعرفية على جغرافيا الفكر المعاصر. ودائماً ما تجد العجلوني يذكرنا بإنجازات الجرجاني والغزالي والجويني في قضايا الأخلاق والتشريعات، ويقيم مقاربة ومقارنة مع منجزات الآخرين (من اللحظة اليونانية إلى الوقت المعاصر)، ويختمها بجملته المشهورة: ليس للغرب يد طولى على الفكر الإسلامي. وكلما سنحت له الفرصة لزيارة المثقفين والمراكز الثقافية لعرض فكرته

حول منجز حضاري اطلع عليه عند المفكرين المسلمين، اغتنم هذه الفرصة للكشف عن معالم الإبداع الحضاري عند أجدادنا، وتعرية النفاق الحضاري الذي يعترى بعض المثقفين الذين استلبوا ثقافياً وحضارياً.

٢. بناء المشاريع البحثية الحضارية: يبني العجلوني معظم مقالاته ومؤلفاته ضمن سياقين مهمين؛ أولهما بناء المقالة رداً على مقولة أو فكرة أو مقالة أو بحث؛ إذ يسهم فيها في تجلية موقفه الحضاري من القضية المطروحة. ودائماً كان ينحاز في أطروحاته إلى البنية المعرفية الحضارية التي تمثل له نبراساً ومنارة يستهدي بها في محاوراته التي تتقمص عادة أساليب علماء الكلام في المحاوراة والدحض والإثبات. أما السياق الثاني فهو مائل في وضع فرضية ما وتجميع النصوص حولها وتفحصها في تراثنا ومن ثم مقارنتها ومقاربتها مع الفكر الغربي، والناظر في عناوين مؤلفاته ومقالاته يلحظ جلياً هذه المقارنات والمقاربات مثل: نحن ومفكرو الغرب، الرافضون، مواقف وخطابات، ونحو حوار معقول مع الأمريكان، وفي مرآة الإسلام، وإضاءات في حوار الآخر واحترام الذات. ولعل كتابه الأخير هذه الكتب القيمة يكشف عن عمق تجذره في الحضارة العربية الإسلامية، ومدى إسهام هذه الحضارة الناصعة في بناء الإنسانية والحضارة العالمية أخلاقياً ومعرفياً وفكرياً وعلمياً.

رحم الله أبا سلطان المفكر الإسلامي الذي أسهمت كتاباته وأفكاره في بناء الوعي الشخصية الإسلامية المعاصرة القادرة على تمييز الغث من السمين، والناهضة بالمجتمع والأمة ضمن رؤية حضارية أصيلة.

إبراهيم العجلوني.... وداعاً

زياد أحمد سلامة، عمان - الأردن

لا أذكر متى بدأت أسمع باسم الأديب الكبير إبراهيم العجلوني أو أقرأ له، فقد كنت أقرأ له مقالات مختلفة يجمعها العمق في الطرح والفكرة المحددة الواضحة الجادة، وكم كانت فرحتي وشعوري بالسعادة عندما اتصل بي الأديب الكبير ذات يوم قبل أكثر من عام - وأذكر أنه كان يوم جمعة - يخبرني أنه قرأ كتابي عن الأستاذ الشاعر « أمين شنار»، وتكررت الاتصالات الهاتفية مرات قليلة إلى أن اتفقنا على اللقاء، وفعلاً التقيت بالأديب الكبير في أحد المقاهي القريبة من «دوار المدينة الرياضية»، وهناك تعمقت المعرفة وزادت ثروتي المعرفية بهذا اللقاء الجميل الممتع الذي كان حديثاً في الفكر والأدب والشعر والتراث والاستشراق وما يُكاد للإسلام وما يُحاك له وحوله.

كنتُ تلميذاً في حضرة شيخه الذي يفيض حكمة وعطاء....

كنتُ طالباً في حضرة الأستاذ الكبير الذي يشع علماً وأدباً....

كانت جلسةً مبهرة جميلة مع إنسان كنت أتمنى لو تُتاح لي الفرصة لأكتب كما يكتب بذلك الوعي وتلك الحكمة والعمق بشكل بسيط دون تكلفٍ مدعي العلم، ولا حذلقه أصحاب المصطلحات الذين يحرصون على عرض عضلاتهم في ميدان الثقافة أكثر من حرصهم على توصيل الفكرة مجردة، لم يكن الأستاذ إبراهيم بالمتحذلق ولكنه كان صاحب القلم الواثق من نفسه وعلمه وأدبه وفكره.

في ذلك اللقاء قال لي بأن المقال الذي يكتبه ويتكون من مئة كلمة، ربما اضطره لقراءة مئة صفحة، وذلك احتراماً منه لقارئه الذي ينتظر منه كلاماً ذا قيمة فكرية وذائقة أدبية رفيعة.

في ذلك اللقاء أهداني المرحوم عدداً كبيراً من مؤلفاته القيمة والمتنوعة، في الشعر والنثر، في المقالة والفلسفة والفكر، في الصراع الحضاري بيننا نحن المسلمين وأولئك الغربيين الذين يمكرون بهذه الأمة.

كان المرحوم الأستاذ إبراهيم العجلوني معجباً بالمرحوم «مصطفى صادق الرافعي» أديب العربية والإسلام الذي عاش في الثلث الأول من القرن العشرين وعاصر أعلام الفكر والقلم آنذاك أمثال الدكتور «طه حسين» والأستاذ «محمود عباس العقاد» والدكتور «محمد حسين هيكل» والأستاذ محمد حسن الزيات» وغيرهم ممن كانت كتبهم ومقالاتهم تثير زواجع من المعارك الأدبية، ومن أهمها معارك «الرافعي» مع «طه حسين» والتي أنتجت كتاب «تحت راية القرآن» وفيه يرد الرافعي على عميد الأدب العربي وكتابه «في الشعر الجاهلي». أو معاركه مع «العقاد» والتي أنتجت كتابه «على السفود»، وقد جمع المرحوم العقاد مقالاته في مجلة «الرسالة» العريقة التي كان يصدرها الأستاذ «محمد حسن الزيات» في كتاب «وحي القلم»، وصدر في ثلاثة مجلدات كبيرة، وجمع أستاذاً الكبير «العجلوني» مقالاته في مجلدات ثلاثة كبيرة أيضاً وسماه «وحي الآفاق»، وهذه المقالات هي حصيلة ما كتبه الأستاذ العجلوني في جريدة الرأي وصحف أخرى على مدى عشرين عاماً.

جاء كتاب «العجلوني» على غرار كتاب «الرافعي» المارّ ذكره، وعلى غرار «وحي الرسالة» للزيات، و«وحي بغداد» لزكي مبارك، و«الفصول» للعقاد، و«اليوميات» لعبد العزيز البشري، و«حديث الأربعاء» لطف حسين» وهذا ما ذكره أستاذاً العجلوني في مقدمته لكتابه هذا.

كتب الدكتور «ناصر الدين الأسد» رحمه الله في تقديمه لكتاب «وحي الآفاق» فقال: «والقارئ لكتابات إبراهيم العجلوني لا يخطئ أسلوبه الأصيل حين يقلده مقلد كما كان الناقد البصير منا لا يخطئ أسلوب طه حسين أو العقاد وأشباههما حين يقلدهم المقلدون وما كان أكثرهم!! وهذا التمييز بين الأصيل والتقليد أوضح مقياس على ما في الأصل من صفات فنيّة أدبية يعجز عنها المقلد. وربما كان هذا معنى قول من قال: «الأسلوب هو الشخص» فلكل منهما خصائص مشتركة أو متقاربة لا تدركها إلا العينُ القادرة على الغوص في أعماق النفوس، وإن عجز اللسان أو القلم أحياناً عن بيانها».

مقتطفات من تفكير الأستاذ العجلوني:

شرطان للوجود الحر

كتب الأستاذ العجلوني مقالاً بعنوان « شرطان للوجود الحر » قال فيه:

«جبهتان لا بد للعرب أن يحصنوهما: جبهة قوتهم العسكرية، وجبهة ثقافتهم العربية الإسلامية.

في الجبهة الأولى ينبغي أن نضمن وجود أجيال عربية قوية البأس قادرة على الذود عن الأمة.

وفي الجبهة الثانية ينبغي أن نضمن وجود مثقفين أصلاء يصلون حاضر الأمة بماضيها، ويبقون على سماتها الحضارية الأصيلة التي يصعب اكتساحها، أو جعلها ملمحاً فولكلورياً أو زينة للناظرين تعلق على الجدران، ولا تكون فاعلة في صميم حركة الإنسان» (العجلوني: مسلمون وصهاينة وأمريكان: واقع وأصداء، ص ٢٩).

مقاطعة أمريكا: فريضة واجبة

وقال في مقال آخر بعنوان «مقاطعة أمريكا: فريضة واجبة»: الثابت بلا مرء، أن الولايات المتحدة الأمريكية بقيادة كليتون وغور وأولبرايت هي التي تشن الحرب الإسرائيلية على شعبنا العربي في فلسطين، وهي التي تقتل أطفالنا وشبابنا فيها، وهي التي تريد إذلال الأمة العربية، وهي التي تريد قهر المسلمين.... إن ثمن الذخيرة الإسرائيلية المدفوع نقداً - وعلى وجه السرعة - من إدارة كليتون.... إن شعبنا تعرف ذلك كما تعرف - بأشد الوضوح - معنى الموت، وإن حكامنا ليعرفونه يقيناً، وإن من حقنا في ضوء ذلك أن نقاطع الأمريكان فلا نشترى منتوجاتهم، ولا نلبس ملابسهم، ولا نأكل مأكولاتهم - التي تعرفون - ولا ندرس في جامعاتهم ولا أكاديمياتهم، وأن يكون ذلك منا على سبيل «الصوم» الذي هو فريضة واجبة - عن كل ما هو أمريكي غضبة لدمنا العربي المسلم الذي يراق على مشارف الأقصى، واحتراماً لأنفسنا ودفعاً عن كرامتنا التي يريدون تمريغها بتراب الإذلال..» (العجلوني: مسلمون وصهاينة وأمريكان: واقع وأصداء، ص ٤٥).

لا حمائم في إسرائيل... ولا صقور عندنا

في مقال بعنوان «صقورهم وحمائمنا» قال: «من يستقرئ واقع السياسة الإسرائيلية، منذ زرع الكيان الصهيوني في بلادنا إلى هذه اللحظة من الزمان؛ يجد أن تاريخ الدولة المقحمة على نسيج المشرق العربي الإسلامي، لم يعرف على الإطلاق ساسة يمكن أن نصفهم بـ «الحمائم». فكل الساسة الإسرائيليين منذ ما قبل غولدا مائير إلى ما بعد تسيغي ليفني، هم «صقور» دعاة حرب وتقتيل وتشريد، حتى اليسار الإسرائيلي، وعلى الرغم من دعوى الأممية ووحدة «شغيلة» العالم، فإنه لا يقل عداء عن الصقور الرسميين، ويرى في الدولة العبرية أقنومًا ثابتًا لا يتأثر بالجدل الماركسي، ولا تملك حتميات التاريخ أن تحرك ساكنًا. وفي مقابل هذه الحقيقة الصارخة التي لا يتخافت بها الإسرائيليون ولا ينفكّون يعلنونها في كل دقيقة من ليل أو نهار، فإن من يستقرئ سياسات العرب والمسلمين يجدها في الغالب، منزوعة الأظفار وإن كانت مرفوعة العقائر. ويجد أنها - إلا ما ندر - سياسات «حمام». الأمر الذي أغرى - ولا يزال يغري - الإسرائيليين بمزيد استهتار بقرارات الأمم المتحدة المتعلقة بفلسطين، وبمزيد اقتحام للواقع السياسي العربي الرخو، وبأن يرسموا لهذا الواقع ما يشاؤون من سيناريوهات أو من خطط قريبة وبعيدة، دون أن يحسبوا لأية قوة حسابا ..» (العجلوني: مسلمون وصهاينة وأمريكان: واقع وأصداء، ص ١٧٣).

رحم الله الأستاذ إبراهيم العجلوني الذي حمل همّ الأمة وسعى في إصلاحها بقلمه وفكره.

إبراهيم العجلوني

بحثاً عن أفق

زياد الزعبي

ثقافات / ديسمبر ١٢ / ٢٠٢٢

أيا إبراهيم لم نملاً من سلاف دوالينا الكؤوس، كلما امتلأت عبها المحتالون والمنافقون والحمقى والحواة اللصوص، هدنا يا إبراهيم غناؤنا العذب للسواقي ويبسنا عطشا، فهل مصادفة أن تكون أولى ألكانك - تقاسيم على الجراح - مثقلة بالشيج، وغارقة في الدمع، وباحثة عن فجر جديد كلما أن له أن ييزغ امتد الليل، وترنح الزمان، والأفق يردد لحن أغنيتك:

«يا مهيرتي يا محجلة وأنت جميلة مدللة»

يا مهيرتي عمري انقضى

والحب في شرح الشباب

ظمان يرويه اليباب

وها أنت يا إبراهيم ما زلت تعزف على «مزامير الحزن»:

«والليل وأشواق تمتد/ وسراب يملأ باب الغد وأنا أدعو/ أدعو/ ودعائي يهرب منه

الرد».

وحيما نلتقي محققين فينا نكتشف «أنا نقف مع اليأس جنباً لجنب» باحثين عن الأمل والحب في زمن الغيلان، فتغمرنا الأمنيات «يا ليتنا طفلان يلهوان يعبان بالزمان يعدوان

في المدى ويسخران بالردى»، لكون من نسل «طائر المستحيل» بدائين بريين، يستعبدنا الحب، ويغرسنا في سهل حوران أو على أطراف مؤتة زهرتي سوسن، شجرتي زيتون، ودحونتين قانيتين تتجددان كل ربيع.

مر غدنا من ألف عام، لم نلتق بالرؤى الندية، ولم ندخل قصور الحلم، كنا نقاتل من أجل عالم جميل، وأمان بيض، وأرض تخضر تحت مطر حروفنا العاشقة، كنا سهاما مريشة بالحب والأحلام والغضب النبيل، كنا باحثين عنا وعن وطن فينا ترفرف فيه رايات القانون والعدالة والحرية، كان سلاحنا الحب والعقل، لم تكن في أيدينا فضة يهودا ولا خنجر برتوس، وكانت سيوف معاوية أحد من حق علي، وخديعة عمرو أبلغ من صدق الأشعري. أيا إبراهيم، موقن أنا بأنك غرست في تراب الوطن ترانيمك وأفكارك، ولغاتك، وأنك نسغ حياة يتجدد على مر الزمان.

في لقائي الأخير بك كنت تحدثني بروح فيشته ولغته الذي يرى أن الألم هو الذي يمنح الإنسان طاقة الحياة ويفجر قواه، وأن تألم الإنسان هو الذي يمنحه صفته الإنسانية الحقة، وأن معاناة الألم بصبر وتأمل توصل إلى ما يسمى السرور النابع من أعماق الألم. أدرك يا إبراهيم أنك لم تكن تتفلسف، بل كنت تحدد في تجاربك الشخصية، وفي وقائع عمر عشته وتعيشه مؤمنا بالفكر والمعرفة، ومطاردا سراب أمنيات عصبية على التحقيق، تجاربك المثقلة بالمكابدات والضنى والحب والشقاء، كنت أسمع وأتأمل ويلح علي هاجس أن لعنة المعرفة تجلب كل هذا، وأن التفكير في سياقات أطر تنفيه وتسخر منه وتقصي نماذجه - فعل يؤدي دون ريب إلى غربة روح وتيه عمر يلوب بحثا عن أفق يتسع لأفقه، كما فعل صديقنا أبو حيان الذي أثرى زمنه وأثرانا بفكر ومعرفة لم تعرف الحدود، وأثقله ذلك العصر بالبؤس والحرمان، وفجر غضبه الحارق ذلك الذي كان يمكن أن يحرمنا لذات المثاقفة بكل ما فيها من الإمتاع والمؤانسة، وحال بيننا وبين مقابساته وبصائره وذخائره .

إنها بنية عصر تداخلت فيه اللغات والثقافات والأعراق، عصر انقلبت موازينه، فشالت كفة الذين يعلمون، ورجحت كفة من لا يعلمون، وتاه فيه المفكرون والشعراء العظماء في دهاليز الكوافير والنواطير، وانتهوا ضحايا على أيدي الفتاك والشطار والعيارين، فغدا أبو

حيان التوحيدى غريب اليد والوجه واللسان فى عصر استجبلت فىه السفوح، وتنمر السفهاء، وسادت الفهاهة والسفاهة. هذا ما نعانىه يا إبراهيم، ونحلم بأن نتحرك إلى أفقنا المرسوم بقوة الفكر وجموح الخيال الذى يمكننا من التعالى على بؤس الواقع وبشاعته وقسوته وخداعه فى سبيل أن «نكون ذات يوم ما نريد».

إبراهيم، ها قد تأملت الدنيا الدنية بعين بصيرتك، وعزفت عن طينها بكل إرادتك، واستصغرت شأنها قدر علو همتك، فعلوت حرا فى زمن عسر الحرية وتيهها. لك المحبة والتقدير.

رافعو الأردن في ذمة الله

الدكتور زيد احمد المحيسن

قدمت قوم وماتت مكارمهم

وعاش قوم وهم في الناس أموات

رحل أبو سلطان، وأبو فاطمة، وغاب عن مشهد الحياة بصمت، وانطوت صفحة جسده، لكن آثاره وعلمه وفكره المبعوث فينا وكافة من عرفه وعمل معه ما زال حيا شاهدا على عظمة هذا الرجل، لقد جسد إبراهيم العجلوني في الوطن حالة كبار الكتاب والأدباء في الوطن العربي، حتى أطلق البعض عليه عقاد الأردن، ورافعي الأردن، الذي عمل على إحياء تراث الأمة العربية والاسلامية من خلال كتبه ومقالاته ومحاضراته في عصر التغريب والتحلل الخلقي والقيمي والعقدي. فالعجلوني قامه وطنية وعروبية وإسلامية بامتياز، جسدها بوضوح تام من خلال انتمائه إلى دينه وقضايا أمته؛ ليس عبر اسمه المجرد، بل عبر مسيرة حياته الحافلة بالعطاء الفكري والفلسفي والشعري والنثري، وبقي وفاقاً لقيمه ولمبادئه التي آمن بها وعكسها في ما يكتبه قولاً وفعلاً جلياً في وضوح النهار، لم يهادن أو يداهن أو ينافق، بل بقي سديانة صلبة ذات جذور عميقة، عصية على الترويض في زمن - القلة والذلة والكحل الأسود وقحط الرجال، عاش كريماً عزيز النفس، وسما بأخلاقه فوق المناصب والمواقع وقباب الجامعات، وترك لنا إرثاً فكرياً كبيراً نتسلح به أمام العاديات الفكرية والثقافية لقادم الأيام، لقد بقي مداد قلمه على مدى سني عمره المديد يجهر بكلمة الحق التي تحمل أنفة الرجولة وأخلاق الفرسان وعزة النفس، لم يتلون ولم يتبدل، بقي وفاقاً لشرف وطهر الكلمة ورسالة الكاتب والأديب والصحفي الملتزم بقيم الأمة وتراثها العربي الإسلامي النقي، باعثاً في الأجيال روح النهضة ومبشراً بفجر جديد قادم نحو معارج

الرقبي والازدهار، كان صاحب مشروع تنويري فكري وقيمي وأخلاقي ينم عن سعة اطلاع
وموسوعي التفكير والطموح مؤذناً بالأمة بأن الفجر آت ولو بعد حين ... فتم قرير العين
أخي أبا سلطان واترك الوجع والنضال لنا فقد -وفيت وكفيت-، فلنا في فراق الأحبة دائماً
وجع لا يزول وألم لا ينتهي، ولروحك الطاهرة الرحمة والمغفرة والفردوس الأعلى. ولا
نقول أخيراً إلا ما يرضى الله إنا لله وانا اليه راجعون .

إبراهيم العجلوني

(المقدسي)

سمير اليوسف

رحلت يا صديقي دون كلمة وداع.. رحلت حاملاً معك قلقك أن تموت دون أن تكون
قد تمثّلت كل جماليات ومعارف ثقافة أمتنا الهائلة..

رحلت يا رائد صناع الثقافة في الأردن على مدى أكثر من نصف قرن..

رحلت أيها الانسان والمفكر والفيلسوف والشاعر والروائي والناقد تاركاً فراغاً كبيراً في
الساحة الأدبية الأردنية والعربية والإسلامية..

رحلت أيها الصديق الوفي الذي مهما حاولت أن أتكلم عنه سوف أكون عاجزاً عن ذلك...

رحلت يا عاشق الأمة.. عاشق الوطن... عاشق القرآن... عاشق القدس.. يا مقدسي..

رحلت أيها الموسوعة الثقافية.. القارئ النهم... الهادئ... المبتسم رغم قساوة الحياة
التي عشتها..

رحلت أيها القامة الفكرية والأدبية السامقة.. رحلت حزيناً لواقعنا.. متألماً لما وصلنا
إليه من الانكسار؛ بعد أن كان لأمتنا السبق في جميع المجالات العلمية والفكرية والفلسفية
والأدبية؛ وقد كنت تردد دائماً: «نحن السباقون في جميع الحقول..»

رحلت قبل أن يتحقق حلمك في إنجاز مشاريعك الثقافية؛ مشروعك الأول إعادة طباعة
سبعة إصدارات في مجلد واحد تحت عنوان «وطن وأمة» - كتابات نتركها للتاريخ -، وقد
كتبته مقدمة هذا المجلد حيث قلت:

«يتضمن هذا المجلد سبعة إصدارات، كانت قد توالى بحسب تواريخها ما بين عامي ١٩٩١م و٢٠٠٤م وهي كتابات أملتها وقائع تاريخية ذات أثر بالغ في بلدنا وسائر بلاد العرب والمسلمين، وإن في إعادة نشرها مجتمعة تحت عنوان «وطن وأمة» ودون أية إضافة أو حذف أو اختصار، على ما فيها من آراء وأحكام قد يكون للكاتب فيها مُستأنفٌ نظر، لدليلاً على استمرار ما يستشعره الكاتب من المسؤولية المعرفية والأخلاقية عن مُشتملاتها، مع توكيد أنها كتابات متروكة للتاريخ وموازينه الخافضة الرافعة، فهو وحده الكفيل بتنخلها وتبين صوابها من خطئها، وبالله وحده التوفيق».

هذه الإصدارات هي: يوميات عراقية ١٩٩١م، هموم أردنية، في المسألة الديمقراطية، نحو حوار معقول ١٩٩٢م، فلسفة التاريخ والهوية الحضارية ٢٠٠٢م، والعقل والدولة ٢٠٠٤م.

أما مشروعك الثاني فهو طباعة كتابك «في الأدب والنقد» (من حصاد السنين) قبل وفاتك، لكن القدر كان أعجل منك؛ حين ساق خطاك إلى الرحيل، رحمك الله.. وكنت قد كتبت أيضاً مقدمته حيث تقول:

«منذ كتابي الأول «نظرات في الواقع الثقافي الأردني» الصادر عام ١٩٧٩م، ومروراً بكتبي المتلاحقة: «نحن وثقافة المستقبل» و«هموم أردنية» و«العقل والدولة»، ثم انتهاء بهذا الكتاب؛ تمتد أربعة عقود من الزمن كنا خلالها في همٍّ مُقيم من واقع الثقافة في بلدنا العربي الأمين هذا وجميع بلاد العرب والمسلمين، ولقد توافر حصاد كبير من ذلك لا تعدو الصفحات التالية أن تكون إضاءة لجوانب منه أحببنا أن يطّلع عليها أبناء أمتنا، تذكرة واعتباراً، وأن يكون بمشهد مما تصدر عنه وتعود إليه، آمليْن أن يكون في ذلك ما ينفع ويُمْتع في آن، وما نرجو أن يكون ممّا لا يُخسِرُهُ الميزان يوم لا ينفع مالٌ ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم». نرجو الله أن تكون ممّن أتى الله بقلب سليم يا أبا سلطان.

رحلت قبل أن تحقق حلمك في إعادة طباعة أعداد «مجلة المواقف» أسوة بمجلات أخرى تمت طباعتها..

رحلت قبل أن تنجز مشروعك في إصدار مجلة أدبية فكرية علمية تهتم بأمر الأمة العربية والإسلامية.

عرفتك قبل أكثر من عشر سنوات ؛ إذ نشأت بيننا علاقة شخصية وصدافة متينة وتواصل شبه يومي سواء أكان ذلك باللقاءات أم بالمهاتفة.

كان اللقاء الأخير قبل رحيلك بيومين في الثاني من كانون أول ٢٠٢٢ وهاتفتك في اليوم التالي ومع أنني رأيت فيك حينها بعض الوهن والتعب، لكنني لم يخطر ببالي أن هذا اللقاء هو اللقاء الأخير..

كنت يا أبا سلطان رحمك الله إنساناً طيباً حاملاً مشروعك الثقافي حول مستقبل هذه الأمة العربية والإسلامية، كنت رحمك الله عفيفاً متسلحاً بالكرامة وعزة النفس.

وكنت -رحمك الله- تدعو الجميع إلى عدم الانتحاء جانباً بعيداً عن هموم الناس والوطن فتقول: «في يقيني أن أحداً من الناس، ومهما غلبه ظنه أو غلبته أوهامه ليس بقادر على أن ينتحي جانباً بأفكاره وهو اجسه بعيداً عن هموم الناس والوطن والأمة، أو أن يأوي إلى كهفه الروحي».

قالوا في إبراهيم:

«من الواجب القول أن الأستاذ إبراهيم الذي عرفته وزاملته لأكثر من ربع قرن وجدته من الأشخاص الذين يضيئون الحياة بتواضعه وعزة نفسه وبما يملك من السماحة والنبيل والوفاء، كما عرفت فيه الإنسان الوفي غاية الوفاء لوطنه ودينه وأمته، فلقد سخر قلمه ولسانه لمصلحة وطنه وأمته والدفاع عن قضاياها والحرص على حرية الإنسان فيها وكرامته، كما وقف حياته وفكره للذود عن الإسلام وحراسة قلاعه من المغيرين عليه من أعدائه»

(الدكتور حسن حمّاد)

«إنه كاتب أديب، ومفكر حصيف، ملتزم بقضايا أمته وهمومها، مسكون بهاجس نهضتها ومشروعها النهضوي، ومنشغل بالسؤال الحضاري الكبير: كيف لهذه الأمة أن تستعيد عزتها ودورها الحضاري الذي عاشته ردهاً من الزمن غير قليل، قدمت خلاله للإنسانية دروساً في الأخلاق والتسامح والعدالة والتعايش الإيجابي بين أبنائها جميعاً؛ المخالفين في الدين،

والمختلفين في الأعراق والألوان والألسنة، بجانب دروس العمران البشري في جانبيه المادي والمعنوي».

(الدكتور عزمي طه السيد، مقدمة كتاب إسلام ومسلمون)

«لقد كان رحمه الله من المدافعين عن التراث العربي والإسلامي وكان يبحث عن كل مرجع يهتم بالتراث في دور النشر ولن يتردد في اقتناء ما يجده مهما كلفه ذلك من ثمن يقول الأستاذ محمود الكايد في تقديمه لكتاب العجلوني «في عبقرية البساطة: «أن إبراهيم العجلوني كاتب على درجة عالية من الثقافة العربية والإسلامية، ويطلّ من نافذة واسعة على مخزون التراث العربي من شعر ونثر وفكر وفلسفة، نلمس ذلك في مؤلفاته، وفي هذا المؤلف الذي هو بين أيدينا، ونراه واضحاً جلياً في مقالاته في «الرأي» وفي غيرها من الصحف والمجلات والدوريات. واذهب إلى أبعد من هذا فأقول ان إبراهيم العجلوني رجل فكر أو «مفكر»، بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى. وفوق ذلك ناقد وأديب، يتناول موضوعاته بأسلوب سلس رفيع، قلما نجد له نظيراً، امتلك اللغة العربية وتمكّن منها، لذا نجده يختار من المفردات أجزلها، ومن العبارات والمعاني أجملها».

(الأستاذ محمود الكايد - مقدمة كتاب في عبقرية البساطة)

أما الدكتور ماجد حرب في مقدمته لكتاب «نحن ومفكرو الغرب» فإنه يؤكد ما وصل إليه العجلوني من قناعة في تدبير التراث فيقول:

«لقد تبين لي، إذ كنت أباثُ الأستاذ ببعض المسائل الفلسفية، في فوارط الأيام ومواضي الشهور، أنّ الرجل وقف بالفحص والتمحيص على كثير من جهود سلفنا الفكرية والفلسفية، وأحاط بها علماً ودراية، ووازن بينها وبين مقولات فلاسفة الغرب، بأسلوب جمع عمق التبصر بقوة الحجّة ورشاقة الصوغ، فبسط رؤاه في عددٍ كبير من المقالات تجمعها، كما يقول/ وحدة الموضوع ووحدة الذات العارفة. حذق إبراهيم العجلوني أمرين شكلاً، معاً، حالته المعرفية: تدبّر التراث، وتمثّل الدرس الفلسفي، وفي الأمرين كليهما استعمل ذاته العارفة في ترسّم حالات تعالق هذا بذاك، ومن يطيل النظر في كتاب إبراهيم «وحي الآفاق»،

بأجزائه الثلاثة، فسيلوح له، من بعدُ، صدق هذا القول، وسيدرك حقاً معنى مقولة أبي حيان التوحيدي في «المقاسبات»: «الفلسفة لطائف العقل».

(الدكتور ماجد حرب-مقدمة كتاب نحن ومفكرو الغرب)

«أما غزارة المعنى فيما يكتب إبراهيم العجلوني فهي واضحة في مقالات هذا الكتاب وفي غيره من كتبه. فهو ينتقل في رحاب الدنيا الواسعة، لا يكاد يعرض للقارئ أمراً من أمور اليونان أو البابليين وأساطيرهم وعلمهم، حتى يسارع إلى أمر من أمور المسلمين في ماضيهم وحضارتهم ومناهجهم، ثم في أمور حاضرهم وما آل إليه هذا الحاضر وما يُرجى لهم ومنهم في مستقبل الأيام. وللحياة الفكرية في الأردن - وخاصة الحياة الثقافية الأدبية وافر من عنايته، توجه إليها بالتحليل حيناً وبالتنقد الموضوعي حيناً آخر وله في كل ذلك مشايعون وتلاميذ أصبح بعضهم من كتاب الصحف، ونأمل أن يواصلوا رسالة أستاذهم ليستقيم لهذه الحياة صراطها».

(الدكتور ناصر الدين الأسد، تصدير كتاب وحي الآفاق)

رحلت أيها المقدسي.

رحلت يا طيب المعشر

فإلى جنات الخلد يا صديقي

أقوال وشهادات في

إبراهيم العجلوني^(١)

بقلم : صالح البوريني

نحتفي اليوم بواحد من كبار مؤسسي هذه الرابطة ومن أبرز روادها، وبرجل من رجال الفكر وصناع الوعي ودعاة النهضة وحماة اللغة العربية والمدافعين عن تراث أمة العرب والمسلمين على مستوى الأردن والوطن العربي والإسلامي الكبير .. هو المرحوم بإذن الله تعالى الأستاذ الصحفي والمفكر الناقد والأديب الشاعر والكاتب الفيلسوف إبراهيم خليل العجلوني الذي وافته المنية يوم ٤-١٢-٢٠٢٢ عن (٧٤) أربعة وسبعين عاما ترك بعدها آثاراً جلية وأعمالاً عظيمة وسيرة كريمة يذكر بها بين أهله وأصدقائه ومحبيه داخل الأردن وخارجه.

حديثي عن إبراهيم هنا أيها السادة .. هو حديث الدال عليه، وليس حديث الباحث في سيرته وأعماله .. لأن البحث في سيرته وأعماله يحتاج إلى تفصيل كثير وجهد كبير بحجم حياته الحافلة وإنجازاته العظيمة وتركته المعرفية الزاخرة بالفكر والأدب والإبداع .. إنما أريد أن أشير إليه .. أن أوجه الأنظار إلى هذا العلم الراسخ والطود الشامخ والقامة السامقة .. لعلنا نعرف حجمه ونقدر مقامه.

ومما يدل على أقدار الناس معرفةً غاياتهم وأهدافهم؛ وقد كانت غاية إبراهيم أن تنهض أمته من كبوتها، وأن تصحو من سباتها، وأن تحقق نهضتها وظهورها . وقد استقر في ذهنه أن السبيل إلى ذلك هو الرجوعُ إلى ثوابتها، والتمسكُ بعقيدتها، وتطبيقُ مبادئ دينها وقيمها

(١) قدمت هذه الورقة للندوة التكريمية التي أقامتها رابطة الأدب الإسلامي للاحتفاء بالراحل الكبير الأستاذ إبراهيم العجلوني يوم ١١-٣-٢٠٢٣ في قاعة المكتبة الوطنية بعمان.

ومكارم أخلاقها، وإحياء تراثها، ودراسة تاريخها، وتمثل ثقافتها ؛ هذا التمثل الذي كان هاجسه الدائم .

في أولى صفحات كتاب (مرايا الحضور) الذي قام على إعداده وتقديمه الأخ الفاضل الأستاذ سمير اليوسف، وجمع فيه كثيراً جداً مما كُتب عن أعمال العجلوني من مقالات ودراسات ومقابلات وتقديمات لكتبه في أكثر من ٥٥٠ صفحة، في أولى صفحات هذا السفر النفيس .. كلماتُ خطها يراع الراحل الكبير يقول فيها: «عندي قلق دائم أن أموت دون أن أكون قد تمثلت كل جماليات ومعارف ثقافة أمتنا الهائلة». هذا القلق كان هاجسه الدائم، وإنه لهدف عظيم وغاية دونها خرط القتاد، ولكنه كان جادا في تحصيلها.

نعم أيها السادة والسيدات، اسمحوا لي أن أزعم أن إبراهيم العجلوني قد جسد نموذج الإنسان المثقف، الذي تفتقده ساحتنا الثقافية على المستوى المحلي والعربي والإسلامي، إلا في النادر النادر ممن صرفوا الهمة للقراءة، وأسرجوا قناديلها في مسالك الطلب ودروب التحصيل، وأفنوا أعمارهم في تقليب الكتب درسا وبحثا وتزودا بزااد العلم والمعرفة..

له طريقة في القراءة عجيبة، إنه يقرأ بعينه ويعيد القراءة بقلمه، وكأن الكتاب الذي يتناوله بالقراءة هو أحد مقررات الفصل الدراسي أو السنة الجامعية؛ فهو يقرأ وكأنه مقبل بعد القراءة على امتحان، فترى على الصفحة التي قرأها آثار قراءته خطوطا تحت الأسطر وأقواسا وحواسر هنا وهناك، وكتابات على الهوامش وتعليقات في أعلى أو أسفل الصفحة، وتصحيحاتٍ لأخطاء الطباعة أو الأخطاء النحوية أو سواها.

حقا إنه رجل التراث، وذاكرة التاريخ، وعبق الأمجاد، ونديم الذخائر التي جادت بها قرائح العلماء والعباقرة عبر قرون الحضارة العربية الإسلامية، لا ينفك يذكر أسماءهم، ويسمي مصنفاتهم، ويستشهد بأقوالهم وينشد من أشعارهم، في كتبه ومقالاته ومجالسه التي كانت تحفل بالجديد والمفيد، وتزين بالحكمة وجمال المنطق وحسن البيان وإصابة الغاية. كنتُ أستمع إليه أحيانا؛ فأرصد علامات الطريق في حديثه؛ فأرى لافتاتٍ تحمل أسماء رجال مجاهدين وقادة فتوح وخلفاء وأمراء ووزراء وعلماء وفقهاء وأصوليين ومحدثين وشعراء وأدباء وخطباء وكتاباً وفلاسفة من التاريخ.. وأقرأ بين فقرات كلامه أسماء مصنفاتٍ

وعناوين كتب ورسائل ودواوين كأنها كتبت في زماننا، ينقلنا إلى أجوائها ويقبس لنا من حكمها وفرائدها.

قلت إني سأشير إليه، فأعترذ إن قصرت في الإشارة، وحسبي أن أستشهد ببعض الأقوال التي تخدم هذه الغاية؛ فأقول:

ناصر الدين الأسد: يقول في تقديمه لكتاب (وحي الآفاق)^(١): «العجلوني صاحب أسلوب لا يخطئه القارئ بين ما يقرأ من أساليب، فهو صاحب المعنى الغزير في اللفظ الوجيز. وتلك هي البلاغة عند العرب كما وصفها صُحارُّ العبدى حين سأله معاوية بن أبي سفيان عن البلاغة عندهم (أي عند قبيلة عبد القيس وكانت مشهورة بها) وطلب منه مثالا فقال: (أن تقول فلا تخطئ وأن تجيب فلا تبطئ) أهو أسلوب افتقدناه وافتقدنا أصحابه منذ حين.. إلى أن بدأ إبراهيم العجلوني الكتابة فأحيا لنا في المقالة التي نشأ جيلنا في رحابها حين كنا تتنافس على قراءة ما كان يكتب أحمد الزيات وزكي مبارك وأحمد أمين وطه حسين والعقاد والرافعي والمنفلوطي وآخرون.. من أسادتنا في مصر.

الدكتور عزمي طه السيد: من تقديمه لكتاب (إسلام ومسلمون)^(٢)، يقول: «إنه كاتب أديب ومفكر حصيف ملتزم بقضايا أمته وهمومها، مسكون بها جس نهضتها ومشروعها النهضوي، ومنشغل بالسؤال الحضاري الكبير: كيف لهذه الأمة أن تستعيد عزتها ودورها الحضاري الذي عاشته ردحا من الزمن غير قليل؟».

كتاب الأسبوع: أ. د. أحمد نوفل^(٣) يقول: «إنما يعرف قدر الرجال الرجال، الأستاذ الدكتور أحمد نوفل يستهل برنامجه (كتاب الأسبوع) بكتاب الأستاذ إبراهيم العجلوني (إسلام ومسلمون).. يقول شيخ التفسير أحمد نوفل: «كتاب الأستاذ الفذ الذي أعطيه أربع شهادات دكتوراه على كتبه الرائعة، وعلى هذا الكتاب شهادة دكتوراه (بالراحة) لو كنا نقدر الرجال؛ لكن للأسف؛ إبراهيم العجلوني الذي ربما لم يسمع باسمه كثير من الناس، لو كان عند غيرنا لكان علما مشهورا كبيرا يشار إليه بالبنان ومذكورا اسمه في كل آن.. لا

(١) وحي الآفاق، ثلاثة مجلدات، إبراهيم العجلوني، أروقة للدراسات والنشر، الطبعة الأولى، ٢٠١٥ عمان.

(٢) إسلام ومسلمون، إبراهيم العجلوني، الطبعة الأولى، ٢٠١٨، عمان.

(٣) برنامج (كتاب الأسبوع)، قناة اليرموك، تقديم أ.د. أحمد نوفل.

يوجد في مستواه في العالم العربي أزعجهم، ربما تجد واحدا في مصر.. واحدا في الشام وهكذا.. أهو بهذا الوزن؟؟ نعم نعم، لن يكون كاتب جيد إلا إذا كان قارئاً جيداً، والعجلوني هضم ثقافات الفكر الفرنسي والإنكليزي والروسي والعربي، مع تمكن مكين من اللغة العربية؛ اللسان العظيم. وأستشهدُ بمقالة عن كتاب صدام الحضارات لصمويل هنتنغتون. في أميركا له طنة ورنه، يلخص الكتاب وفكرة الكتاب وهدف الكتاب في صفحة ونصف؛ وهكذا كل مقال ستجده تلخيصاً لكتاب، قرأه إبراهيم وهضمه وأخذ روح الكتاب وفكرته ولخصها في مقال صغير لا يتعدى الصفحة والنصف، وعنوان المقال هو: (حرب على الإسلام لا صدام حضارات)، ألخ ما قاله الدكتور نوفل.

حسني فريز: من مقال للأستاذ حسني فريز عن كتاب (نظرات في الواقع الثقافي الأردني) للعجلوني^(١): «الأستاذ إبراهيم العجلوني من رجال الفكر الجادين، وقد نزل إلى ميدان الفكر والأدب بعد أن طالت قامته، وثبتت خطوته، واشتد ساعده، واستحصده عزمه بمصاحبة أفذاذ التراث العربي والإسلامي القديم وعمالقة المحدثين. وهو على سبيل المثال من القلائد الذين حرثوا إنتاج العقاد، ولا أعرف له نظيراً في هذا الباب إلا أديب الأردن الكبير المرحوم عبد الحلیم عباس».

الدكتور زياد الزعبي: «إبراهيم: ها قد تأملت الدنيا الدنية بعين بصيرتك، وعزفت عن طينها بكل إرادتك، واستصغرت شأنها قدر علو همتك، فعلوت حراً في زمن عسر الحرية، لك المحبة والتقدير»^(٢).

خالد الساكت: «إن إبراهيم العجلوني ثروة ثقافية وثروة وطنية بما يتضمنان بالقوة من أخلاقيات وسلوكيات وكنوز عالية غالية وعميقة، ثم يقول: «ليصبح العجلوني وأسلوبه ولغته وأهدافه وغاياته كلا موحداً، لتبزغ شمس ساطعة ناطقة كشخصيته الطيبة الريفية النبيلة، وتبرز وتتميز «خصوصيته» وتكثُر «بصماته» وتعمق؛ في الكلمة والموقف والاتجاه

(١) صحيفة الرأي ٣٠-١١-٢٠١٠، والمقال منشور في كتاب مقالات حسني فريز للدكتور هاني العمدة، كتاب الشهر، وزارة الثقافة، ٢٠١٠.

(٢) صحيفة الرأي ٣٠-١١-٢٠١٩، مقال بعنوان «إبراهيم العجلوني بحثاً عن أفق»، وهو في كتاب مرايا الحضور ص ١٤٨.

والغاية الأسمى والتأثير المحرك»^(١).

الدكتور ماجد حرب: من تقديمه لكتاب (نحن ومفكرو الغرب): «لست أدفع أن يكون الأستاذ إبراهيم العجلوني واحدا من أهم مثقفي الأردن، ولست أدفع أيضا أن يكون حالة معرفية نادرة، استوى عندها النظر العقلاني واستحصدت فيها علائقه، حتى جرى بأمره رخاء حيث أصاب»^(٢).

الدكتور حسن جمعة حماد: في تقديمه لكتاب (دون مقام الرضا)، يقول: «إن إبراهيم خلال حركته في الحياة قد عرف كيف يتعالى على أزماتها بالصبر والرضى مهما تكن هذه الأزمات ولم تشغله عن هدفه السامي فاستطاع بكتبه التي زادت على الأربعين ومقالاته العديدة أن يعيد الاعتبار لمفهوم المثقف الموسوعي الذي يطل على الكثير من المعارف والعلوم والأفكار إطلالة الناقد المتبصر. إلى أن يقول: «كل ذلك يجعل منه في نهاية الأمر شاهدا أميناً على عصره»^(٣).

الدكتور نايف النوايسه: «إبراهيم العجلوني اسم كبير في زمننا الثقافي لا يمكن تجاوزه أو تخطيه، لأنه استطاع في ما ينيف على ثلاثين سنة أن يكون أباً ثقافياً، ولا يذكر اسمه إلا مقرونا بالأستاذ، وحقه أن يأخذ موقعا يستحقه بجدارة العالم والمفكر والحكيم، فهو بحق فيلسوف الأدباء في الأردن، ولا أظن أن أجد من يماري في هذا القول بعض المراء، لأن الرجل قدم للدراسة والنظر ما يستحق الوقفة الصادقة والقراءة الموضوعية المتدبرة»^(٤).

توفيق أبو الرب: «صاحب أسلوب مميز ينبع من نعمة نفسه وطريقة عقله في التفكير..» يتميز ب« غزارة الثقافة وتنوعها والحق أنه من الكتاب الأردنيين القلائل الذين يكادون ينقطعون في حياتهم للثقافة ويتوفرون على تحصيلها على اختلاف مناحيها ويخلصون لها

(١) مقال بعنوان «من أوراق خالد الساكت عن الصديق الأديب إبراهيم العجلوني» نشر في الأعمال الأدبية لخالد الساكت والتي قدم لها الروائي المصري الكبير سليمان فياض. وفي مرايا الحضور ص ١٤٢.

(٢) تقديم لكتاب إبراهيم العجلوني «نحن ومفكرو الغرب» بقلم الدكتور ماجد حرب مرايا الحضور سمير اليوسف ص ٣٢.

(٣) تقديم الدكتور حسن جمعة حماد لكتاب إبراهيم العجلوني «دون مقام الرضا»، مرايا الحضور سمير اليوسف ص ١٥.

(٤) مقال بعنوان: «فارس الكلمة العميقة»، مقال منشور في جريدة الرأي يوم ١٨-٨-٢٠٠٦م.

أنفسهم وعقولهم كل الإخلاص » ويذكر من صفاته: «الشغف بالحرية العقلية، والميل إلى الاستقلال الشديد في الرأي، والنفور كل النفور من التقليد في الموقف، ثم الإباء كل الإباء من أن تذله الوظيفة أو من استعلاء المسؤول وعنجهيته»^(١).

محمود الكايد: «إن إبراهيم العجلوني كاتب على درجة عالية من الثقافة العربية والإسلامية ويطل من نافذة واسعة على مخزون التراث العربي من شعر ونثر وفكر وفلسفة، نلمس ذلك في مؤلفاته، وفي هذا المؤلف الذي هو بين أيدينا، ونراه واضحاً جلياً في مقالاته في (الرأي) وفي غيرها من الصحف والمجلات والدوريات . وأذهب إلى أبعد من هذا فأقول إن إبراهيم العجلوني رجل فكر أو «مفكر» بكل ما تحمله هذه الكلمة من معنى . وفوق ذلك ناقد وأديب، يتناول موضوعاته بأسلوب سلس رفيع قلما نجد له نظيراً، امتلك اللغة العربية وتمكن منها؛ لذا نجده يختار من المفردات أجزلها ومن العبارات والمعاني أجملها»^(٢).

سامر المجالي: « ما جالست أستاذنا وعلامتنا إبراهيم العجلوني أبا سلطان إلا نالني منه ما ينال جليس الصالحين الذين وصفهم سيد الخلق محمد صلى الله عليه سلم في الحديث المتفق عليه قائلاً: (إنما مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحاً طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك أو تجد منه ريحاً منتنة)، فأنا الذي احتذى وابتاع ووجد أطيب ريح»^(٣).

رحمه الله، مات واقفاً، مرفوع الجبين، أبي النفس، موفور الكرامة، منصرفاً عن المتاع الزائل، غير آسف على فراق الدنيا، كان حتى ساعة الفراق، محتشداً بالهمة والعزيمة، متلفعاً برداء الصبر واليقين، نحسبه كان عامر القلب بالإيمان، مستسلماً لأقدار الله تعالى، راضياً بقضائه، كان — وهو يرمق خط النهاية مستشعراً قرب الوصول —، يتابع حركة الحياة، ويتفاعل مع مستجداتها، ويرمق الواقع بعين البصير المتأمل المحلل لظواهره ومتغيراته، ولا يتردد في القول ولا يتلجلج، مسكوناً بالانتماء لأمته، والانحياز لدينها وتراثها العريق وتاريخها المجيد .

(١) مقال منشور في جريدة الرأي يوم ٢٥-٩-١٩٩٢ م. وهو موجود في مرايا الحضور ص ١٢٠ .
(٢) تقديم كتاب إبراهيم العجلوني « في عبقرية البساطة » بقلم الأستاذ محمود الكايد، مرايا الحضور ص ٣٦ .

(٣) بائع المسك، مقال للأستاذ سامر حيدر المجالي، مرايا الحضور، ص ١٥١ .

إبراهيم العجلوني

المثقف المثال

د. صلاح جرّار

من الصعب أن تكتب شهادة مقتضبة عن رمز من رموز الثقافة العربية في الأردن مثل المرحوم إبراهيم العجلوني، لأنك لا تدري من أيّ بابٍ من أبواب الثقافة ستشرع في كتابتك، ولأنّ أيّ بابٍ من هذه الأبواب متى ذهبت إليه وولجت منه أوصلك إلى المرحوم أبي سلطان إبراهيم العجلوني، فهو في ميدان الشعر شاعر فذّ له لونه الخاص ومذاقه المتميّز، وفي النقد الأدبي ناقد له منهجه ورؤيته وموضوعيته وعمق قراءته للنصوص، وهو في الدراسات التراثية والفقهية والشرعية له نظره الثاقب وقراءاته الكاشفة، وهو في الفلسفة صاحب فكر فلسفيّ متمكّن، ولذلك جاءت أعماله في مجلّدات عديدة، وجاءت أعماله متنوعة، ويمكن وصفها بالموسوعيّة، وهو ينأى بنفسه عن الكتابات والأفكار كثيرة التداول والآراء المطروقة، بل يحرص على أن يكون ما يكتبه أو ينشره ممّا لا يخلو من جديد ولذلك فإنه يدهشك في كل ما يكتب، ويقدم ذلك كلّ بلغة عربيّة أخاذة ومأنوسة وبريّة من عسل اللحن.

ومع ما للمرحوم إبراهيم العجلوني من تنوّع في الإنتاج وعمق في الطرح وبلاغة في اللغة والأسلوب وجدّة في الفكرة، فقد امتاز أبو سلطان بخلق كريم وتواضع جمّ لافت واحترام لكلّ ذي صاحب فكر ورأي، فكانت ابتسامته لا تفارق وجهه الوضّاء، وكان حريصاً في كلّ حواراته على اختيار الألفاظ المهذّبة والعبارات الكريمة التي تهدي من حدّة المجادلين، وكان مؤدّباً في تنبيهه على أخطاء غيره.

ومما لا أنساه في بواكير صداقتي للمرحوم العجلوني أنه عندما كنّا نلتقي كنّا نعلم إلى أيّ كتاب فيه نصوص غير مشكولة ولا سيما النصوص القديمة، فكنا نأخذ في قراءتها قراءة

مضبوطة بالشكل الصحيح مستعينين بأحد معاجم اللغة، فنزيل بذلك بعض ما قد يكون علق في أذهاننا من أوهام الضبط غير الصحيح.

وما أجمل ما كان يدور في مجالسه من أحاديث الأدب والثقافة والتراث، وقد تشاركنا في غير مجلس من مجالس العلماء مثل مجلس المرحوم الدكتور ناصر الدين الأسد ومجلس المرحوم الدكتور محمود السمره.

وأما عن مواقفه وآرائه الفكرية فهي تنطلق من ثوابت وطنية وقومية ودينية وإنسانية لا يهادن فيها بل ينافح عنها بقلمه ولسانه.

لقد كان المرحوم الأستاذ الأديب والمفكر والمثقف الجذري إبراهيم العجلوني مثلاً للمثقف الحقيقي في اتساع معارفه وعمق رؤيته وموضوعية رأيه ومنهجه وتمثله لأخلاق العلماء والمفكرين وتواضعه لأهل العلم والمعرفة والفكر.

رحمه الله تعالى رحمة واسعة وجزاه عن عطائه وعلمه وجهوده خير الجزاء.

«إلى أخي الذي أشبهه ولا يشبهني»

بقلم : الإعلامي عامر الصمادي

كانت هذه هي عبارة الإهداء التي خطتها على أولى صفحات كتابي الأول الذي أصدرته عام ١٩٩٠ وأهديت نسخته الأولى إلى الراحل الكبير إبراهيم العجلوني، إبراهيم الذي كان يمثل بالنسبة لي نموذجا عربيا للمفكرين والفلاسفة والمثقفين وخير من يذكرنا بترائنا وكبار علماء أمتنا وكنت مع نفر غير قليل من أبناء جيلي نتابع مقالاته بصحيفة الرأي بشكل يومي ففيها اللغة السليمة والمعاني الكبيرة والاستشهاد بالتراث مع نظرة حداثية متقدمة تنطلق إلى عنان السماء لكنها متمسكة بجذورها العربية الإسلامية.

تعود بدايات معرفتي بأخي إبراهيم إلى منتصف السبعينيات من القرن الماضي حيث كنا نسكن نفس الحي ونصلي بنفس المسجد ونشارك نفس الهموم الأمر الذي قرب المسافات بيننا رغم أنه يكبرنا بحوالي سبعة عشر عاما فكنا نلتقي أنا وباسل رفايعه وفايز محمود وممدوح أبو دلهوم وإبراهيم العجلوني بشكل دائم في منزل أجدنا ونخوض نقاشات طويلة حول كثير من القضايا الثقافية ونتعرف على المذاهب الفلسفية من فايز محمود وآراء علماء المسلمين من إبراهيم ونستمع إلى آخر إبداعات باسل الشعرية فيما يقرأ علينا ممدوح شيئا من كتاباته، بينما أحدثهم أنا عن كبار الشعراء والأدباء الإنجليز ومن يكتبون بالإنجليزية حيث كنت أدرس الأدب الإنجليزي، ويومها ولدت فكرة ترجمة قصائد كبار الشعراء الإنجليز بحيث أتعاون وباسل الرفايعة عليها، أترجمها أنا ثم يعيد هو صياغتها شعرا ونشرنا عددا منها بالملحق الثقافي لجريدة الرأي. كان إبراهيم العجلوني -رحمه الله- قارئا لا يشق له غبار يمضي معظم وقته يتجول من كتاب إلى كتاب ومن مقال إلى آخر يقرأ بعلم في الفلسفة والتاريخ والعلوم والمعارف كافة ثم يتتقى موضوعا ما يستهويه ويغوص فيه إلى أبعد

الحدود، وكم كان يدهشني عندما يناقشني بالأدب العالمي فقد قرأ كل ما وقع تحت يديه من الأدب المترجم وكان يقول لي لو أنني أتقن الإنجليزية مثلك لما وسعتني الدنيا، وطلب مني أن أبحث عن كل جديد يصدر بالأدب الإنجليزي كي أترجمه للملحق الثقافي الذي كان يشرف عليه بجريدة الرأي فكنت من أوائل من ترجم عددا كبيرا من القصص القصيرة جدا short short story ونشرتها بالصحف والمجلات الأردنية والعربية. كان أبو سلطان -رحمه الله- مؤمنا إيمانا راسخا بهذه الأمة وثقافتها وحضارتها وأنها هي السبيل للارتقاء بها من جديد والوقوف بوجه حملات التغريب ويدعو لتمثل قيم الإسلام العليا ويحضنا دائما على استلهام التراث بكل شيء، ودفع ثمننا لمواقفه وآرائه والتزامه المبدئي واستبعد من كثير من المواقع والتجمعات الثقافية نظرا لجديته و«يمينيته» حسب تصنيف بعض الناس له. وأذكر هنا حادثة حصلت معي ذات يوم عندما كنت رئيسا لنادي الحوار والفكر في جامعة اليرموك وعضوا بالهيئة الإدارية للمنتدى الإنساني الأردني واتفقنا على الالتقاء بجريدة الرأي للذهاب بعدها إلى اجتماع مهم للمنتدى وبالفعل حضر عدد من الزملاء وبقي آخرون وأثناء الانتظار بحثت عن أخي إبراهيم وجلست بمكتبه مستفيدا من وقتي بمحاورته والنهل من فيض معرفته وعلمه بعد أن أبلغت زميلنا بالمنتدى -وهو كاتب صحفي ومستشار شهير جدا- أنني بمكتب إبراهيم إلى حين موعد مغادرتنا، لكن الوقت طال ولم ينبهني أحد فقامت لأبحث عن الزملاء فوجدتهم قد غادروا منذ مدة وتركوني خلفهم وعندما عاتبتم الزميل الصحفي الشهير على ذلك قال لي بالحرف (خلي العجلوني وأهل اليمين ينفعوك) فقد كان هو يساريا متطرفا يعتبر أمثال كاتبنا الكبير إبراهيم العجلوني خطرا عليه وعلى تياره .

تميز العجلوني بنظرته الفلسفية للحياة والواقع المرير الذي تعيشه الأمة بسبب سعة اطلاعه وتعمقه بقراءة تاريخها فكانت عباراته الموجزة وكلماته القليلة وسيلة للتعبير عن الواقع من زوايا لا ننظر نحن إليها حتى أثر أسلوبه بالتعبير بنا وأصبحنا نقلده في بعض عباراته، وأذكر هنا أنني التقيته ذات يوم وبادرتة بالسؤال :كيف حالك، فنظر إلي نظرة عميقة وقال «مش عارف » وعندما لاحظ استغرابي من الجواب تابع قائلا ومن منا يستطيع أن يعرف حاله هذه الأيام بكل تناقضاتها، وما زلت كلما تذكرت ذلك الجواب أعيد التفكير بحالي لعلي أعرف كيف حالي.

ومن تأثري بأسلوبه هذا أذكر أنني عندما أهديته نسخة من كتابي الثاني أنني كتبت إهداء له من عبارة واحدة تقول : «سبحان الذي رفعنا من كتابة الحجب إلى كتابة الكتب»، وبقي لفترات طويلة يذكرني بهذه الجملة كلما التقينا .

ولا بد لي هنا أن أسجل للتاريخ أن الفضل لعملي بالتلفزيون الأردني يعود لأخي إبراهيم ولذلك قصة يمكن إيجازها هنا، فقد عملت عندما تخرجت من الجامعة مديراً للعلاقات العامة لإحدى الشركات الأردنية التي تصنع وتبيع سلعة من سلع الرفاهية، وكان أصحاب تلك الشركة يحبون من يرطن بالإنجليزية، وأمضيت ما يزيد عن العام معهم ولم أكن مرتاحاً كثيراً لذلك رغم ما وفروه لي من إمكانيات لم أحصل عليها بعد خدمتي ما يزيد عن ثلاثين عاماً بالوظيفة الحكومية، وتصادف أن وزير الثقافة وقتها خالد الكركي شكل لجنة لإدارة المركز الثقافي الملكي مكونة من إبراهيم العجلوني وإياد القطان رحمهما الله والدكتور محمد عواد للنهوض بالعمل الثقافي، وذات يوم اجتمعت للجنة مع مدير التلفزيون الأردني لبحث سبل تفعيل البرامج الثقافية المقدمة على الشاشة برؤية شبابية حديثة فكان جواب المدير وقتها إنه لا يوجد في التلفزيون من الشباب من يستطيع القيام بذلك فاقترح العجلوني اسمي للتصدي لهذه المهمة وأقنعني بالتجربة ولو لفترة بسيطة وهكذا كان، وما زلت إلى اليوم .

كان إبراهيم شغوفاً بالحضارة العربية الإسلامية يسابق الزمن للاطلاع على كل ما أنتجته فيقضي الليالي الطوال معتزلاً بالناس وحتى عائلته ليقراً ويكتب ويبحث حتى أنه اتخذ شقة صغيرة تحت المنزل مقراً له ولمكتبته حتى لا يزعجه أحد وكلما التقينا كان يحدثنا عن آخر ما قرأه أو ما يخطط لكتابته، لكنه كان مسكوناً بهاجس العمر القصير غير الكافي للإحاطة بكل ما أنتجته الحضارة العربية الإسلامية من كنوز ودرر حتى قال مقولته المشهورة (عندي قلق دائم أن أموت دون أن أكون قد تمثلت كل جماليات ومعارف ثقافة أمتنا الهائلة). ورغم تفرغه للأدب والثقافة إلا أنه كان يحرص على ممارسة بعض أنواع الرياضة المنزلية التي تبقيه قادراً على مواجهة متطلبات الحياة اليومية وأذكر أنه تحدانا يوماً أنا وباسل الرفايعة بالقيام بتمرين الضغط (push up) ونحن أصغر منه سناً فتفوق علينا معاً.

ترك لنا إبراهيم العجلوني ما يزيد على اثنين وأربعين كتاباً توزعت بين الفلسفة والشعر والأعمال النقدية والمسرح والقصة والرواية والإعلام وغيرها وقدم له كبار الكتاب

والمثقفين الأردنيين والعرب أمثال الراحل الدكتور ناصر الدين الأسد وعزمي طه السيد
وسحبان خليفات وماجد حرب وغيرهم الكثير.

وكالعادة لم يحظَ العجلوني باهتمام الدولة الأردنية أثناء حياته رغم اعتراف القاصي
والداني له بعمق الثقافة وسعة الاطلاع والالتزام بالمبادئ، وكل ما نتمناه هو أن يحظى بشيء
من التكريم بعد رحيله فلا أقل من تسمية شارع أو إطلاق جائزة ثقافية باسمه. رحم الله أخي
إبراهيم الذي أشبهه ولا يشبهني.

إبراهيم العجلوني ..

«عبق الأدب الأردني»

د. عبد الكريم محسن أبو دلو

الدستور / الثلاثاء ٦ / ١٢ / ٢٠٢٢

رحل قبل يومين عن هذه الدنيا الفانية الأديب والمفكر الإنسان إبراهيم خليل العجلوني، وربما الكثير لم يعرف هذا الرجل، وهناك من يخبر أثره في الحياة الأدبية وفضله في المسيرة الثقافية والفكرية؛ الأردنية والعربية. فهذا قدر الكبار، تبدأ حياتهم بعدما يرحلون، وتشتهر سيرهم ومؤلفاتهم بعد الممات.

التقيت بهذا الإنسان الكبير ابن بلدي الصريح، مرّة واحدة، عندما زرته برفقة خالي المفضل سالم الطاهات في مكتبه برئاسة الجامعة الأردنية عام ١٩٥٥ في فترة القبولات الجامعية، وظلّ اسمه حاضراً بالعقل والوجدان. ولكن عرفته أكثر من خلال كتاباته العميقة، ومقالاته الجادة التي كانت تنزّين بها الرأي، كاتباً رصيناً وأديباً حصيفاً، ملتزماً بقضايانا العربية والإسلامية، وجزلاً بمفرداته وتراكيبه اللغوية. تذهلك حصافة الكلمة وتدهشك قوة الجملة، وتبقى هائماً في تفاسير المعاني وربط الأفكار وسبر غور المغازي. حتى العناوين والموضوعات التي كان ينتقيها، تدل على الفرادة والأصالة، وتطلب التفكيك والتحليل.

في زمن تمييع الكلمة وضياع الفكرة، وفي وقت يتصدر المشاهد الثقافية من لا يجيدون نظم الجمل دون المرور بأخطاء لغوية أو نحوية، ويسندون إلى أنفسهم ألقاب الأدب والشعر وفرسان الثقافة وبطولات التأليف، مع ما يعترتهم من فقر جليّ في التراكيب والكتابة والإلقاء وتهافت اللغة، نحن بأشد الحاجة إلى أدباء ومثقفين وفقهاء لغة.. بحجم إبراهيم العجلوني وبقيافة كتاباته ومثانة نصوصه وغازارة معرفته وعلومه.

نحن بحاجة إلى يراع بارع بالتحليل الفكري الأصيل وربط قضايانا التاريخية بعصرنا المليء بالوجع والألم، بعيداً عن شغف الشهرة البراقة والأضواء الخادعة، وإلى من يفسر أسباب التردّي والوهن بالمعرفة والثقافة التي تعلقّت بالشخصية العربية في زمن المعلومة الوفرة والبيانات الزخمة ووسائل بث العلوم المتاحة في كل فضاء رقمي.

إن إبراهيم العجلوني، بما تركه من إرث تألّفي وفلسفي متنوع ومشروع فكري وأدبي؛ يعتبر ظاهرة أردنية وعربية، تستحق التقدير وتبسيط الضوء البحثي والنقدي لذلك الإرث الكبير، حتى تبقى أعماله فاعلة على مسرح الحياة الأدبية وتظل منجزاته تشغل عقل الإنسان بالسؤال والإجابة.

كما يتلأأ الفضاء الأردني والفضاء العربي بالكثير من أعلام المعرفة في أصناف العلوم المختلفة، الذين يقدمون للإنسانية فكراً أصيلاً وابتكاراً متجدداً يعبر عن عبقرية العقل العربي المعرفي. ولكن تستحق هذه الأعلام الرعاية والتقدير، وتقديم هذه العقول إلى العالمية بما يليق بإنتاجاتها وابتكاراتها، حتى تجد الإنصاف والتكريم الحقيقي في حياتها، لا أن يبقى ذلك التكريم معلقاً إلى ما بعد الموت.

رحم الله إبراهيم العجلوني وجزاه خيراً عمّا قدّم من إرث فكري يخدم الإنسانية، وبارك بجهود كل إنسان مخلص بعمله وصادق بكلمته، لا يحيد عن جادة الحق ودرب الصواب في التأليف والكتابة والنشر والقول.

إبراهيم العجلوني...

مات واقفاً

بقلم: د. عبد الله عمر الخطيب
جامعة العلوم الإسلامية العالمية

(مَنْ الْمُؤْمِنِينَ رَجَالَ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ * فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ
وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا)

ثمة علامات فارقة في تاريخ الدول يخطها رجال من نوع خاص أو ثمة لحظات مضيئة تظل محفورة في الذاكرة ولا تبرحها وهنا تحديداً يصبح الفقد مؤلماً... وثقيلاً حين يكون لهؤلاء الذين ظلوا علامات مضيئة هادية في زمنهم ومشعة في أزمنة لاحقة.

بهدوء شديد رحل الأديب إبراهيم العجلوني الذي مات واقفاً، مات وهو يكتب، مات وهو يقرأ... كان يكرر في كثير من اللقاءات « أقرأ في اليوم مئة صفحة وأنا بنصف عين، فعين لا أرى فيها، والأخرى لا تبصر إلا بنسبة ٥٠ % » كانت حياته حياة راقية، عاشها بهدوء وغادرها بصمت. كان شاهداً على عصر تابع أحداثه عن قرب بعين المتابع، ساهم في صناعة المشهد الأدبي والنقدي والثقافي في الأردن على مدار نحو نصف قرن، وشارك في ملامح جذور الحراك الثقافي، ولكنه توقف فجأة وآثر الانزواء، بعد أن ضاق بالواقع، لم تساعده معطيات المجتمع الذي عاش فيه، لأنه مجتمع لا يتيح إلا النزر اليسير من المعارف والعلوم.

صدمني رحيلك المفاجئ فشلّ قلبي أيها النبيل في كل شيء حتى في موتك.... ترددت كثيراً، كيف أكتب مقالة عن رحيل العجلوني، الذي شاركته آخر ندوة أدبية كان فيها فارس

الكلمة، نعم، كان فارسا يقول بكل جرأة رأيه النقدي على منصة رابطة الأدب الإسلامي العالمية، مكتب الأردن الإقليمي في ندوة نقدية لمناقشة ديوان « في ارتقاب الشروق » للشاعر العراقي باسل نور الدين الرفاعي يوم السبت ٢٧ / ٨ / ٢٠٢٢ .

غادرتنا مثل كوكبة فرسان منتصرة، وحربك كانت حرب مبادئ، أنت الراجح بها مهما اختلفت الرؤية، لأنك الأصدق، والأوفى، والأكثر عطاءً، والأكثر إبداعاً، والأكثر زهداً والأكثر نقاء... .

أيها المبدع الموسوعي، لقد كنت كوة صدقٍ علت وسط ظلام الثقافة الغارقة بالتهريج واللاوطنية الضاجة بالأضواء المشوبة بالمصالح والزيغ... كنت تشعر بوجع وألم مما آل إليه المشهد الثقافي، تتحسر كثيراً، تصمت طويلاً... تسمع طويلاً... وتتكلم غزيراً عندما ترى الكلام من ذهب.. فكم كانت الثقافة التي أعطيتها روحك جاحدة معك!..

كنت ناقداً وروائياً ومفكراً وإنساناً زاهداً بالدنيا مصراً على كلمة الحق وإن كره الآخرون. كنت خلوقاً، جَمّ التواضع، حسن التعامل، عالي الاطلاع والثقافة، هادئ الطباع، دائم البشاشة والابتسام، كنت نعم الصديق والرفيق، دائم السؤال والاتصال والزيارة لمن تربطك بهم علاقة زمالة وود وصدافة.

لم تفكر بذاتك في زمن كثر به السراق والمنتفعون وتعالى به اللهاث وراء المنافع والمباهج ..

أخبرنا رحيلك السريع أنك جزعت من الحياة الملوثة التي لا تنتمي لك أيها الناصع، اخترت الشمس حياةً أخرى، محقُّ أنت فالنور وحده شبيهك، وشبيهه روحك العذبة.

أيها الشاعر الأديب والقامة العربية؛ سنفتقد لغتك وفكرك وشعرك وإنسانيتك، وأنت الذي تركت تراثاً وافراً من الرواية والقصة والمقالة والنقد والفكر..

رحمك الله... مع النبيين والصديقين والشهداء، وحسن أولئك رفيقاً...

إبراهيم العجلوني

قائمة أدبية وثقافية

علي القيسي

الكتابة عن قائمة أدبية وثقافية ليس بالأمر لسهل، فالكاتب مهما كان مبدعا ومثقفا ذلك لا يعني أن يستطيع الكتابة عن قائمة سامقة مثل الأديب الأريب إبراهيم العجلوني الذي غادرنا ورحل عن هذه الدنيا الفانية والتي كان الأديب الزاهد العابد المفكر يدرك أن الزهد في الماديات وشؤون الحياة الأخرى هو من يجعل الكاتب رسول كلمة صادقة في زمن عز فيه الصدق والوفاء لرسالة الفكر والأدب، المفكر العربي الاسلامي إبراهيم العجلوني لم يكن كاتباً عادياً ولا أديباً طارئاً فهو العالم النحرير في كل مسيرته الأدبية والثقافية، كان مثلاً وانموذجاً فريداً في أفكاره واعماله الأدبية، كتب النثر والشعر والقصة والرواية والنقد، وكتب عن عمالقة الأدب في الماضي والحاضر وكان الرجل منصفاً وناقداً حقيقياً لا يجامل ولا يهادن ولا يفاوض على الحقيقة التي يؤمن بها في فرز اللي من السمين، بضميره الحياة وحسن العميق في احترام اللغة أصولها وقواعدها، فاللغة العربية هي لغة مقدسة ينبغي احترامها ولا يجوز اهمالها وتشويه صورتها الجميلة، فكان إبراهيم يعتز بلغته العربية ويدافع عنها دفاع الأبطال، ولا يسمح لأي إنسان أن يقلل من قيمة اللغة العربية في الكتابة أو حتى في الحديث والارتجال، الشاعر إبراهيم كان مخلصاً لشعره واوزانه وقوافيه ولم يكن يدعي أمام الناس والمثقفين أنه شاعر مطبوع أو من الشعراء الفحول رغم أنه شاعر كبير وله في الشعر مؤلفات كما له في النثر ولكنه لم يعلن أو يتبجح وينظم الأسميات الشعرية الاعلامية والأضواء واللقاءات والتكريمات والشهادات والدروع لأنه يدرك أن الساحة باتت في يد الروبيضات ومدعي الثقافة والأدب والشعر، وأنصاف المثقفين والأدباء كان الرجل ملتزماً

ومحترما لذاته ولا يظهر للشهرة واستجداء التصفيق من المنافقين،، يكتب ويؤلف الكتب في صمت،، ثم يعلن في الصحف عن منجز وكتاب جديد قد تم طباعته حتى يعلم الناس عن اصداراته الجديدة دون تهويل اعلامي أو دعائي، كان العجلوني مخلصا لأدبه وفكره ومعتقده،، لم يقبل فكرة عصرنة الأدب العربي ومواكبة صحاح التجديد، رغم أنه كان يؤمن بربط الأصالة مع المعاصرة في حدود المنطق والجوهر وأن لانبني ثقافة أجنبية على أنقاض ثقافتنا العربية،، كان الرجل حاسما في مواضيع كثيرة،، لاتقبل القسمة على اثنين، وهذا ماجعل البعض من التنويريين المزعومين أن يقفوا في طريقه للنيل من صلابته واستقامته وأصالته، فكان كالطود الشامخ (يا جبل ما يهزك ريح).. واخيرا فالحديث عن العلامة ابراهيم العجلوني يطول ولا يمكن في هذا المقال والمقام أن نوفيه حقه ونتكلم عن كل شخصيته الانسانية ومناقبه الاصيلة وأدبه الجم .

« إبراهيم العجلوني..... »

« ذلك القمر الذي غاب »

د. عمر القيام

(كل معرفة لا تؤدي إلى باب الله فهي باطل) .

كانت هذه العبارة هي العبارة الأولى التي قرأتها للأديب الأردني إبراهيم خليل العجلوني (١٩٤٨||٢٠٢٢) الذي غادر هذه الأرض الفانية في مطلع هذا الشهر تاركا وراءه غصة حزن في قلوب أحبابه ومريديه، ودمعة وفاء على ذكره الطيبة التي تجلى فيها قمرا منيرا في سماء الأردن الحبيب، ونقش اسمه على صخرة التاريخ الأدبي في سفّر الخالدين من أبناء الأردن الذين تجذرت عروقهم في تراب الوطن مثل جبال الشوبك وزيتون الشمال .

منذ أن قرأت تلك العبارة اللامعة الجلييلة قبل أكثر من خمسة وثلاثين عاما التمعت محبة إبراهيم العجلوني في قلبي، وغدوت قارئاً لكل ما يكتبه هذا القلم الرشيق البليغ، وأصبح عموده الثابت « أفق » في صحيفة الرأي الأردنية الزاهرة زادا يومياً أتذوقه بعناية واهتمام، فإبراهيم لم يكن كاتباً صحفياً يغترف من نهر اللغة الصحفية، بل هو أديب متمكن من ناصية البيان الرفيع، وهو امتداد أصيل للرافعي ومحمود محمد شاكر والزيات وناصر الدين الأسد وكانت له محبة خاصة في العقاد وزكي مبارك رحمهم الله جميعاً، فكان إبراهيم صاحب شخصية أدبية يمتزج عنده عمق الفكرة بروعة البيان الأدبي، وها هي مقالاته وكتبه الغزيرة شاهد صدق على مكانته المتفردة بين رجالات البيان العربي رحمه الله وأجزل مثوبته .

في بلدة الصريح الغافية في حوض سهل حوران الرحيب تفتحت عينا إبراهيم، ويبدو أنه انتقل مبكراً إلى العاصمة عمان، وانخرط في مسيرة متعثرة سريعة التحول على المستوى الوظيفي تذكرنا بمسيرة عرار وحبيب الزبيدي ومن هو على شاكتهما من الشعراء الذين

يمارسون الحرية في كل شيء، وإبراهيم شاعر لامع العبارة، وديوانه « تقاسيم على الجرح » ١٩٦٨ هو من بواكير تجلياته في سماء الأدب الأردني، لكن نزعتة النقدية وشغفه بعلوم الفلسفة القديمة والحديثة استبدت بقلبه وجعلته أكثر اهتماما بالقضايا الثقافية والنقدية والفلسفية حيث حقق حضورا رائعا داخل الثقافة الأردنية والعربية بسبب عمق تفكيره وأصالته النقدية وموقفه المبدئي من قضايا الأمة المصيرية .

في منتصف التسعينيات من القرن الماضي، وحين كنت منخرطا في إعداد أطروحة ماجستير عن جهود أستاذ العربية الأكبر في هذا العصر محمود محمد شاكر في جامعة اليرموك، تعرفت الى إبراهيم العجلوني رحمه الله، واتصلت بأسبابه بأسبابه، وكانت نشوته عظيمة حين علم باختياري لهذا الموضوع الباهظ التكلفة، وبعد مناقشة الأطروحة عام ١٩٩٦ استقبلها إبراهيم بقلبه قبل عقله، وكتب عنها ونوّه بها، وظل شديد الاحترام لها حتى بعد حصولي على الدكتوراة وصدور كتابي « أدبية النص القرآني » حيث قال لي بالحرف الواحد : إن أطروحتك في الماجستير خير من أطروحة الدكتوراه « وتقبلت ذلك لأنني كنت أعلم أنه يتكلم عن بصيرة، ثم فتح لي الباب واسعا رحمه الله لأكون أحد الكُتّاب في الملحق الثقافي في جريدة الرأي الرصينة، فكان له عليّ أعظم الفضل بعد فضل الله تعالى، ولن أنسى ما حييت نبهه وحسن أخلاقه في رعاية جميع الأفلام والمواهب الطالعة من الأطراف والزاحفة بأقلامها إلى أضواء العاصمة، وهو رحمه الله الذي تلقى تجربة حبيب الزيوودي في ديوانه الرائع » طواف المغني » وكتب له مقدمة مثل عطر الخزامى المُقطّر، فتحت الباب لكل من جاء بعد إبراهيم وحاول إضاءة تجربة حبيب الزيوودي الشعرية المبدعة .

كان إبراهيم قارئاً متميزاً للتراث والفكر الحديث، وكان له عناية ملحوظة بعلم أصول الفقه ولا سيما عند إمام الحرمين الجويني (ت ٤٧٨ هجرية) من الأشاعرة، والقاضي عبد الجبار الهمداني (ت ٤٣٢ هجرية) من المعتزلة، فضلا عن عناية حثيثة بالتراث الفلسفي الذي تجلّى في مدرسة بغداد في عصرها الزاهر، لكن ذلك لم يكن حائلا بينه وبين مشكلات العصر الثقافية، فأحيا فينا سيرة العقاد والرافعي وغيرهما، وكان مدافعا عنيدا عن حقائق الدين الكبرى وثوابت الثقافة العربية الإسلامية، منخرطا ببسالة في تبديد كل ما يستطيع تبديده من الشبهات التي تندلق عليها بين الحين والآخر .

كان إبراهيم العجلوني رحمه الله يمتلك مكتبة فاخرة قد صنعها على عينه، وذات يوم قال في جلسة حميمة في بيته العامر في عمان : أمنيّتي أن أصطفي من هذه المكتبة مئة كتاب، ثم أصطفي من المئة نصفها، ثم لا أزال أصطفي وأصطفي حتى يكون كتاب الله تعالى هو الكتاب الأوحّد الذي يستنير به القلب، وتبتهج به الروح .

وكان إبراهيم العجلوني عفيفا لم تختطف بصيرته الأضواء الخادعة ولا المناصب الفارغة بل ظل فارسا مرابطا على ثغر الثقافة ومحاميا عنيدا عن حوزة الأمة، وغادر هذه الدنيا وهو يجسّد أروع تجسيد ذلك الإنشاد العالي البديع لحبيب اليهودي حيث يقول :

ويا ولدي جعتُ ولكن ما مددت يدي

وطأطأ غيري

وما قلت للخبز يا سيّدي .

فغمّس إذا جعتَ بالإبء رغيفك

ونمّ مع وحوش البراري

ولا تجعل الذل يوما مضيفك .

لكنّ أبا سلطان أدركه التعب، ولحقه من غبار السنين ما يثقل الكاهل، فغادر هذه الأرض التي أحبها، وأسلم الروح على تراها، وترانيم الحزن تودّعه بهذا النشيد المهيّب الذي يلخص الحكاية كلها في هذه الكلمات من خلال هذه الأبيات الرائعة التي يستلهم فيها حبيب اليهودي إيقاع سورة مريم وحضور زكريا الجليل :

ويا زكريا

أوصيك بالحقل يا زكريا

وإن شحّ غيث السماء فكن يا بنيّ سخيا

وأوصيك بالأرض

فهي العباءة تستر عُريك

ولو ألبسوك من الخزّ زياً .
ويا زكريا
سيأتي على الناس زمان
يكون فيه القبض على الأرض
كالقبض على الجمر
فأقبض عليه
فسوف يصير الجمر في يديك
زهراً ندياً،
وأغفى
وما كان في عمره والياً
أولياً
ولكنه عاش في نبض هذا التراب
على جوعه أردنيا
وأسلمه روحه أردنيا
سلام على دمه حين مات
سلام على وجهه حين يبعث حيّاً .

العجلوني الذي افتقده الجميع

الدكتور غالب الفريجات

كان لرحيل المفكر والأديب إبراهيم العجلوني خسارة كبيرة لعالم الفكر والأدب، فقد رقد هذا الرجل الكبير المكتبة العربية بكثير من المؤلفات القيمة في ميدان الفكر والأدب، أذكر منها على سبيل المثال :

- اللاحوار مع السادة الامريكان

- شعر وشعراء

- كتب وشخصيات

- الكتابيون في ظلال الإسلام

- العقل والدولة

- تقاسيم على الجراح

- طائر المستحيل

- من مفكرة رجل يحتضر

- فصول من النقد

- وحينما نلتقي

- في الفلسفة والخطاب القرآني

- إضاءات في حوار الآخر واحترام الذات

لقد فقد الأردن قامة فكرية وأدبية عز نظيرها وصعب تعويضها، فقد كان رحمه الله إنسانا خلوقا دمثا، اللقاء به كان مكسبا كبيرا لمن يتجاذب معه الحديث، فقد عرفته وجها لوجه في مكتب الرفيق المرحوم إلياس فركوح في دار أزمه في العام ٢٠١٠، وعندما تعارفنا فاجأني أنت صاحب مخطوطة ثقافة البحث العلمي فاستغربت كيف عرفت ذلك؟، قال أعطيت لي لتقييمها من قبل الدائرة الثقافية في أمانة عمان أيام كان المرحوم الصديق عبدالله رضوان مديرا لها، قال سألت عبد الله لماذا صاحب هذه المخطوطة يطلب دعم جزئي لطباعتها، فأجابني عبد الله هذا الدكتور غالب لا ينتظر الدور الذي يأخذ وقتا لينال الدعم الكامل، فهو يستعجل الدعم الجزئي الذي لا يدفعه للانتظار، وبعدها توطلدت العلاقة بيننا، وقد كتب مقالة عني في جريدة الرأي تضامنا معي لحرمانني من العمل، وإشادة في مواقفي وإنتاجي، وفي المدة الأخيرة كنت ألتقيه في ندوات الوسطية إذ كنت أحضر ندواتها، وكان يشتغل مستشارا لها حتى أيامه الأخيرة.

كان رحمة الله عليه من الرجال الذين يعضون على النواجذ في التمسك بمواقفهم، ومن الرجال الذين يموتون واقفين في وطن آل على نفس مسؤوليه إلا أن يحاربوا قامات الوطن، واهمين أن في مقدورهم تغييب صورة هذا الوطن الجميل لاستهداف أبنائه الطيبين.

إبراهيم العجلوني؛ هذا الفتى العروبي الإسلامي كان يرى في نهضة هذه الأمة الممتدة من الخليج العربي حتى المحيط الأطلسي أنها أمة صنعت المجد وشقت نهرا في عالم الحضارة الإنسانية على الأرض، وهي قادرة على إعادة المجد الحضاري الذي صنعه بالأمس أيا كانت العقبات التي تعترض طريق مسيرتها وبناء نموذجها العظيم.

العجلوني طيب المعشر ودمت الخلق، وهو محاور بهدوء، مقنع بسلاسة أفكاره واستيعابه لثقافة الأمة وعمق إيمانه بأن نهضة الأمة من خلال وحدتها كانت ولا زالت الرد الفعلي والعملي على حالة التجزئة والتشرذم التي تعم الأمة، نظرا لما يمثله نهوض أمة بمواصفات الأمة العربية، ونظرا أيضا لما تزره به من تاريخ عظيم بنى مجداً حضارياً كان نموذجاً، فكانت رسالتها تشكل الخطر الأكبر على أعداء الإنسانية من إمبراليين وصهاينة وأصحاب مشاريع إقليمية.

كان العجلوني ضميراً حياً في المشهد الفكري والأدبي، وظل حتى أيامه الأخيرة وفيًا لنقائه والثبات على مواقفه، واصل الطريق الطويل بثبات وتماسك رغم ما كان يواجه من صعوبات وعراقيل في مسيرة حياته، لم يتزحزح عن مبادئه صادقاً مع نفسه ومع الآخرين.

عزأونا في رحيل العجلوني أبي سلطان أن تراثه الذي تركه ستنهل منه الأجيال، وتتزود من هذه الزوادة الثمينة من أجل بناء غد أفضل لأمتهم، وليس هناك أجمل هدية لأبناء هذه الأمة من عسارة فكر قامات أبنائها الذين أفنوا أعمارهم من أجل أن يقدموا هذا العطاء الإنساني لأمة إقرأ التي حباها الله بهذه الخاصية الثمينة، نعم هذه سنن الحياة يرحل عنها الكثير ممن كانت لهم مواقفهم وتضحياتهم، ولكنهم يتركون لنا إرثاً لن يموت وليكون نبراساً لنا الذين بقينا بعدهم وللأجيال القادمة التي لا بد وأن تتغذى بهذا الإرث الفكري وهذه المواقف النضالية.

رحمة الله عليك يا أبا سلطان وأسكنك فسيح جناته وألهمنا وأهله الصبر والسلوان.

إبراهيم العجلوني...

الإنسان والأديب والشاعر والمفكر

بقلم : م. غالب سليمان عبيدات

فهو إنسان قبل كل الألقاب، صاحب عاطفة جياشة في حبه لأبنائه وأهله وأصدقائه ووطنه، فهو يبذل الغالي والنفيس في سبيل إسعادهم حتى على حساب احتياجاته الذاتية، فهو كريم معطاء لدرجة أن يغني غيره ويفقر نفسه، فهذه الصفة لا تكون إلا في المؤمن الحقيقي الذي يؤثر على نفسه ولو كان به خصاصة.

إبراهيم العجلوني صديق صدوق، صادق في صحبته لأصدقائه، مغرم دائما بلقائهم، يشتاق إليهم كلما طال غيابهم عنه، مبادر للاتصال بهم للاطمئنان عن صحتهم وأحوالهم، صداقته روحية وليست مادية، فهو لا يأبه بالمال ولا يسعى إليه الا ما يكفي بقاءه على قيد الحياة، هو صديق من نوع مختلف من الصداقات فكأنه لا ينتمي إلى الواقع المادي الذي نعيش فيه.

عندما تصادق أديبا ومفكرا مثل إبراهيم العجلوني، فإنك تصادق نوعا مميزا من الناس تتأثر به وبحدِيثه، فالعلاقة معه تختلف عن أية علاقة مع أي صديق عادي، فهو لا يتحدث مع صديقه الأحاديث اليومية العادية وإنما يتحدث عن هم الأمة متجاوزا القطرية الضيقة، فهو عندما يتحدث ويكتب يتجاوز كل أنواع الحدود التي يعتبرها معيقة للفكر، ويعتبر أن الحرية هي الفضاء الواسع والرحب للتطوير والإبداع.

خسرنا برحيله أخوا كريما وصديقا محبوبا وكاتبا وأديبا أردنيا وعربيا ليس من السهل نسيانه، فمن يصادقه ويقرأ له ويسمع منه يشعر أنه أمام عملاق في الفكر والأدب قل نظيره هذه الأيام.

رحم الله إبراهيم العجلوني أبا سلطان، فعزأؤنا جميعا نحن أصدقاءه ومحبيه بالثروة العظيمة التي خلفها للأجيال اللاحقة من أبناء هذه الأمة من الفكر والأدب الذي سطره في عشرات الكتب التي سيضيء بها سفر الخالدين.

وداعاً أبا سلطان

غالب مدادحة

كان كبيراً في كل شيء، كان كبيراً في أفكاره وكبيراً في أسلوبه وكبيراً في اختيار كلماته وكبيراً في مجمل أدبه وثقافته وكبيراً في معتقداته وفي إيمانه وفي اختيار محيطه الصغير والكبير، بل حتى في تجاوزه للنائبات التي حلت به، ولم تتمكن من عزيمته وإرادته، فلم يمالء ولم يراء، على أنه رفع مفهوم الصداقة إلى منزلة سامية دونها المصالح والمكاسب، وكنت دونه عندما أتاني هو حاملاً أريحيته عارضاً علي أن يحتضن بدايتي الكتابية العلنية المنشورة، دون حاجتي لأن التمس منه ذلك، وهذا يشي بمقدار كبره أيضاً.

كتب فقال: «يجد القاريء في الفصل الأول من هذا الكتيب لوناً من الكتابة الطريفة التي هي مزيج من الذكريات والتعليقات، كما يجد أسلوباً سردياً لا يتسق لصاحبه على نهج حتى يختطفه منه اختطافاً في دروب من الإلماعات والإسترجاعات، ويخيل إلي أن هذا الفصل مؤهل لأن يكون جزءاً من رواية في أدب الرحلات، بل هو كذلك دون ريب، ولو امتلك الصديق غالب المدادحة وقته لأمكن له استكمال نص روائي خفيف الظل؛ يمكن إلحاقه بما كان كتبه عيسى الناعوري، -رحمه الله- وماجد ذيب غنما أطال الله عمره من أدب الرحلة وتفاكيه الأسفار، أما الفصل الثاني فيشي بالبعد الصحافي في تكوين الصديق غالب، ويمكن احتسابه على رغبة عميقة في الاحتراق بنيران هذه الحرفة الصعبة الجميلة، ويمكن القول أخيراً أن هذا الكتيب ممتلىء سخرية حلوة إلى ما فيه من معلومات وإشارات وإلى ما يتسم به من نزعة إنسانية واضحة، ومن روح نقدية ذكية».

هذه كانت تقدمته لكتاب صدر لي في مستهل نشاطي الكتابي منذ عقود.

وعلى الغلاف الداخلي لكتابه قطوف غير دانية في الفكر والفلسفة والاجتماع الصادر سنة ٢٠٢١ كتب لي الإهداء التالي: «إلى الأخ الحبيب الأستاذ غالب المدادحة مع خالص الاحترام». وفي ٥ تشرين ثاني ٢٠٢٢ أهداني كتابه «في الثقافة الأردنية الرؤية والواقع» كاتباً إلي: «الأستاذ غالب مدادحة إنسانا ومبدعا مع بالغ الاعتزاز».

وللحق فإنه من الصعب على من عرف هذا الأديب الأريب عن قرب أن ينساه؛ لما فيه من الخصال الجميلة والحميدة، ما ينطبع بالذاكرة فيلصق بها ناسخاً ما تقدم عليها من انطباعات موازية ومزاحمة، محتلا مساحة كبيرة من الذهن وشاغلا حيزاً من التفكير في الكيفية التي نظم بها هذا الكاتب أجدته الفكرية، متنقلا بين الإبداع والوفاء بحق الصداقات، والسعي في كسب الرزق والحضور الأدبي والعطاء الفكري، وهو الذي قدم حياته العامة على حياته الخاصة، فلا هو تكسب من قلمه، ولا هو ترك وقتاً لمراعاة مقدرته الصحية والجسدية فأضناه الإرهاق وأعيته متاعب الحياة، وترجل مخلفاً وراءه ذكرى عطرة وكلمات ستبقى في عقول الأجيال القادمة.

رحم الله الصديق الغالي إبراهيم العجلوني وأسكنه جنته مع الصديقين والأبرار.

الكاتب المفكر القومي الأردني

إبراهيم العجلوني

فوزان جمال الحوراني

رئيس ملتقى بيت مادبا الثقافي

إن رحيله يعتبر خسارة كبيرة على الأردن، والوطن العربيّ، لما يحمله هذا الإنسان من رمزية فكرية، مثقفة وعروبية، منتمية بحق للوطن والأمة والإنسانية، فقد قدّم كثيرا من العطاء الأدبيّ والفكري، والفلسفي المتميز والراقي، بسخاء مؤمنا وجادا وغيورا.

فقد ولد الفقيد الكبير إبراهيم العجلوني، في بلدة الصريح - إربد عام ألف وتسعمئة وثمانية وأربعين، ودرس الأدب العربي في جامعة بيروت، وتخرج في سنة ألف وتسعمئة وستة وسبعين، وعمل في عدة مجالات مختلفة منها الصحافة والإعلام، وفي الجامعة الأردنية، وجريدة الرأي، ووزارة الثقافة، وتعمّق في فكر المدارس التنويرية، واعتبر نفسه امتدادا لها بفكره وفلسفته وطروحاته.

له إصدارات عديدة ودواوين شعرية، وكتابات في الفكر القوميّ، وكثير من المقالات والدراسات، التي أغنت المكتبة الثقافية الوطنية والعربية.

آمن المفكر إبراهيم العجلوني بالمنهج التحرري للأمة العربية، وتحررها من القيود والانغلاق القائم على استيعاب حركة التاريخ العربي والإسلامي، فكرا وحضارة إنسانيّة، تسير بوتيرة الصعود والهبوط، ثم الصعود والعطاء المستمر عبر التاريخ، فنجد أنه طرح بفكره الحالة القومية والإيمانية الجامعة للأمة، عبر التاريخ بروح إنسانية مستلهمة من

روح رسالة الإسلام، وعزيمة روابط الأمة العربية، من الانتماء للأرض والشعور بالمصير المشترك، واللغة الواحدة، والاستلهام من ثورة الإسلام، لبعث روح الأمة من جديد، فنجدته اعتمد المنهج العلمي الجدلي التاريخي كفكر وطريق خلاص، وعزيمة نهوض للأمة، وقد تجاوز الأفكار والأيدولوجيا المثالية للذين قفزوا عن خصوصية قوميتنا العربية وتراثنا باعتمادهم على منهج علمي، جدلي فلسفي بحث، بفكرهم الأممي الخيالي، غير المستوعب حركة التاريخ وتراث الأمم، ومنها أمتنا العربية التي تحتاج إلى محددات ومرتكزات النهوض والبعث من جديد، من فكر تنويري حديث، معتمد على روح الإسلام كخيمة رحبة وواسعة، التي عمادها وحدة العرب وقوتهم وشخصيتهم، كأمناء على الحضارة والإنسانية جمعاء، لما يمتازون به من عطاء وقيم عظيمة، وراسخة في الوجدان، خالية من السيطرة الوحشية والقتل والدمار.

لقد سار المفكر القومي إبراهيم العجلوني، على طريق المفكرين التحررين في مدارس الرعيل الأوّل، متكاملًا معهم بالفكرة، والهدف والغاية تجاه الأمة، فقد استطاعوا أن يحددوا جميع التناقضات في الأمة، أمراضها وهمومها وعقباتها، وتحدياتها الداخلية والتهديدات الخارجية من أعداء الشعب العربي، فصاغوا فكريًا جامعا تنويريا، ثوريا تحرريا، يمقت ويحارب التوقع والانغلاق، ويسرون بطريق الآمال الحيّة، الوثائق المنشودة، ويواجهون التشرذم والضياع والتهديدات، من المستعمرين القدامى والجدد، فيعتبر الراحل العجلوني الصورة الأدبية والفكرية العربية الأصيلة الجميلة، والواعية والشاملة الملمّة بحقيقة رسالة الأمة العربية، عبر التاريخ بجمالها وابداعها، وهو يعتبر امتداداً فكرياً متميزاً مع المفكرين القوميين التحرريين، التي أنجبتهم الأمة وأخلصوا لها وبذلوا الأرواح في سبيل رفعتها ومجدها، وقدموا أرواحهم قرابين فداء على امتداد ساحات الوطن العربي.

كان المرحوم مدركا بوعيه وفكره دور مكوّنات الأمة كافة في النهوض، حيث اعتبر أن أبناء الأمة المسيحيين العرب هم نصف مسلمين، بثقافتهم العربية الإسلامية، وهذا يناظر ويساوي مفهوم أن الأمة العربية تحلق بجناحين، الدين الإسلامي والمسيحي، عندما ندرك حقيقة العروبة ومحبتها لنتقي ونحلّق، ونتقدّم ونتجاوز الأمراض الطائفية، بين المكوّنات، علينا أن نقطع الطريق على المتآمرين، وأعوانهم ونواجه التحديات وأقطاب الصراع الدولي، ومع

الطامعين والهجمات الاستعمارية الشرسة متعددة الوجوه، إن المرحوم أدرك وأعطى موقفًا واضحًا تجاه الهجمة الشرسة على الشعب والوطن العراقي، وغاية أهدافه في إجهاض المشروع القومي التحرري، الذي أعده لخدمة الأمة ورفعتها وقد امتلك الرؤية والمنطق الحضاري، والفكر العروبي، بفلسفة متميزة حيّة، بقيمها الجميلة والأصيلة، لم نشهد لها مثيلاً، منذ رحلت قامات عروبية عرفها بعد احتلال العراق، وكنت أتساءل لماذا هذا التأمل والإيمان الحيّ يتواصلان، بعد أن دمرت أعمدة النهوض في الأمة؟! وتشردت الأفكار، وانحرفت البوصلة، وشوّهت القيم للأمة، وزادت الجراحات، وتعمقت في فلسطين والجسد العربي؟ فاحتلال بغداد على يد هولاء العصر، والحقاقد من الشرق والغرب، قد أضعف وتيرة النضال بتداخل الخنادق، وخلط الأوراق، لكن حدد الفقيد إيمانه، بمفهوم أن قدر الأمة أن تكبو، وتستكين فترة وتنهض ولن تموت، كيف يموت جيل وفكرة في أمة قدرها الحياة والإيمان برسالة أجيال خالدة؟!!

قد نختلف ونتفق معه بفلسفته، وفكره وبآلية النهوض، ومعادلة التحليل والعلاج، لكن لا شك أنه يشكل حالة ضرورية، متقدمة جدا لما يحمله من فكر تنويري، يجب أن يتجاوز ويتعدى حدود الوطن الأردني، إلى سماء الوطن العربي والإنسانية جمعاء.

لروح الفقيد الأديب والمفكر القومي الرحمة والسلام.

إبراهيم العجلوني

(أيقونة أردنية)

بقلم الأديب فوزي الخطبا

إبراهيم العجلوني قامه فكرية وأدبية كبيرة لها الحضور الأبهى في مسيرة الحركة الأدبية الأردنية بخاصة والحركة الأدبية العربية عامة، كان مسكوناً بهاجس العدالة والتنوير وكرامة الإنسان، إسلامي المعتقد عروبي النزعة إنساني الهوى، يجمع في كتاباته العميقة والرصينة بين العروبة والإسلام، يكتب من عمق الفكرة، ومن أزاهير القول، ومن أعالي كتف الكلام، يصير دائماً (إن الفهم قبل التهاور، والرؤية قبل الموقف، والوعي قبل الحركة، والتنوير قبل التغيير).

صاحب مشروع نهضوي كبير أثرى المكتبة العربية بمؤلفات لها وزن وقيمة، تجاوزت عن الأربعين كتاباً من مختلف حقول المعرفة والفكر والأدب في الشعر والقصة والرواية والدراسات النقدية والفلسفية.

قرأ التراث العربي بعمق ورؤية ممتدة وبقلب مفتوح وبعين مبصرة، عمل في الثقافة والإعلام والجامعة والإذاعة الأردنية فكان مديراً لتحرير مجلة أفكار ثم رئيساً للقسم الثقافي في الإذاعة الأردنية، وموظفاً في الخطوط الجوية السعودية، ورئيساً لقسم المطبوعات في الجامعة الأردنية، ثم رئيساً للقسم الثقافي في صحيفة الرأي الأردنية، ومؤسساً وصاحب إمتياز لمجلة المواقف، ومديراً للشؤون الثقافية في وزارة الثقافة، وأسس مع ثله من المثقفين مجلة الرائد الأسبوعية، ثم عمل في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية باحثاً، عمل في

مجمع اللغة العربية، ومستشاراً في وزارة التعليم العالي، وفي عام «١٩٨٩» نال جائزة الدولة التشجيعية عن كتابه القيم (فصول في الفكر العربي).

إن الصديق إبراهيم العجلوني مدرسة فكرية وأدبية مستقلة بذاتها بما يملك من قدرات وإبداعات ومواهب وإنجازات فهو الشاعر والروائي والقاص والصحفي اللامع والناقد الحصيف والباحث العميق وكاتب المقالة المتميزة.

صاحب مبدأ أصيل وعقيدة صلبة وثقافة عميقة، لا يجامل ولا يهادن في سبيل المبدأ والمعتقد والحق.

عرفته منذ أكثر من أربعين سنة منذ أن كنت طالباً في الجامعة الأردنية في أوائل الثمانينات من القرن العشرين، وأمتدت صداقتنا إلى الزمالة في وزارة الثقافة عندما كنت باحثاً فيها، ثم الالتقاء معه شبه يومي في بيت المفكر فايز محمود.

وكم من المرات خسرت الوظيفة وطلقتها عندما تتعارض مع مبدئه وتوجهاته، وأنا شخصياً حاولت أن أثنيه عن ذلك وكان يُصر باعتبار الوظيفة ليست هي كل شيء، ولا هي غاية المرام. المفكر إبراهيم العجلوني رجل استثنائي في المشهد الثقافي الأردني.

كان أبو سلطان مثقفاً كبيراً وقارئاً نهماً ومواكباً لأهم إصدارات المفكرين في العالم العربي قرأ لأساطين فلاسفة القدماء، يرى الكتاب رفيقاً له وأنيساً أينما حل وأرتحل في المكتب والبيت والسفر، يحدثك عن ما فيه من ثراء وغناء، بلغته الأسرة المتدفقة، لقد جمع في كتاباته بين الأصالة والمعاصرة، وفي شعره بين التراث الموروث في جزالته وعمقه وبين التجريب في صورته ورموزه ودلالاته الموحية وأنساقه الجمالية.

ينأى عن تقليد الآخرين في أساليبهم البيانية وله أسلوبه الخاص به، وأسلوبه يُرضي أصحاب الذوق الخاص والعام في آنٍ واحد، يكتب من داخل النص وحرائق الذاكرة وعمق الموضوع بعيداً عن التقييد والهوامش متكئاً على ثقافة عميقة.

فلسطين والقدس والأقصى والحواضر العربية الإسلامية حاضرة في شعره وأدبه، يرفع الهمم ويشحذ العزائم، معتزلاً بالإسلام رسالة وحضارة ورؤية، بدأ من الشعر ومرّاً في حقول

الرواية والقصة القصيرة والمسرح والنقد والدراسات، ووقف عند الفكر وعياً وتغييراً وتنويراً.

قدم العديد من الأدباء الشباب إلى المشهد الثقافي باحتضان وتشجيع وتعزيز إبداعاتهم المتعددة وكتب مقدمات ومقالات عنهم أصبحوا الآن في مسيرة الحركة الأدبية قامات أدبية يشار لهم بالبنان.

صاحب خلق رفيع وصفات متفردة نقي القلب لا يحقد ولا يحسد ولا يداهن ويكره الدجل الثقافي والسياسي، يقطر نبلاً وصدقاً في ما يقول ويكتب.

يتموضع مشروعه الثقافي الفكري حول ثلاث ركائز (البعد القومي / الفلسفة والخطاب القرآني / الديمقراطية والعدالة وكرامة الإنسان والحوار).

كتبه المتنوعة مثار إعجاب وتقدير للباحثين والدارسين بما تحمل من مضامين ثرية وغنية ولغة عالية في بنائها ومعانيها وصاحب فكرٍ واعٍ وأسلوبٍ مثقل بالفكر والوعي والعمق.

كان يحضر العديد من الأمسيات والندوات والمؤتمرات بتواضع العلامة الكبير يناقش ويحاور بلغة تأخذ العقول والقلوب والألباب تترك في النفس والقلب متعة وجمالاً وروعة ونشوة وكأنه يغرف من بحر عميق.

ونختم الحديث عن صديقي المفكر والأديب والإنسان المرحوم «إبراهيم خليل العجلوني» بهذه الأبيات التي يصف بها حالته في أصدق تعبير، كتبها قبل وفاته بأشهر قليلة، بعنوان «سؤال»:

أمان أيها الزمن

فإني فيك ممتحنُ

ولبي قلبٌ براهُ

الفقدُ لآهاتٍ مرتهنُ

فلا كهفٌ ألوذُ بهِ

ولا ركنٌ ولا وطنُ

تقاذفني القِفَارُ ضُحَىً
وتثقلُ خطوي الرسنُ
ولي نفسٌ تروم سنًا
وتحدو خطوها الفطنُ
فأني بالرضى يحظى
وأني باللظى قمنُ
سؤالٌ أستمحُ بهِ
جوابك أيها الزمن

ابراهيم العجلوني

فقيه الوطن والكلمة

د. فيصل غرايه

وُلد إبراهيم خليل إبراهيم العجلوني يوم ٩ سبتمبر ١٩٤٨ في بلدة الصّريح، وهي البلدة التي عرف أنها تخرج شباباً أفاضاً يتميزون في مسيرتهم التعليمية ومسيرتهم العملية كذلك، ويعرفون بالرأي والرأي المخلف، ومن أبرزهم عبد الرؤوف الروابدة وكامل العجلوني وعلي النعسان وعبد الرحمن العجلوني.. أنهى إبراهيم الثانوية العامة في كلية الحسين بعمّان سنة ١٩٦٦، وحصل على شهادة البكالوريوس في اللغة العربية وآدابها من جامعة بيروت العربية سنة ١٩٧٩.

ولم يتخذ إبراهيم من وظيفته مكاناً للجلوس على الكرسي المخصص له وأمام الطاولة التي تحمل اسمه عندما رأس القسم الثقافي في الإذاعة الأردنية ١٩٧٩، وعندما عين سكرتيراً للتحرير في مجلة أفكار التي تُصدرها وزارة الثقافة ١٩٧٦-١٩٧٩، وعندما تولّى رئاسة تحريرها ١٩٩٠، عندما عُيّن مديراً للشؤون الثقافية في الوزارة، إلى أن عمل في صحيفة الرأي اليومية محرراً ثقافياً ١٩٨٣-١٩٩٤، ثم كاتّب عمود يومي فيها بعنوان «أفق» منذ سنة ١٩٩٤، بالإضافة إلى عمله مستشاراً في وزارة التعليم العالي ١٩٩١-١٩٩٤، ومسؤولاً إعلامياً في رئاسة الجامعة الأردنية ١٩٩٤. ثم حقق استقلالته عندما أسس مجلة «المواقف» ورأس تحريرها ١٩٨٧.

نال إبراهيم جائزة الدولة التشجيعية (حقل الفكر العربي) عن كتابه فصول في الفكر العربي. من وزارة الثقافة، واحتفى الملتقى الحضاري الثقافي في قاعة بلدية الصريح، ٩ سبتمبر

- ٢٠١٦، بتكريمه، تقديراً لمنجزه الشعري والإبداعي والإعلامي والفكري ١٩٨٩ .
- من دواوينه الشعرية : حينما نلتقي، طائر المستحيل، وتقاسيم على الجراح
- أما إنتاجه النثري فمنه: من مفكرة رجل يحتضر، مسرحية وقصص، ٢٠٠٠. الوجوه،
رواية وقصص، دار الكرمل، عمّان، ١٩٨٦ .
- أحزان مسيحية، سيرة ذهنية وجدانية، ١٩٩٥ .
- ومن أعماله الأدبية: نظرات في الواقع الثقافي الأردني، دراسات، ١٩٧٩
- مسلّمات في ضوء التحقيق، دراسات، ١٩٨٢ .
- في الفلسفة والخطاب القرآني، دراسات، ١٩٨٤ .
- في الفكر القومي، دراسات، ١٩٨٥ .
- فصول في الفكر العربي، دراسات، دار الكرمل، عمّان، ١٩٨٨ .
- الرافضون، مواقف وخطابات، ١٩٨٩ .
- نحن وثقافة المستقبل، دراسات، ١٩٨٩ .
- يوميات عراقية، مقالات ١٩٩٠ .
- هموم أردنية، مقالات، ١٩٩١ .
- في المسألة الديمقراطية، دراسة، ١٩٩١ .
- نحو حوار معقول مع الأمريكان، ١٩٩١ .
- دفاعاً عن العقل، ١٩٩٢ .
- فسيفساء أردنية، شعر مترجم، د. ديتير جلادة، ١٩٩٣ .
- الوعي المتمرد، دراسات، ١٩٩٤ .
- في عبقرية البساطة: جولات في فكر جمعة حماد وأدبه، ١٩٩٥ .
- الشذرات،، الكتاب الأول والثاني، ١٩٩٥ .

- في مرآة الإسلام: فصول في الفكر والأدب، ١٩٩٩.

- الشذرات، الكتاب الثالث، ٢٠٠٠.

- رجال ومناهج، ٢٠٠١.

- اللاحوار مع السادة الأمريكان، ٢٠٠٤.

- شعر وشعراء، ٢٠٠٤.

- كتب وشخصيات، ٢٠٠٤.

- الكتائبون في ظلال الإسلام، ٢٠٠٤.

- العقل والدولة، ٢٠٠٤.

- إضاءات في حوار الآخر واحترام الذات ٢٠٠٧.

وعندما اهديته نسخة من كتابي «رؤية بعيدة لمستقبل واعد» خصني بمقالة .

ركز فيها على تحليل الأفكار وتوضيح الدلالات، وأشار فيه إلى أسلوب الفيلسوف المصري الراحل «زكي نجيب محمود»، وإن خالفه في منحاه العام مخالفة «المثالية الواقعية» للوضعية المنطقية، ودلل بالأفكار الهيجلية لخدمة رؤيته البعيدة (المتفائلة) للمستقبل الواعد، عربيا وعالميا، كما وظف الدكتور زكي نجيب محمود وضعية «فتجنشتاين» المنطقية لخدمة رؤيته في تجديد الفكر العربي. وكما كانت مقولة «قابلية التحقق» مقياسا لصحة الافكار عند الفيلسوف المصري، فقد كانت مقولة: «كل ما هو عقلي فهو واقعي وكل ما هو واقعي فهو عقلي»، وهو لا يعجب من تشابه الأسلوب والأداة بين القراءة الوضعية المنطقية للثنائيات التي غلبت على وعينا، مثل: الأصالة والمعاصرة، والتخلف والتقدم، والاستقلال والتبعية، والديمقراطية والاستبداد، وبين القراءة الجدلية السوسيولوجية لهذه الثنائيات.

وإذ جعل إبراهيم ذلك في نظره، فإنه يقارن «تعادلية» توفيق الحكيم بين المثالية الواقعية، ولا سيما لدى الحديث عن «المثقف» الذي يعلق بصره برسالة العقل النهائية، في مقابل «السياسي» الذي يعوّل على الواقع وممكناته.. فلقد نادى توفيق الحكيم بضرورة وجود مسافة بين «رجل الكلمة» أو رجل الفكر وبين «رجل الفعل» أو السياسي، تتيح لأولهما

أن يكون حراً في نقده الذي يعود بالخير على المجتمع والدولة. في معرض تتبعه للعلاقة بينهما من زاوية الإمكان والاستحالة، إذ يتقن السياسي «فن الممكن»، ويتقن المثقف «فن المستحيل»؛ ولا بد من أنموذج ثالث (ولتذكر هنا خطوات الجدل الهيجلي كما يقول إبراهيم) يتجاوز التناقض بينهما. فإن من شأن ممثلي الأنموذج الثالث أن ينادوا بالواقعية وأن يطالبوا «أصحاب الرأي والكلمة والاتجاه والموقف بأن يعدلوا من آرائهم ويجددوا في خطابهم بحيث يكون الرأي أكثر واقعية والكلمة أكثر موضوعية والموقف أكثر مراعاة للظروف. إنها «جدلية هادئة» واقعية متأنية لا راديكالية عاصفة. أو لنقل إنها جدلية تستشعر مسؤولية معرفية وأخلاقية وتمتع بنفس إصلاحياً فضلاً عن ورودها في سياق فكر نهضوي يريد للأمة أن تكون ذات حضور فاعل في العالم بما يتطلبه ذلك من قوة وهيبة تستمدّها «من ثقافتها وعراقتها مع الجهد الحثيث نحو الازدهار».

ولقد أيد إبراهيم العجلوني تلك الرؤية الجديدة لمستقبل واعد لأمتنا العربية التي تستند على أربعة أسئلة تشكل مفاتيح للنظر السوسيو ديناميكي وهي سؤال الذات وسؤال الآخر وسؤال الإبداع وسؤال الماضي. وتناول في الإجابة على هذه الأسئلة كتباً وأفكاراً وأطاريح كثيرة، أعمل فيها منهجه في التحليل وأقدم لنا فيه أنموذجاً من موضوعيته الهادئة.

علما بأن هذه الوقفة الكتابية لا تفي هذا الكاتب العميق المتوسع حقّه من القراءة والتحليل أفكل ما كتب يتضمن جوانب جديدة بالتأمل وبإعادة القراءة حيناً بعد حين.

وقد فاجأني ذات يوم بنظم شعري من إبداعه قال فيه:

ما كل قول فيصلا .. والقول هذا الفيصل

وثم في الناس نهى .. لكن هذا أكمل

والحق بين هنا .. وليس فيه مشكل

فأنعموا أنظاركم .. واستبصروا وأولوا

فللكلام مقصد .. يغيب عنه الغافل

وهاهنا صفو الحديث .. والبيان الأجل

ادعو الله عز وجل أن يتغمد فقيدنا إبراهيم العجلوني بواسع رحمته، ولقد كان إبراهيم
المفكر الكاتب المبدع معطاءً ومتفاعلاً وثرياً بالكلمة الرصينة والواضحة وبالفكرة العميقة
بعيدة الأفق وذات جدوى وفاعلية في إصلاح المجتمع وبناء الوطن.

إبراهيم العجلوني

نبراس العلم الساطع

م. محمد الصلاحات

لقد كان إبراهيم أطولَ باعا
وأبيضَ كفِّ ما اشترى أو باعا
جواداً كريمَ النفسِ ما خانَ صاحباً
ولا فوقَ وجهه الخيرَ حَطَّ قناعا
وقد كان للإسلام سيفاً مجرداً
يدافعُ عن مسرى النبيِّ دفاعا
أميراً سديدَ الرأيِ بالعلمِ والحجى
بكلِ بحورِ الفكرِ مدَّ شرعا
فتىً كان من قومٍ قُرومٍ جميعُهُم
يُلبُّونَ سُؤْلَ السائلينَ سِراعا
وأنتَ عميدُ القومِ تزهو وقد أتتْ
إليكِ جموعُ العالمينَ تباعا

مكانك في الأعلام في خير منزل
تفوقت علماً نافعاً وطباعاً
ستذكرك الأجيال دوماً فخورةً
فما ضعت حاشاً أن تكون مُضاعاً
عليك أبا سلطان ينبوع رحمة
فقد كنت في هذي الحياة شجاعاً
وقد كنت أستاذاً وفكراً ثاقباً
ونبراس علم ساطع وشعاعاً
وكنت لأهل العلم والفكر حجةً
وداعاً إمام العارفين وداعاً

أبو زيدون ١٥ / ٤ / ٢٠٢٣

سلاماً عليك يا ابراهيم!

د. محمد القواسمة

رحل عن عالمنا الشاعر والناقد وصاحب الفكر العربي الإسلامي إبراهيم العجلوني يوم الأحد ٤/١٢/٢٠٢٢ م. وكان فراقه مؤلماً (رحمه الله) ولم يكن فراقاً عادياً؛ لأنه كان قريباً من القلب والروح. لهذا فأنا أتذكره الآن، وليسمح لي القارئ أن تكون ذكراه من خلال علاقتي الشخصية والفكرية به.

تعرفت إلى المرحوم إبراهيم في ثمانينيات القرن الماضي عندما كان رئيس تحرير مجلة أفكار عام ١٩٩٠ م، ثم عندما كان مسؤولاً عن الملحق الثقافي بجريدة «الرأي» وكاتب عمود يومي فيها بعنوان «أفق». وفي هذه الأثناء كتبت مقالاً عن كتابه «في عبقرية البساطة: جولات في فكر جمعة حماد وأدبه» ١٩٩٥، وجعلت مقاله «كاتب حر كتابة حرة» الذي جاء في جريدة «الرأي» نموذجاً للمقالة الذاتية في كتابي «مقدمة في الكتابة العربية» وهو المقال الذي لم أزل أراه يمثل العجلوني في صفاته الفكرية، التي تمجد حرية الرأي وتدعو إلى حرية الأديب؛ فلا توجد كتابة حرة إلا بوجود كاتب متحرر من أي قيود تكبله: سياسية أو اقتصادية أو اجتماعية. وكانت زيارته لي عندما جاء وصديقنا المشترك سمير اليوسف ليهديانى الكتاب الذي جمع فيه اليوسف مجموعة من الدراسات والمقالات التي كتبت عنه تحت عنوان «إبراهيم العجلوني: مرايا الحضور» ٢٠٢٠، وكان أن تناولت الكتاب بمقالة في جريدة «الدستور» بعنوان «مرايا حضور العجلوني في ساحتنا الثقافية».

في زيارته تلك حدثني عن صديقنا المرحوم فايز محمود عندما التقاه في بيته في مدينة

المفروق، وذكرني بعبارة المرحوم فايز عندما كان يسأل عن حاله « شرم برم» وهي العبارة التي تظهر مدى القهر المادي والنفسي الذي كان يعتمل في نفس فايز محمود.

وزرته بعد تقاعده من الرأي في المنتدى العالمي للوسطية الذي عين فيه مستشاراً ثقافياً. وكان لقاءً خصباً وإنسانياً شكاً فيه إبراهيم من حالته الصحية ولكنه امتدح أمثاله من مواليد ١٩٤٨ مثلي ومثل الدكتور إبراهيم خليل بأنهم مجدودون في الثقافة والأدب والنقد. ربما ذكر ذلك لرفع المعنويات فقط.

لقد رحل إبراهيم عن عالمنا وخلف رحيله لدي ليس الحزن فحسب بل والندم أيضاً. ذلك أني أضعت الفرصة لرؤيته يوم الاثنين ٢١ / ١١ / ٢٠٢٢ م بسبب وعكة صحية ألمت بي، فقد اتصل بي سمير اليوسف ودعاني لحضور حفلة إشهار الأعمال الشعرية الكاملة للدكتور إبراهيم الكوفحي في مركز الحسين الثقافي، وقال إنه سيكون في الاحتفال ومعه الأستاذ إبراهيم العجلوني. لم أحضر، وكنت آمل أن يمرا بي، لكنهما لم يفعلوا، وحضر الموت بعد أقل من أسبوعين من ضياع تلك الفرصة.

وإذا كان هذا الفراق المفاجئ موجعاً، فلعل ما يخفف وطأة الألم التي خلفها فقدان إبراهيم الرجوع إلى ما ألفه من كتب فكرية وثقافية مثل: «اللاحوار مع السادة الأمريكان»، ٢٠٠٤. «شعر وشعراء»، ٢٠٠٤. «كتب وشخصيات»، ٢٠٠٤. «الكتايبون في ظلال الإسلام»، ٢٠٠٤. «العقل والدولة»، ٢٠٠٤ وغيرها. وقراءة ما أبدعه من مجموعات شعرية، مثل: « تقاسيم على الجراح»، ١٩٧٢ «حينما نلتقي، بالاشتراك»، ١٩٨٠ « طائر المستحيل»، ١٩٩٢.

ولعل أجمل ما قاله من شعر تجلى في قصيدته « جبل النار» التي تبعث في النفوس الأمل في الحياة، والتفاؤل بالنصر، وانجلاء الظلم والاحتلال. يقول في القصيدة:

غَنَّنِي يَا قَلْبَ الْحَنَانِ الْأَمَلُ

وَأَزْرَعِي يَا شَمْسُ وَجْهِي بِالْقَبْلِ

وَأَنْسُكِبُ يَا نُورَ فِي ذَاتِي هَوَى

لِلوَرُودِ الْحَمْرِ فِي ذَاكَ الْجَبَلِ

جبل النار وفي أكنافه
سقسق الطير بلحن مشتعل
واستفاق الفجر في آفاه
حين روى أرضه الدم الخضيل
واستثار النقع ذو البأس وما
هاب هولاً لا ولم يخش الأجل
وغدا الليل على تلك الربى
جافلاً يستاف من خمر الوجل
إزاء الموت لا نستطيع إلا القول: رحم الله إبراهيم العجلوني! كان أديباً حرّاً وإنساناً نبيلاً
قلّ مثيله في هذا الزمن. فرحمة ومغفرة تنزل على روحه.
وسلاماً عليك يا إبراهيم!

إبراهيم العجلوني

عضوا في الهيئة الإدارية لرابطة الكتاب الأردنيين

بقلم: محمد المشايخ

لم يكن من السهل على التيارات اليسارية في رابطة الكتاب الأردنيين أن تستدرج أديبا كبيرا من وزن إبراهيم العجلوني يحسب نفسه على التيار الإسلامي، لكي يُرشح نفسه لانتخاباتها، ومن ثم يصبح عضوا في هيئتها الإدارية، ويقف خصما للقوميين والماركسيين وللمنضوين في الفصائل والتنظيمات التي لا هم لها إلا وصول أعضائها إلى الهيئة الإدارية، ولذلك، دخلت تلك التيارات إليه من باين لتحاصره وتجبره على إطاعتها، الأولى تجيش كل أصدقاء وأحبة العجلوني في الرابطة لإقناعه بالترشح، يتقدمهم الأساتذة: خليل السواحري، سحبان خليفات، نايف النوايسة، محمود الزيودي، فايز محمود، حسني فريز، حسين جمعه، خالد الساكت، نايف ابو عبيد، عبد الله رضوان، بدر عبد الحق، محمد سمحان، وغيرهم، ثم الدخول له من باب أن رفيق دربه، وصديق عمره، والقريب منه فكريا ومعرفيا الدكتور خالد الكركي سيكون هو رئيس الرابطة، وفعلا نجحت هذه المساعي، ولضمان نجاحه في الانتخابات، حشد الأديب إبراهيم العجلوني كل أحبته من أعضاء الرابطة، والتفوا حوله في قاعة الرشيد بمجمع النقابات، وأوصلوه معززا مكرما إلى سدة الهيئة الإدارية هو وزملائه الذين رشحوا أنفسهم في تلك الدورة، وتم توزيع المهام بين الفائزين الهيئة الإدارية الثانية عشرة المنتخبة للعام ١٩٨٥-١٩٨٦ على النحو التالي:

١ د. خالد الكركي رئيساً

٢ فخري قعوار نائباً للرئيس

- ٣ بدر عبد الحق أميناً للسر وأميناً للشؤون المالية
- ٤ إبراهيم العجلوني أميناً للشؤون الخارجية وأميناً للثقافة والإعلام والنشر
- ٥ مؤنس الرزاز أميناً للشؤون الداخلية .
- ٦ حسني عايش عضواً
- ٧ إبراهيم العبسي عضواً
- ٨ سالم النحاس عضواً
- ٩ خليل السواحري عضواً
- ١٠ د. أحمد ماضي عضواً
- ١١ د. حسين جمعه عضواً

وبعد فوزه، تفرغ الأديب إبراهيم العجلوني للرابطة، وصار يجلس على شرفتها، منتظراً وصل الأحبة، الذين سرعان ما انضموا في اللجان الداخلية المساعدة للهيئة الإدارية، وبدأوا فعالياتهم التي كان من أبرزها:

- اعتبار الرابطة واحدة من النقابات المهنية، ومشاركتها في عضوية مجلس النقباء.
- دعم فرعي الرابطة في إربد والزرقاء، وتمكينهما من تنفيذ أنشطة توازي أو تعادل تلك التي تقام في الرابطة الأم في عمان.
- إقامة فعاليات مستحدثة لأول مرة على غرار مهرجان عرار الشعري السنوي الأول، والملتقى النقدي.
- قبول نخبة من الأدباء والكتاب المتميزين أعضاء في الرابطة منهم: د. اسعد عبد الرحمن، د. زليخة أبو ريشة، د. عبد الرحمن الكيالي، د. سلطان القسوس، د. منير حمارنه، د. مريم جبر، سلوى السعيد.
- طباعة عدد من الكتب المهمة، وبعضها تمت ترجمته من الأدب العالمي، ومنها الكتاب الذي ترجمه الأديب إسماعيل أبو البندورة عن ماركيز بعنوان (عيون الكلب الأزرق)

ولبانة والقمر(قصص للأطفال) للأديبة ليالي عبد الرحيم بدر، وديوان أسرار الرحلة للشاعر عمر أبو سالم.

- التعاون مع مؤسسة عبد الحميد شومان لتقديم عروض سينمائية جادة بشكل أسبوعي.
- استحداث جوائز سنوية مهمة، على غرار جائزة محمود سيف الدين الإيراني للقصة القصيرة التي فاز بها فيما بعد الأدباء: إبراهيم العبسي، فخري قعوار، خليل السواحري، محمود شقير، يوسف ضمرة، هاشم غرايبة، إلياس فركوح، جمال أبو حمدان، حزامه حبايب، عدي مدانات، رشاد أبو شاور وغيرهم، وجائزة الدكتور منيف الرزاز للدراسات والفكر والتي فاز بها الأساتذة: د. عبد الكريم غرايبة، د. أسعد عبد الرحمن، د. عبد الرحمن شقير، د. هشام غصيب، د. سهيلة الريماوي، د. ناصيف نصار، د. محمد جابر الأنصاري، د. محمد عابد الجابري.. كما تم الاستمرار في منح الجوائز التي كانت مقرة سابقا في الرابطة على غرار جائزة عرار الأدبية التي تحمل اسم الشاعر الأردني الراحل مصطفى وهبي التل (عرار) والتي فاز بها الأدباء: د. وليد سيف، سالم النحاس، فدوى طوقان، سعيد يوسف، عبد الرحيم عمر، إبراهيم نصرالله، عبد الوهاب البياتي، يوسف عبد العزيز، يوسف أبو لوز، حيدر محمود، ممدوح عدوان.
- واصلت الرابطة تمثيل نفسها على الصعيد العربي من خلال الأمانة العامة للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب، وعلى الصعيد العالمي من خلال اتحاد كتاب آسيا وإفريقيا، وعقدت الرابطة اتفاقية ثقافية مع اتحاد الكتاب السوفييت، وقد سافر أ.د. خالد الكركي رئيس الرابطة إلى موسكو لهذه الغاية، أما اتحادات الكتاب العربية، فقد عقدت الرابطة اتفاقيات ثقافية معها دونما سفر، وإنما من خلال التقاء رؤسائها وأمناء خارجيتها في اجتماعات المكتب الدائم للأمانة العامة للاتحاد العام للأدباء والكتاب العرب التي تنعقد كل ستة أشهر مرة.
- وبهمة الأديب إبراهيم العجلوني، وزملائه في الهيئة الإدارية، ولا سيما رئيس الرابطة (المستقل) أ.د. خالد الكركي، فقد اشتغلت الرابطة في الثقافة وفي السياسة، ولكن دون أن يطغى أي منهما على الآخر، ظل للرابطة موقفها الوطني، والسياسي، وظلت أنشطة الرابطة الثقافية اليومية مستمرة.

كانت شخصية العجلوني في تلك الحقبة قلقة نوعان ما، إذ من الصعب إرضاءه، لا بالموجود في أروقة الرابطة وأنشطتها النوعية، ولا بالموجود خارجها في مجمع النقابات المهنية وغيره من مؤسسات المجتمع المدني، فهو من الطامعين والمتطلعين دائماً للأفضل والأكمل والأجمل.

يضاف إلى ذلك، تلك العداوة التي كانت تظهر للملأ بين بعض التيارات، ولا سيما المصابة منها بالحدرد ومقاطعة الرابطة وأنشطتها إن لم تفز في الإنتخابات.

كما أن العلاقة بين الرابطة وبين الجانب الرسمي لم تكن على ما يرام، حتى إن وزارة الثقافة في أيام العجلوني لم تدفع مخصصاتها السنوية للرابطة، والتي كانت تبلغ ١٥٠٠ ديناراً، منها ٩٥٠ ديناراً أجرة مقر الرابطة، الأمر الذي يعني أن الرئيس وكل أعضاء الهيئة الإدارية للرابطة، سيبدلون جهوداً نوعية مع زملائهم ومع من يعرفون من اقتصاديي المملكة لتأمين أجرة المقر، وتغطية المصاريف اليومية المستجدة من ماء وكهرباء وتكاليف طباعة.. الخ، واستمر التوتر في العلاقة بين الرابطة وبين الجانب الرسمي للعام التالي من مغادرة العجلوني، حيث تم إغلاق الرابطة، وتصفيد بابها بالشمع الأحمر بتاريخ ١٧/٦/١٩٨٧، ومن ثم إقامة اتحاد الكتاب والأدباء الأردنيين بدلاً للرابطة.

النهضة الأخيرة للأديب إبراهيم العجلوني، والتي كنت ألاحظها عليه، في أثناء جلوسه على شرفة الرابطة في مقرها الأول الذي كان في شارع إبراهيم طوقان، رغبته في العثور على أي مُخبر لمحاورته، كان يعشق الحوار مع المخابرات، وظل ينتظرهم، لكن العام الذي شغل فيه عضوية الهيئة الإدارية مضى دون أن يعثر على ضالته في مقر الرابطة..

إبراهيم العجلوني

الحيُّ بِفكره

محمّد سلام جميعان

قليلون هم الذين ظلوا متمسكين بمبادئهم وحافظوا على جرأتهم في الحق ولم يعبأوا بما تحيطهم به الحياة من نكالٍ وآلامٍ يقابلونها برحابة صدر ورباطة جأش متمثلين قول الشاعر:

ومَنْ تكن الأوطانُ همّةً نَفْسِه فكلُّ الذي يَلقاهُ فيها مُحَبَّبٌ

هكذا كان إبراهيم العجلوني رحمه الله، فلم يتنازل عن سامي مبدئه وشريف معتقده بالرغم مما أقامت الحياة دونه من معاقل وأسوار، وظلّ طوال حياته ومسيرة قلمه حاملاً مشروع الفكري في نشدان النهضة العربية المفقودة، فانغمر في قضايا المجتمع والدولة والناس، يعمل في فضاء معتم أخرس، ولا يملُّ من استنهاض الوعي الكامن في الذات وفي الجماعة. هكذا أراه الآن في مشهد تأبينه وهو ما تشهد له آرائه ومواقفه التي أراها في أكثر من كتاب من كتبه الفكرية، غير مأسور إلى بواعث الإيديولوجيا الحزبية، صادعاً بضرورة الحوار وشروطه الموضوعية، وناعياً على الاستبداد السياسي استبداده، راسماً تبعات النهوض وعثراته، بنفسٍ رَضِيَّةٍ رحبة تجاه الذات والواقع.

فلم يكن انشغاله بالماضي إلا لاستعادة المستقبل الذي يرنو إليه. واللغة لديه جزءٌ من نسق الشخصية فنزعتة الإصلاحية كلُّ متكامل لا تنفصل فيه الأجزاء والأبعاد عن سياقاتها الكلية. فالنهضة عنده مرتبطة ببعدها الاجتماعي وفق النظرية النقدية الاجتماعية، والإصلاح مرتبط من جهة ثانية وضرورية بالبعد السياسي، وهو في خلاصة ذلك كله يُعوّل كثيراً على

اليقين الذاتي، بوصفه وعياً فردياً خارج الاستلاب والمواضعات التي استقرت عليها الخطابات المؤدّجة أو الحوزات الإقليمية، مبقياً على -سؤال الهوية- سؤالاً محورياً فيما يخصّ الوطني والقومي، فالتحرر الفردي كما كان يراه هو أساس تحرر المجتمع وهو اللبنة الأولى في الدولة الحرة، والمقصود من المجتمع هنا هو المجتمع الأردني، والدولة الحرة هي الدولة الأردنية -الأردن النموذج-.

ويحتلُّ سؤال العروبة والإسلام مكانةً عند العجلوني، فإذ يطرح فكرة الوسطية، فإنما لتبلغ الإجابة عن هذا السؤال مداها في فضّ الاشتباك بين الفضائل والنقائص، ولتجذير فكرة الهوية على نحو يتحقق في انبعاث الأمة وفعاليتها واستنهاض قدراتها في مواجهة الاستلاب الحضاري والسياسي أو الاستنامة إلى أُممية غير متكافئة كان يرى أن يكون العربي نفسه أولاً، وأن يكون العربي نفسه في كل حين، وأولى القضايا التي ينبغي للعربي أن يحسمها.

إنّ من تمام الوفاء لهذا العَلم الكبير يستدعي إعادة قراءة مشروعه الفكري في صورته المقارنة مع المشاريع العربية النهضوية، وفي صورته المقارنة مع المشاريع النهضوية المحلية، فإن رحل الشخص إلى دار الحق واليقين فإنّ الأفكار تبقى وتخلد. ولعلّ كلّ الذين خذلوه حيّاً يفون بحقّ فكر هذا الأديب والمفكر.

وسلامٌ على إبراهيم الذي نأى عن زخرف الحياة وأباطيلها، ومضى إلى ربّه بأكمل ما يكون من زُهد الزاهدين.

إبراهيم العجلوني

كما عرفته

بقلم : د. محمد ناجي عمارة

الصديق الأستاذ إبراهيم خليل العجلوني (رحمه الله) أديب ومفكر وكاتب صاحب موقف ورأي ورؤية. كان على ثقافة واسعة في اللغة العربية وآدابها وفي التراث العربي الإسلامي. كتب في مختلف مجالات الثقافة العربية الإسلامية وطرق العديد من مجالات الفكر والأدب والفلسفة والسياسة والاجتماع والتفت مبكراً إلى حوارات أتباع الأديان والعلاقة مع الآخر.

وأنا أكتب عنه هنا انطلاقاً من علاقة مودة وصدقة امتدت بيننا، لسنوات طويلة، حيث تعارفنا وتزاملنا منذ العام ١٩٦٨ م. وعملنا في الصحافة الأردنية الأسبوعية وكتبنا فيها. ومنها صحف: أخبار الأسبوع لصاحبها الراحل الصحفي الأستاذ عبد الحفيظ محمد والحوادث لصاحبها الأستاذ الصحفي محمد المسلمي وعمان المساء لصاحبها الأستاذ عرفات حجازي الذي انتخب غير مرة نقيباً للصحفيين الأردنيين. رحمهم الله جميعاً.

ولا شك أن حديثي عنه يمتزج فيه الذاتي بالموضوعي وقد جمعنا منذ ذلك الحين صحف يومية وأسبوعية ودوريات ثقافية عديدة منها جريدة الرأي منذ تأسيسها وبدايات صدورها عام ١٩٧١ وإلى وقت قريب من رحيله. وكان إبراهيم مشرفاً على صفحاتها الثقافية وملحقها الأسبوعي، ثم كاتباً أسبوعياً ويومياً فيها، بينما عملت أنا فيها مندوباً ومحرراً وسكرتيراً للتحرير ومديراً للتحرير لسنوات طويلة، ثم كاتب مقال أسبوعية ويومية منذ تأسيسها وإلى الآن.

وأيضاً مجلة «أفكار» الثقافية الدورية الصادرة عن وزارة الثقافة وقد تولى إبراهيم موقع سكرتير تحريرها ثم رئيس تحريرها غير مرة. وكنت أشغلت موقع رئيس تحريرها كذلك لنحو سنتين. وذلك إلى جانب عملي أميناً عاماً لوزارة الثقافة (١٩٩١ - ١٩٩٦).

وقد تقاسمت وإياه إصدار مجلة (المواقف) الثقافية الفكرية التي كانت شهرية لنحو سنتين، فتولى إبراهيم رئاسة التحرير فيها وشغلت موقع مدير تحريرها إلى أن توقفت لأسباب مادية، فلم نستطع الوفاء بتكاليفها.

لم يكن إبراهيم العجلوني رحمه الله يطيق الاستمرار في أي عمل إداري فسرعان ما يحتكم إلى عواطفه الجياشة فيترك العمل، لأسباب بسيطة وواهية في أكثر الأحيان. ولهذا فقد عمل لسنوات في شركة الخطوط الجوية السعودية ثم في دائرة الثقافة والفنون ثم في دائرة العلاقات الثقافية في الجامعة الأردنية، حيث ساهم في عقد المؤتمر الثقافي الوطني الأردني الأول والثاني، وفي «المجلة الثقافية» التي كانت تصدرها الجامعة. وعاد إلى العمل في «الرأي» وفي «الدستور» وفي وزارة الثقافة وفي مجلة «الرائد العربي». لكنه أبداً لم يستقر في عمل محدد لأكثر من بضع سنوات. وعمل لبعض الوقت في مؤسسة آل البيت، وغير ذلك من المواقع.

ومثلما أن إبراهيم لم يستقر على حال في أي عمل، فقد عانى لفترات عديدة من شظف العيش ومن التعطل. وهذا انعكس، بلا شك، على حياته الأسرية، كما أنه أثر على نتاجه الأدبي والفكري الذي توزع بين الشعر والنقد الأدبي والدراسات المعمقة في اللغة والفكر العربي الإسلامي بعامته.

كان العجلوني مثقفاً موسوعياً. وقد جعل من مصطفى صادق الرافعي وعباس محمود العقاد والدكتور طه حسين قدوة له في ابتداء اهتماماته الثقافية يحاول أن ينهج نهجهم ويتبع أساليبهم اللغوية والبيانية، على الرغم مما بينهم من اختلاف وتفاوت يصل حد التناقض بعض الأحيان. لكنه لم يظل طويلاً تحت عباءة أحد منهم بل أراد لنفسه نهجاً خاصاً به تمثل، في رأيه، في ما كان يكتبه في عموده اليومي (أفق) وفيما كتبه من افتتاحيات ودراسات في الدوريات التي عمل فيها. إلى جانب دراسات وبحوث مطولة ذات نهج أكاديمي.

لم يكن إبراهيم عدائياً ولم يكن يبدأ الآخرين بالعداء، لكنه كان مثقفاً ملتزماً بقيم راسخة في نفسه وفكره وحياته يستقيها من عقيدته الإسلامية ومما كان يراه من الجمع بين

العروبة الصافية والعقيدة السمحة، فلا يتعصب لجهة أو رأي أو فكرة، ولكنه يخضع ذلك لأحكام العقل. وفي السياسة كما في الفكر والأدب والثقافة لم يكن العجلوني حيادياً ولا يميل إلى التشدد بل يرفض مقولات اليمين واليسار وينتهج نهجاً وسطياً في طروحاته ومناقشاته وحواراته حتى مع أفكار الكتاب الأوروبيين والأميركيين الذين اتجه إلى الاطلاع على آرائهم ومتابعة كتاباتهم المترجمة أو باللغة الإنجليزية سواء أكانوا من الفلاسفة أو المفكرين أو الأدباء. وظل هاجسه الدفاع عن هوية الأمة وتراثها ودورها الحضاري الإنساني.

ترك العجلوني العديد من المؤلفات منها أعماله الشعرية الكاملة ومنها مجموعة مقالات أدبية وفكرية مما كان وجوده قلمه في الشأن العام في زاويته الصحفية «أفق» التي كان ينشرها في (الرأي) أو (الدستور) وعلى مدى أكثر من عشرين عاماً.

وأذكر أنه زارني قبل بضعة أشهر من رحيله المومج ومعه أحد الأصدقاء الأدباء وقدم إلي بعض مؤلفاته التي لم أكن اطلعت عليها، بسبب عملي في البحرين والسعودية الذي امتد نحو ستة عشر عاماً ونيف. كانت جلسة لطيفة ومميزة واستفصنا في أحاديث شتى وترددت شكواه الدائمة من غياب الوفاء بعامة، ولدى بعض المثقفين بخاصة، وعند من تولوا المسؤولية في الصحافة والإعلام تحديداً.

لست هنا في موضع نقد أو تقييم أعماله الفكرية والأدبية فهذه المقالة للحديث عن ما كان بيننا من علاقة أخوية امتدت نحو نصف قرن أو يزيد. ولا أذكر أننا كنا نختلف في كثير من الأمور الثقافية أو الفكرية، فتجربتي وأياه في الشأن العام والعمل الثقافي والسياسي والنشاط الفكري تتشابه ولا تتطابق. ولا أريد أن أصفها هنا بوصف محدد فقد كانت تجمع حلو الحياة ومرها وما هو بين بين.

في شبابه كان إبراهيم «حاداً» في تصنيف الآخرين، ولكن مع تعمق تجربته في الحياة والناس أضحي أقل حدة وأكثر تقبلاً لمحيطه، ولا أقول قبولاً له، أعني أنه اتسم بشيء من المرونة والتفهم.

امتلك إبراهيم موهبة شعرية واضحة بلغة متينة وأسلوب جزل وبلاغة لافتة وأكثر شعره يتبع عمود الشعر العربي القديم وعلى حد قوله أنه «اقترف» أحياناً إثم نظم الشعر الحر الذي كان الأستاذ عباس العقاد يقول عنه «شعر وشربت شايًا في الطريق»، وعندما تولى العقاد

مسؤولية لجنة الشعر أحوال كل النماذج التي وردت إليه من «قصيدة التفعيلة» إلى لجنة النشر للاختصاص.

قصائد العجلوني معظمها عمودية بامتياز وإن كان مضمونها حديثاً وموضوعاتها تعالج قضايا الأمة بمجموعها أو تخاطب المشاعر والأحاسيس العاطفية والإنسانية بعامية. ذلك أن شكل القصيدة لا يغير في مضمونها لديه وإن كان الشكل أداة جمالية تخضع للحالة الإبداعية. وأكثر ظني أن إبراهيم بقي متمسكاً بالشكل العمودي للقصيدة لأنه الأقرب إلى نفسه وأن ما نظمته من شعر التفعيلة إنما كان نوعاً من التحدي ليؤكد أنه يستطيع مجازاة أصحاب الشكل الجديد ليس غير. وحين نتصفح ما ضمه كتابه الأعمال الشعرية من قصائد نجده مؤكداً لما نقول.

وثمة ملاحظة مهمة هي أن إبراهيم في رأبي «لم يخلص لقضية الشعر» إخلاصه لاهتماماته الفكرية والتراثية والثقافية، وإن هو أصدر ثلاث مجموعات شعرية في أوقات متفرقة، قبل أن يعود إليها فيجمع منها كتابه: الأعمال الشعرية (٢٠١٨) وأرى أن سبب ذلك هو ميله إلى الفكر والبحث والنظر والحجاج العلمي، ولعل من يتصفح قائمة مؤلفاته التي تربو على الأربعين يدرك هذه الملاحظة بوضوح. وقد وجدت في عنوان كتابه: «دون مقام الرضا» ما يجيب على هذه الملاحظة ويؤكد لها. فهو يقول في مقدمته للأعمال الشعرية: كنت قلت في مقدمة كتابي «شعر وشعراء» أن ما أستطيعه من الشعر لا أرتضيه وأن ما أرتضيه منه لا أستطيعه!! وفي ذلك القول أصداء لمطلع قصيدة المتنبي المعروفة:

أريك الرضالو أخفت النفس خافياً وما أنا عن نفسي ولا عنك راضياً

وتظل في سائر مؤلفاته وكتبه ومقالاته ومقابلاته أيضاً أصداء عنوان مجموعته الشعرية الأولى: «نقاسيم على الجراح» فهو به يوجز مسيرة حياة امتدت بين عامي (١٩٤٨ و٢٠٢٢)... ولكن ذكره سيظل خالداً في أعماله الأدبية والفكرية كلها. رحمه الله وأحسن إليه.

في وداع بحر المعرفة

إبراهيم العجلوني

بقلم المهندس مروان الفاعوري

الامين العام للمنتدى العالمي للوسطية

ما أشبهك بالبحر ترى في صفائه المرجان تهب منه النسائم علية تروي وتريح من التمس القرب، لا يمل الجلوس إليك ذو لب متدفق كأموج البحر، لا تشبه فكرة فكرة أخرى، مولد أفكار مستنبط معانٍ وحكم .. فيلسوف عصرك يا إبراهيم ولا أراني أبالغ .. لقد عرفتك مذ كنت فتى أقرأ مقالاتك اليومية في جريدة الرأي ثم اقتربت منك أكثر قبل عقدين حيث زرتك في جريدة الرأي وتواصلنا من حينها، وقد كنت أأمل أن نعمل معاً في مشروع سياسي، وكان رأيك حينها واضحاً أن الأحزاب في بلادنا كأشتال الزينة توضع على أبواب الحكومات للديكور وليست أشجاراً أصيلة باسقة راسخة الجذور وكان رأيك إذ ذاك سديداً.

ثم مضت الأيام وعملنا في مشروع الوسطية وكانت كلماتك مرتكزات عمل لمشروعنا في المنتدى يوم توجه الجميع إلى الحديث عن إيجابيات الوسطية وجمالها وأثرها .. وتوجهت أنت إلى الأخذ بنهج حذيفة بن اليمان يوم كان الناس يسألون رسول الله صلى الله عليه وسلم عن الخير وكان هو يسأله عن الشر مخافة أن يدركه، فكان بحثه في مؤتمرننا الأول عام ٢٠٠٤ بحثاً نقدياً تحذيرياً من مغبة اختطاف المصطلح وسرقته وتوظيفه لغايات السياسة وتصفية الخصوم وضرب العمل الجهادي الذي يهدف إلى استرداد كرامة الأمة، ومضت السنوات

والأعوام ونحن نعمل في ذات الطريق مسترشدين بثاقب آراء الناصحين ومنهم (أبو سلطان) وهو يرقب مسيرنا عن كثب.. وكان أن جاءت اللحظة المناسبة لينخرط معنا في مشروع المنتدى العالمي للوسطية ويكون لسنوات أحد أبرز أعمدته حيث جاب معنا البلدان يقدم أفكاره ويؤصل معنا لمنهج الوسطية في كل بلد حللنا فيه، وكان بخبرته وواسع اطلاعه يتابع المؤتمرات وينسق عملها ويحدد أهدافها وإدارتها وأبحاثها بل وتوصياتها التي يتوجب أن نخرج بها رحمه الله.

أكتب عن إبراهيم وقد أثرى الساحة الأدبية العربية والإسلامية بإبداعات وتجليات صبغت كل جوانب الحياة فكتب في الأدب والاجتماع والسياسة والفكاهة، ووظف الكلمة والدعابة والشعر في توصيل ما توهج في عقله وقلبه من أفكار، كان مجروحاً ومحترق القلب من الظلم الذي وقع على أمتنا سواء في النظرة والتشويه، فكتب (الإسلام ومفكرو الغرب) والذي دحض فيه الافتراءات التي وجهت للإسلام وللرسول صلى الله عليه وسلم مستشهداً بآراء كبار فلاسفة ومفكري الغرب وكان لهذا الكتاب الأثر الكبير في نفس كل من قرأه.. وكان متألماً للتخلف الذي تشهده بلداننا نتيجة الاستبداد والظلم وتواطؤ الفساد المتغلغل في بني الدول، كان سيفاً ضد أذعياء اليسار وفلول القومية والأيدولوجيات البائدة والمتاجرين بالأوطان والإنسان، وكان من أشد الناقدين لأشكال الاستبداد واستشراء وهيمنة عملاء الاستعمار والصهيونية.

كان يركز على الذات المسلمة والشخصية الوطنية التي تعرف أن السياسة لها فلسفة تحكمها الأخلاق، وأن السياسة يجب أن تتماهى في بحر الأخلاق، وليست هي الميكانيكية أو فن الممكن. مر إبراهيم بمراحل ظن أن الدولة الوطنية يمكن أن تحقق تلك الأحلام، إلا أنه مع سقوط هذا النموذج بدأ يراجع حساباته، وأصدر آخر مؤلفاته (هذه الكتب القيمة، ملاحظات أولية) حيث بدأ بالشماع الأردني غاضباً نادماً على إحسان ظنه بهذا النموذج معلناً براءته من هذه الأوضاع والنظم التي أسلمت البلاد والعباد لبني صهيون، وهو ما لخصه الشاعر الطغراني في قوله:

غاض الوفاءً وفاض الغدر واتسعت

مسافة الغدر بين القول والعمل

ومهما يكن من أمر فإن الحديث عن جوانب إبداعات وعطاءات إبراهيم تبقى أكبر من أن يحيط بها كاتب أو باحث، فإنه والله بذر بذراً سيؤتي بإذن الله أكله كل حين لأنه كان صادقاً في حبه لأُمته ولدينه ولهويته.

كان يأمل أن يكمل حياته في كتاب عن شخصية الرسول الحبيب محمد صلى الله عليه وسلم وهذا كان لعشقه وحنينه وحبه لرسول الله عليه الصلاة والسلام.

والذي أرجو ان يكون إبراهيم رفيقاً لحبيبه في الجنة.. وسلام عليك في الصادقين يا إبراهيم.

معلمنا ..

إبراهيم العجلوني

معن البياري

العربي الجديد

٦ ديسمبر ٢٠٢٢

من «نحن» في العنوان أعلاه؟ بل لسائل أن يسأل: من هو إبراهيم العجلوني؟ أمّا الإجابتان، فالنحن هنا هم نفرٌ عريضٌ ممن ينتسبون إلى أهل الكتابة والشأنين الثقافي والإعلامي في الأردن، منذ منتصف الثمانينيات، وبينهم صاحب هذه الكلمات. أما العجلوني فكاتِبٌ أردنيٌ بديع، كبيرٌ حقاً، لم يشتهر عربياً، لغير سبب وسبب. ومن غريب ما أحرص على إيضاحه هنا أن المسافة بين مشاغل هذا الأديب، المتفلسف المتأمل، النظيف، والزاهد الأقرب إلى النساك، ومشاغل كثيرين منا نحن، كبيرة. من ذلك أنني لا أراني في المساحة التي أقام فيها أستاذنا، الراحل أول من أمس الأحد عن ٧٤ عاماً، صاحب مؤلفاتٍ في التأمل والتفكير، الذهني في بعضه، الفلسفي في بعض آخر، التأملي ياشراقات المتفكر الجوّال في جدالات العقل. ولا أراني من ذواقي شعره المطبوع بتقليدية لا أستحسنها غالباً، ولا أجد مزاجي انجذب يوماً إلى السمّت المحافظ الذي ظلت عليه منظورات إبراهيم العجلوني في الأدب. وهنا أتذكر إننا، زمرةٌ واسعةٌ من الأصدقاء، ضايقتنا تولّيه مرّة الإشراف على الملحق الثقافي الأسبوعي لصحيفة الرأي... أكتب هذا كله، وفي وسعي إضافةً مثله، وأصرّ، في الوقت نفسه، على أنّ إبراهيم العجلوني معلّم، معلمنا.

أن تصف شخصاً بأنه معلّم يعني أنّ سجايا وشمائل وطباعاً فيه، وخياراتٍ أقام عليها، استحقّت أن يُهتدى بها، وأن هناك من استأنس منها ما أفادته في حياته وعيشه. وتعني أيضاً

أن في هذا الشخص ما كان عليك أن تتعلّم منه ولم تفعل، في سيرته وما سلكه في دنياه بعض ما ينفعك، وكان من المهم، أو اللازم، أن تقتبس منها ما يفيدك، وعندما لا تفعل يفوتك ما يفوتك وتخسر ما كان عليك أن تكسبه. وهنا أراني أقول إن إبراهيم العجلوني كان معلّماً، ليت جيلاً من ناس الكتابة والثقافة والصحافة والإعلام، ومن بعده (ومن بعده؟) أفاد من مكارم غزيرة في هذا الرجل، قرأه وقرأ عنه، اتفق معه واختلف، تعرّف إلى فائض المناقبيّة العالية في شخصه، إلى التواضع الرفيع فيه، إلى الولع بالثقافة والمعرفة، إلى العمق، إلى كل الحبّ الذي كان يفيض به تجاه الناس، إلى ترفّعه ورفعته، إلى مؤاخذته نفسه على ما لم يرض عليه، ربما صنعه هنا أو قاله هناك، وإلى رحابة ذهنه في الإنصات إلى غيره، إلى النأي عن التدافع من أجل منصب أو موقع أو حظوة، وهو الذي استحقّ أن يكون نصيبه في الحياة أكثر من وظائف تيسّرت له أراها عادياً، في صحيفة الرأي وفي وزارة الثقافة وفي غيرها.

لا أتزيد في القول هنا إن العجلوني، بما كتب وأنتج، لو كان مصرياً أو لبنانياً، لعرفه القراء العرب جيداً، فقد ظلّت إصداراته وكتاباته، غالباً، في دوريات وصحافات ودور نشر أردنية، لم تُصب رواجاً وترويجاً واسعين في الفضاء العربي. لو قيّض له بعض الشهرة، وكانت له العلاقات الأوسع في هذا البلد وذلك، لو عمل هو شخصياً على التعريف بمنتوجه بشكل أفضل، لأحبّ القراء العرب كثيراً مما كتب وجادل فيه، لراقتهم كثيراً لغته العالية ومفردته الفريدة، لأخذتهم مقالته الفاتحة القيمة. وهنا، أفتح قوسين، وأجهر بأن هذا الرجل، الصموت النبيل والضعيف، كان من ألمع كتّاب العمود الصحافي الثقافي والتأملي (المشحون بالسياسة) في الصحافة العربية. ولطالما حسدته (نعم حسدته) على أناقة مقالته. وربما ما زال مقيماً في حشاياي ذلك التطلّع الذي كنت عليه في طور مضي أن يبلغ ما سأكتبه من مقالات منزلة ما يكتبه إبراهيم العجلوني (أبو سلطان)، المعلّم في وضوح الفكرة، ورحابة المعجم، وكثافة مبنى المقالة، والبساطة الموحية بثقافة عالية.

غامر العجلوني مرّة بإصدار مجلة فكرية، في مشروع لم يُصب نجاحاً. كان واسع الثقافة. ألّف في التفكير (أحبّ هذه المفردة على الفكر، بشأن أصحابنا)، وفي الشأن الثقافي الأردني وأسئلته، في قضايا الأمة وراهنها، وفي لحظتها الحضارية، وتسلّح في «إشراقاته» الحسنة، المتصلة بالعروبي والإسلامي بسعة معرفته ومطالعاته. جال في الخطاب القرآني والفكر

القومي وفي المسألة الديمقراطية، وفي أبي حيان التوحيدي والعقاد والسهروردي، كتب
يشدد على «تقويم اللسان ورهافة الذائقة اللغوية وعُلُوّ البيان وعمق النظر» ...

نعم، كان إبراهيم العجلوني معلّمًا في غير أمر. كان معلّمنا في المقالة الحاذقة، والكتابة
الحارّة المعاني، الأنيقة في مبناها ومنطوقها. كان معلّمنا في هذا، لعلنا نأتي بعض ما كان منه
وفيه، رحمه الله.

ابراهيم العجلوني

الصحفي الكبير

منذر رشراش

إبراهيم العجلوني كاتب ومفكر كبير له إسهاماته الغنية عن التعريف في ميدان الأدب والنقد والمطارات الفكرية التي اشترك فيها طوال حياته وجعلت الكثيرين يكتنون له الاحترام والتقدير . وإلى جانب هذا كله فهو الصحفي المبدع الذي كانت مقالاته اليومية في جريدة «الرأي» الأردنية تستقطب العدد الكبير من المتابعين وأصحاب القلم الذين قد يوافقونه في الرأي أو يختلفون معه . هو الصحفي المحرر الذي اشتغل في «الرأي الثقافي» لسنين عدة وترأسه فكان محرره الذي أسبغ عليه من فكره وآرائه ومعتقداته الشيء الكثير .

إبراهيم العجلوني، رحمه الله رحمة واسعة، هو الإنسان الدمث الأخلاق ذو الابتسامة الدائمة والوجه البشوش والهدوء والروية . هذه هي صفاته الشخصية إضافة إلى اتزانه واعتداده برأيه وثقافته الواسعة وإيمانه بمبدأ الرأي والرأي الآخر .

وأنا هنا لا أريد الحديث عن كل مآثره الجليلة وأتوسع في ذلك بل سأحدث فقط عن علاقتي به الخاصة في ميدان الصحافة فقد تزامننا لفترة ليست بالقصيرة في «الرأي» وعملت كمساعد له في تحرير «الرأي الثقافي» حيث كنا نعد المواد الأدبية والثقافية التي تنشر في يوم الجمعة من كل أسبوع، نعد المواد ونعمل على تحريرها وإخراجها بالشكل اللائق .

كان، رحمه الله، يدقق كثيراً في المواد التي تصلنا من الكتاب والأدباء، يعالجها وينقحها لغوياً - إن لزم ذلك - ويهتم أكثر ما يهتم بالمواد الفكرية والأطروحات الفلسفية بالتحديد

لأنه كان شديد العشق للفكر والفلسفة ويحب النقاش وتداول الأفكار والمجادلات ذات الفائدة العظيمة .

كنا، على الدوام، نتناقش ونحلل كل المواد الأدبية والثقافية التي تصلنا كل أسبوع، وكانت كثيرة العدد فيعمل -رحمه الله- على نشر ما يهم ويخدم القارئ العزيز وما يمكن أن يطرح فائدة ويشعل نقاشاً أو سجالاً واسعاً . إن هذا لا يعني أنه لم يكن يهتم كثيراً بالمواد الأدبية من شعر وقصة وسائر الأشكال والأنواع الأدبية الأخرى بل على النقيض من هذا حيث كان يركز على الأعمال المميزة منها فيهتم بها وينشرها ويتنظر الردود النقدية عليها .

هذا هو إبراهيم العجلوني المفكر والأديب الذي كنت أعرفه وهذه شهادتي فيه رحمه الله رحمة واسعة وغفر له وأسكنه فسيح جنانه .

من فيوض المفكر الأستاذ

إبراهيم العجلوني

نايف النوايسة

الدستور ٤/٦/٢٠٢١

لم تتغير مواقفه أبداً أو تعصف برؤاه إغواءات المنافع، فهو ثابت كالطود عند زرعه الذي بذر بذاره في تربة المكابدة ورواه من غادق إبداعه حتى أئنع وحن قطافه عناقيد منضدة في إصدارات متتالية.

هو المفكر العميق الأستاذ إبراهيم العجلوني الذي التقيته في منتصف سبعينيات القرن الماضي، وانعقدت بيننا أواصر صداقة تجاوزت ساعات العمل في وزارة الثقافة لتشمل الانهمام في شؤون الثقافة والفكر كافة؛ مدارساً وكتابةً ولقاءاتٍ لا تنقطع، مبتدؤها ثقافة وخواتيمها ثقافة، وعندما يصدر لأحدنا كتابٌ يكون الاحتفاء به عظيماً وتلقاها تلقياً محترماً..

ومع تقدمنا بالعمر، فلم تزدنا السنين إلا إصراراً على الإبداع المتواصل حتى تراكمت النتائج وتجاوزت بعدها العشرات، وهو لعمرى عمل جليل نُودعه المكتبة، ونضعه بين أيدي الأجيال برهاناً على كيفية التعامل مع الزمن ودليلاً على أن الإنسان الفاعل هو من يحمل سقف الحياة بوعي وعقل واقتدار.

قبل أيام حملت إليّ نسائم المحبة ثلاثة إصدارات لأخي الأستاذ إبراهيم هي:

- رؤى نقدية في الثقافة الاردنية.

- مسلمون وصهاينة وأمريكان.

- إبراهيم العجلوني (مرايا الحضور)، وهو من إعداد وتقديم الأستاذ سمير اليوسف..

ومع تيقني التام من أن الأستاذ العجلوني على بصيرة واعية مما يكتب، ويتقدمه نظر ثاقب يحفر في جدار الفكرة ويغلف كل ذلك بلغة عالية المستوى ليأتي ما بناه على سوية عالية من الاكتمال، فقد جمعت بين يديه ما بان وخفي من مظان اللغة، وتوافرت له الأسباب المحققة لامتلاء مكانزه بالثقافة من كل أبوابها، فلا يحترق في التقاط الفكرة ولا تلتبس عليه وجوه القول حين يشرع في الكتابة.

لكنني سألتقط مما قال في مقدمات كتبه لأنير الطريق أمام من يتبع الأسباب إلى مضامين هذه الكتب.

يقول في مقدمة كتابه: (رؤى نقدية في الثقافة الأردنية) الذي بلغت مقالاته ستاً وثمانين مقالة: تمثل هذه المقالات/ الرؤى ألواناً من المواكبة النقدية لكثير من الوقائع التي شهدتها بلادنا في ما يقارب ربع قرن من حياتنا الأدبية والفكرية.. وهي وإن تقاطرت آحاداً وتفاوتت أغراضاً؛ تأخذ سميتها في نسق مُطرّد تتابعت فيه للكاتب إصداراته..)، وحينما نلج في ثنايا الكتاب نتلقفنا العناوين ولا نملك حينها إلاّ قراءتها كاملة، لكنني في هذه العجالة سأختار فقرة من مقالته: (في التنمية الثقافية)، ويقول فيها: التنمية مفهوم كمي، وحتى نبسط هذا المفهوم على السياسة أو على الثقافة فإن علينا أن نتأوله على نحو يجيز لنا مغادرة الكم إلى الكيف، وذلك تأويل بعيد تتقطع دون تحقيقه الأنفاس وتحار الألباب). وفي فهمه للتنمية يُحدد موقفه من الكم والكيف، وما ينبغي علينا إزاء ذلك حتى لا يضيع ما تراكم لنا من إنجازات ثقافية في لحظة عماء ما بين الكم والكيف، وهي البصيرة النافذة التي يرى فيها العجلوني الحياة وما تكتنفه من قضايا.

وفي كتابه (مسلمون وصهاينة وأمريكان/ وقائع وأصداء) الذي تضمن سبعاً وسبعين مقالة، نجد أنفسنا أمام إضاءات تشكلت واستدارت بكلمات دالة ومقالات ذات أهمية لبث الوعي وتفتيح مصاريع البصيرة، ويقول الأستاذ العجلوني في المقدمة: ترصد مقالات هذا

الكتاب بعضاً من وقع هذه الأحداث الجسام التي تعرضت لها أمة العروبة والإسلام على مدى تيّفٍ وثلث قرن من الزمان.

ويرى الكاتب أن هذه المقالات قد يطويها النسيان لولا أن أسبابها قائمة متجددة، وبخاصة ما هو متولد من وجود الكيان الصهيوني في المنطقة وبدعم من القوى الاستعمارية، وغفلة الأمة وما أحاط بها من أساليب لاستلاب وغيها وقدرتها على النهوض.

ويرى بأنه من المحتم علينا الوقوف أمام هذه الهجمة سواء بالسلاح أو بالفكر، وقد أملى هذا على الغيورين من مفكري الأمة ومثقفها أن يقدموا ما استطاعوا من صنوف المقاومة الروحية والعقلية على نحو ما تمثّل في هذه المقالات التي تضمنها الكتاب وفي نفسٍ قوي لرفض الهزيمة والإصرار على بثّ وعيٍ عربي إسلامي ينير الطريق لمن يريد.

وفي الكتاب الذي أعده وقدم له الأستاذ سمير اليوسف وعنونه بـ (إبراهيم العجلوني/ مرايا الحضور)، أوجز فيها اليوسف الحديث عن الاستاذ العجلوني بقوله: (ولقد أدرجت مواد هذا الكتاب في أربعة أبواب، أولها للمقدمات التي كتبها لنخبة من أعلام الفكر والصحافة في الأردن لسته من الكتب المهمة للعجلوني، وثانيها للأصدقاء التي أحدثتها كتب العجلوني ومقالاته بما في ذلك مجلة (المواقف) التي أصدرها أواخر الثمانينيات، وثالثها لمساجلات وتعقيبات وردود أحدثتها آراؤه في واقع الحياة الفكرية في الأردن، ورابعها لعدد من المقابلات الصحفية التي أُجريت معه، والتي يمكن من خلالها إضاءة كثير من أفكاره ورؤاه).

إن الحديث عن المفكر الكبير الأستاذ العجلوني يستوجب قراءة نتاجه جميعاً للوقوف على مواقفه ورؤاه وإضاءاته لعتمة الواقع؛ وما هذه القناديل التي رفعها في سماء المعرفة إلاّ علامات دالة على حارس أريب يقف على ثغور الوعي والفكر والثقافة بصلاية، وقامة فكرية ثقافية لا تُطاول..

صديقي إبراهيم العجلوني

جزالة ورهافة وموسوعية

شهادة وإضاءة

الأستاذ الدكتور همام غصيب^(١)

(١)

أخي أبا سلطان:

أغالبُ دموعي وأنا أسطرُ كلماتي هذه. لكنّها ليست فقط دموعَ الترحّحِ على فقدك؛ إنّما هي أيضاً دموعُ الفرح! ذلك أنّ دائرةَ مَنْ يُقدِّرُ إرثَكَ القلميَّ المُذهلَ حقَّ قدره تتسعُ يوماً عن يوم. وأصالتك وموهبتك في نثرِكَ وشِعْرِكَ تسطّعانُ الآن في كلّ مكان. وطيفُكَ الباسمُ مائلٌ أمامنا على الدوام: نُحاوره عبْرَ فضاء «أثيري» خارجِ الزمانِ والمكان (أو «الزمان»، كما يقول الفيزيائي)؛ فيُغني نفوسنا، ويُنعش أرواحنا. جزالتُكَ في التعبير والتفكير تُسعدنا. لكنّك تُفاجئنا مرّةً تلو المرّة برهافةٍ عزّ نظيرها في قصيدِكَ ومسرحِكَ، وفي «أحزانك» و«شذراتك»، وحتّى في سُخريّتك الهادئة.

(٢)

تقاطعتْ سُبُلنا في محطّتين. الأولى: مَجْمَعُ اللّغة العربيّة الأردنيّ؛ حيث عمل أبو سلطان لمدّة قصيرة؛ وكنتُ آنذاك عُضواً عاملاً جديداً فيه. كُنّا نجتمع، مع سائر الأعضاء، في «لجنة الندوات»، كما أذكر. وكان دائماً هادئاً قليل الكلام. أمّا المحطّة الثانية، فكانت «المجلّة

(١) عضو عامل / مَجْمَعُ اللّغة العربيّة الأردنيّ؛
أستاذ شرف (في الفيزياء التّظريّة) / الجامعة الأردنيّة.

الثقافية»، مجلة الجامعة الأردنية، التي كان لي شرف المشاركة في تأسيسها عام ١٩٨٣ مع نخبة من الإخوان والخلائن، وشرف رئاسة تحريرها من ١٩٨٩ حتى ١٩٩٩؛ وبقيت بعد ذلك عضواً في هيئة تحريرها ثماني سنوات أخرى. ومع أن إبراهيم عمل فيها لمدة قصيرة هي الأخرى كان معظم الوقت خلالها هادئاً صامتاً؛ إلا أنه أصبح من أقرب أصدقائها وواحدًا من أبرز أعلامها. وسأفصل ذلك بعض الشيء بعد قليل. لكن، قبل هذا، لا بُد من «وقفه»؛ بل وفتنين.

الوقفه الأولى: كانت محبةً مُتبادلةً بيننا منذ اللحظة الأولى. فغريبٌ أمرُ البشر! هنالك الحُبُّ من أول نظرة؛ والمحبة من اللحظة الأولى؛ والصدافة من اللقاء الأول. وقد بقيت المحبة والصدافة بيننا حتى أيامه الأخيرة. ولم يفتُر الودُّ بيننا قط، مع أننا قلما التقينا وجهياً بعد المحطتين المذكورتين. فما سرُّ ذلك؟ أعله «القواسم» المشتركة بيننا؟ ربّما؛ وقد يكون هنالك أسرارٌ أخرى. فما هذه القواسم؟ (أولها) أننا من مواليد العام نفسه: عام النكبة، ١٩٤٨؛ وُلدتُ أبكر منه بأربعة أشهر وأسبوعين. و(ثانيها) حبُّنا الجَمُّ لعبّاس محمود العقّاد وتأثرنا الكبير به. وهذا لا يعني، طبعاً، أننا لم نتأثر بشخصياتٍ أخرى في الشرق والغرب؛ إنّما تبقى منزلة العقّاد لدى كلينا الأولى بلا منازع. و(ثالثها) ميلنا الجارف، أكاد أقول «الفطري»، إلى خير الكلام ما قلّ ودلّ، وإلى جوامع الكلم والوجدانيات و«الشدرات» (أو الشذور). فكلانا لا يملكُ إلا أن ينجذب إلى هذه كبرادة الحديد إلى المغناطيس: يُعانقُها بالقلب والعقل أينما يجدها؛ ويكتبها بدمه وروحه، وكأنّه يخشى عليها من سوء الفهم أو التبسيط المُخلّ. فلا عجب أن أثنى ثناءً عطرًا على «[كُرّاسي] القِرْمِزِيّة: تأملات عابر سبيل» (الطبعة الأولى، ١٩٨١؛ الثانية، ٢٠١٠). واستطاع أن يتغلغل إلى أعماق أعماقها؛ وكأنّه توأمٌ روحي! أمّا وجدانياته الكثيفة والغزيرة، فهي دُررٌ تتلألأ في كمّ كبير من أعماله؛ وليس فقط في كتب أمثال «أحزان مسيحية: سيرة ذهنيّة وجدانيّة» و«شدرات» (في ثلاثة أجزاء). و(رابع القواسم المشتركة) تبحرنا للغتنا العربيّة وعشقنا لها. وكلانا كتب عن ذلك باستفاضة. أمّا (خامسها)، فهو اعتزازنا بحضارتنا العربيّة الإسلاميّة: ليس لأننا «ماضويون» [!]; لكن، حتى نستلهم أفضل ما فيها، فنحاول أن نكون بحق خير ورثة لعظمائها. ذلك أن استمراريتها في وجدان الأمة عنصرٌ مهمٌّ من عناصر انطلاقنا بأصالة وعنفوان.

الوقفه الثانية: ذلك الهدوء والصمت و«عدم الاستقرار». أما عدم الاستقرار، فلعله كان يعكس - كما عبّر عنه بعضهم، كلُّ بطريقته - قلقاً «جوانياً» عميقاً، قلق المُبدع الأصيل. وأمّا الهدوء، فأحسب أنّ وراءه كانت تقبع روحٌ مُتمردّةٌ نائرةٌ ضدَّ كلِّ عوجٍ وتقصيرٍ وقصور؛ لكن، ربّما أنّه كان يكبحها كي لا يفقد السيطرةَ عليها! وأمّا صمته، فله أبعادٌ وأبعاد تناولها في «وجدانيّاتٍ» رائعةٍ نشرها في أحد أعداد «المجلة الثقافية». وهذه جُزئيّةٌ من جُزئيّات الفقرات الآتية.

(٣)

أعودُ، إذن، إلى صداقة إبراهيم الحميمة لمجلّتنا هذه، التي تحتفلُ هذه الأيام بالذكرى الأربعين لتأسيسها. فقد قدّم للمجلة - في أثناء المُدّة التي كُنْتُ وثيقَ الصلة بها - ثماني دُرر بأجناسٍ أدبيّةٍ مُختلفة. سأسوقُ التفصيلات فيما يأتي، مُعلّقاً على بعض النقاط فيها:

١. مُراجعة كتاب: «عن المنهج والنتائج في كتاب الدكتور هشام الشرابي: مُقدّمات لدراسة المجتمع العربيّ» [العدد ٢؛ كانون الأوّل/ ديسمبر، ١٩٨٣؛ ص ١٧٧-١٨١].

يتناولُ إبراهيم في هذه المُراجعة الذكيّة منهجَ الدكتور الشرابي، «الذي نادى باعتماده في مُقدّمة ضافية رائعة، ثمّ [كثيراً] من النتائج التي انتهى إليها. وهما (المنهج والنتيجة) أمران مُتلازمانٍ تلازمُ العِلّةَ بالمعلول، وليس يصحُّ أحدهما إلّا ويكون ثانيهما صحيحاً...»

٢. مقالة: «حول مفهوم الخواصّ في الثقافة الإسلاميّة» [العدد ٧؛ تمّوز/ يوليو، ١٩٨٥؛ ص ٤٩-٥١].

أي مفهوم «النخبة المُثقّفة» بمعناه الحقّ، (لا أشباه المُثقّفين) الذين تُعوزهم القُدرة على بناءِ التقاليدِ الثقافيّة...».

٣. وجدانيّات: «الصمّت والموت واكمال الوعي» [العدد ٢٩؛ نيسان/ إبريل، ١٩٩٣؛ ص ١٥٠-١٥٦].

تتضمّنُ هذه إضاءاتٍ عميقةً من سيرة المُؤلّف الذاتيّة. مثال:

«أضحى الصمّتُ خطّ دفاعه الأوّل؛ سورَه العالي الذي يردّ عنه الآخريّن: أعينهم وأصواتهم وأنفاسهم الثقيلة في المكان. وحين مازجه الحياءُ البالغ في مطلع الشباب، انعقد

منهما ثمرٌ حامضٌ في ثنايا قلبه، ووجد نفسه في عزلةٍ مُتتائيةٍ عن الناس. عزلة إراديةٍ استمرت ثماني سنين دأباً، لم يقطعها عليه إلا مَنْ كان يختارهم من الكُتّاب؛ مثل: جبران، والعقاد، والرافعي، وغيرهم ممّن أنسوا وحشته طوال تلك السنين.

مثال آخر:

«إنّهم الغرباء في أوطانهم، (تشدّد وتناهى عنهم القرباء)، كما يقول أبو العلاء المَعري. ويُمسي أحدهم (غريبَ الحال، غريبَ اللفظ، غريبَ النحلة، غريبَ الخلق، مُستأنساً بالوحشة، قانعاً بالوحدة، مُعتاداً للصمت)، كما يقول أبو حيّان التوحّيدي ...»

إلى أن يقول:

«قد يكون الصمت، إذن، اكتمالاً للوعي وتجلياً أخيراً له.

كما قد يكون رفضاً إراديّاً يخلص إليه رجلُ الفكر، بعد أن يكونَ قد نفّض يديه من (الآخرين) وأسقط رهانه عليهم.

أو يكون لونهاً من كبرياءِ نفسٍ تنأى بجانبها عن لغو القول ولغو الخلق في آن ...»
وأخيراً:

«لا مفرّ، إذن، من الاعترافِ بأنّ الصمتَ وحده هو الذي يُشرف بنا على تلك الوجودات، وأنّه هو وحده الذي يليق بجَمْرِ الوعي وشهادة الحياة ...»

إنّه الصمتُ الحكيمُ الذي يكتملُ الوعي بين يديه.

... وغير ذلك من إضاءات عميقة في هذه الدرّة من دُرر إبراهيم العجلوني.

٤. قصّة قصيرة ساخرة: «حدث في هايكانغ» [العدد ٣٥؛ تموز/ يوليو، ١٩٩٥؛ ص ١١٣ - ١٢٤].

يروي الكاتبُ هنا أحداثَ التجربة المريرة التي مرّ بها في السجن. وهي تجربة دامت أربعاً وعشرين ساعة فقط (لحُسنِ الحظّ)؛ لكنّها كانت مُفعمّةً بالوقائع والتفصيلات الدقيقة؛ وكأنّها فيلم سينمائيّ مؤثر أيّما تأثير. وقد جاءت القصّة على شكل رسالةٍ موجّهةٍ إلى «العزیز تشنّ لوان فنغ»، بشخصيّاتٍ وأمکنةٍ كلّها «صينيّة». وكان يُمكن أن تكون قد حدثت

في بلاد «الواق واق»! والسخرية فيها من نوع «المأساة الملهاة» التي تُبكي وتُضحك في آنٍ معاً. ويختتمها إبراهيم بأربعة تأملاتٍ ثابتةٍ عن الوطن، والاغتراب داخل الوطن، والكرامة الإنسانية، وغير ذلك. وكنتُ قد تمنّيتُ للقارئ في «الصفحة الأولى» من العدد «رحلة تنويرية مثيرة في (هايكانغ)»! [و«الصفحة الأولى» زاوية ثابتة في المجلة، بدأتُ أكتبها منذ العدد الرابع، واستمرت دون انقطاع حتى العدد السابع والأربعين. وكنتُ أعرضُ فيها على أهمّ معالم العدد، وأناقشُ باقتضابٍ خططَ المجلة، واستراتيجياتها، المستقبلية].

٥. مقالة: «في فلسفة النهضة: القرآن الكريم وواقعة الانتداب الكوني» [العدد ٣٦؛ تشرين الأول/أكتوبر، ١٩٩٥؛ ص ١٦-٢٣].

موضوع هذه المقالة من الموضوعات الأثيرة عند كاتبها. ويبيّن فيها رأيه الواضح في معنى النهضة الحقيقية للأمم، مُقابل الغزو الغربي لها، وصلتها بالقرآن الكريم.

٦. وجدانيّات: «من وحي الأسحار: تأملات حرّة» [العدد ٣٨؛ تموز/يوليو، ١٩٩٦؛ ص ١٠٠-١٠٨].

هاكم مثلاً من هذه التأمّلات الرقاقة المُستلهمة من أجواء السحر: »

«قيل لليل: ما أنت والصمت؟ قال: هو رفيقي. وقيل: ما أنت والهَمّ؟ قال: مُسامري. وما أنت والصبر؟ قال: خليلي وحامل أوجاعي. وقيل: ما أنت والسحر؟ قال: مُفرّج كُرْبتي، وشفيع حُبوتي، ودليلي إلى الفجر؛ بُورك من دليل ...»
مثال آخر:

«مع السحر، تتوفّر الكائنات، وتأخذ ترقبُ إطلالة النهار، وهو بعدُ فكرةٌ في ضمير الكون. فيا لها جس الفتان كيف يأخذ بألباب الأشياء! ويا للنبأ تتناقله النساءُ حفيّةً به كأنه الخلاصة من عطرٍ حفيّ، يمنح الوجودَ ذاكرةَ الحياة وأسرارَ الخلود! ...»

٧. مسرح: «الجنرال: فانتازيا عربية في ثلاثة مشاهد» [العدد ٤٣؛ آذار/مارس، ١٩٩٨؛ ص ١٣٥-١٥٦].

قدّمتُ هذه المسرحيّة الساخرة في «الصفحة الأولى» على النحو الآتي:

«قارئنا العزيز: نُقدِّم إليك في هذا العدد الممتاز مُفاجأتين:

الأولى: حوارٌ صريحٌ مُثيرٌ أجريناهُ مع الأديبة العربية الكبيرة غادة السَّمان... .

أمَّا المُفاجأة الثانية، فهي مسرحيةٌ كاملة، يُسمِّيها مؤلِّفها - الأستاذ إبراهيم العجلوني - (فانتازيا) عربيَّة في ثلاثة مشاهد. وستلْفحُك فيها زفراّت حرّى من أديب صادق عانى ويُعاني في سبيل الأدب الرفيع؛ كما ستُعجّبك اللوحاتُ المُرافقة [بالألوان] للفنان حسين دعسة. (...)

ولعلّ «المكتوب من عنوانه». ويكفي أن أذكرَ أنّ العبارة التي يُردِّدها «المواطنون» (أو «الشعب المُخلص»، على لسان الجنرال) مرّات ومرّات في نهاية المشهد الثالث والأخير من هذه المسرحية الساخرة هي: «عاش سيادة الجنرال!» وتُسدّل الستارةُ بعد المرّة الثامنة! ٨. مقالة: «عن العلمانيّة والدين» [العدد ٤٦؛ آذار/ مارس، ١٩٩٩؛ ص ١٩١-١٩٣.

موضوع آخر من موضوعات إبراهيم الأثيرية.

(٤)

اقتربتُ الآن من خاتمة «شهادتي وإضاءتي» هذه، وفي ماثلتي اثنتان من

الذكريات المُتصلة بأبي سلطان.

الأولى: تعود إلى أكثر من عشر سنوات، حين اتّصل بي إبراهيم ذات يوم وطلب منّي أن أشاركَ بفصل في كتاب كان يُعدّه عن «المَجْمع العلميّ العربيّ في الشرق»؛ أي مَجْمع عمّان، الذي أصدره الأمير عبدُ الله [الملك المؤسس عبد الله الأوّل طيّب الله ثراه] إرادته الأميرية «المطاعة» بتأسيّسه في ١٧/٧/١٩٢٣. فتردّدت، قائلاً: أكاد لا أعرف شيئاً عن الموضوع. والوقت لا يُسعفني لكي أتحرّى وأتقصّى وأنقّب! ومع ذلك، قبلتُ لسببين: (الأوّل) لأنّه طلبٌ عزيزٌ من أخ عزيز؛ و(الثاني) لأهميّة الموضوع. فقد كان مَجْمعُ عمّان هذا الثاني في الوطن العربيّ بعد مَجْمع دمشق الذي أسسه المغفورُ له الملك فيصل الأوّل. وكما نعرف جميعاً، لم يرَ مشروعُ إبراهيم هذا النور. لكنّ الثمرة الوحيدة من جانبي في هذا الشأن كانت مقالتي التي نشرتها في حينه صحيفة «العرب اليوم» بعنوان «١٩٢٣». هكذا فقط! ولم أنس أن أضيفَ إلى هذا العنوان الكلمات الآتية: «مُهداة إلى الكاتب المطبوع، إبراهيم العجلوني».

وكانَ فنيي الطباعة استشعروا ما كان يجولُ في ذهني؛ فطبعوا هذه الكلماتِ بِبُئْطِ كبير طغى على العنوان الرئيسي! أما الاستجابة الحقيقية لمشروع إبراهيم، فجاءت على يد الأخ العزيز الأستاذ الدكتور سمير الدروبي في الفصول الثلاثة الأولى (ص ١٥-٢٠٧) من الجزء الثالث من سفره القيم «مجامع اللغة العربية في دمشق وعمّان في عهود الهاشميين (١٣٣٨-١٤٤٣ هـ / ١٩١٨-٢٠٢١م)» (وزارة الثقافة، عمّان؛ ٢٠٢٢)، الذي صدر قبل رحيل إبراهيم ببضعة أشهر. ذلك أنه غاص في بحار الوثائق والمصادر الأصلية، واستخرج الأصداف واللالء والتفصيلات وتفصيلات التفصيلات، وصنّف كلّ ذلك باقتدار وإتقان، ووضعه في سياقاته التاريخية والسياسية والاجتماعية والاقتصادية.

الذكرى الثانية: اقترحتُ قبل بضعة أعوام في إحدى لجان وزارة الثقافة أن تُخصَّص جائزة من جوائز الدولة التقديرية لفنّ المقالة الأدبية أو الفكرية. ووقتها قلتُ إن تمّ ذلك، فستكون الجائزة لإبراهيم العجلوني بلا منازع. لكن إبراهيم رحل، بكلّ أسف، قبل أن يحصل ذلك. إنّما الفرص ما زالت سانحةً، طبعاً، لتكريم اسمه وإنجازاته بشكلٍ من الأشكال اللائقة.

(٥)

أخي أبا سلطان:

أختم من حيث بدأت: من دموع الفرحة الممزوجة بدموع الترح. فقد رحل الجسد؛ لكنك حيّ بآثارك القلمية التي قدّمتها للأمم؛ واصلاً آناء الليل بأطراف النهار. وسترى كيف ستلهم هذه الآثار أجيالاً إثر أجيال، وكيف ستفتح أمامهم آفاقاً رحبةً لا متناهية. فنمّ قرير العين يا صديقي العزيز.

المراثي

إبراهيم العجلوني

وداعا

د. إبراهيم خليل

صدمت أوساطنا الأدبية بالرحيل المفاجئ للأديب إبراهيم العجلوني الذي ولد في سبتمبر - أيلول من العام ١٩٤٨ في بلدة الصريح من أعمال محافظة إربد. ونشأ فيها ودرس اللغة العربية وآدابها في جامعة بيروت العربية التي ظفر منها بالشهادة الجامعية الأولى عام ١٩٧٦ واشتغل بالتدريس بادئ الأمر، ثم في العلاقات العامة والثقافية في الجامعة الأردنية. انتقل بعدها لدائرة الثقافة والفنون التابعة لوزارة الثقافة والإعلام. وترأس تحرير مجلة أفكار الشهرية لبضع سنين، وأنشأ مع بعض الإعلاميين مجلة أسبوعية باسم الرائد تواصل صدورها بضع سنوات. وبعدها أنشأ مجلة فصلية باسم المواقف اهتمت بنشر الدراسات الثقافية، والفكرية، ذات الطابع الفلسفي والإسلامي. وعمل في الوقت نفسه باحثاً في المجمع الملكي لبحوث الحضارة الإسلامية. وفي مجال الصحافة تنقل من جريدة لأخرى قبل أن يستقر في الرأي. وعهد إليه المرحوم محمود الكايد بالإشراف على ملحقاتها الأدبية الثقافية. وإلى جانب ذلك عرف بصفته كاتب عمود شبه يومي قبيل أن تتخذ الجهات المختصة بمراقبة الحريات العامة قرارها بمنعه من النشر، بسبب آرائه التي لا تطيب لبعض المسؤولين.

والعجلوني - رحمه الله - بدأ مسيرته الثقافية شاعراً. فقد نشر أول مجموعة شعرية عن دار عويدات بيروت ١٩٧٣ بعنوان تقاسيم على الجراح. وفي العام ١٩٨٠ أصدر مع بعض الشعراء السوريين ديواناً مشتركاً بعنوان وحينما نلتقي. وفي ١٩٩٢ أصدر ديواناً آخر بعنوان طائر المستحيل وفي العام ٢٠١٨ جمع الدواوين المذكورة في واحدٍ نشره بعنوان الأعمال

الشعرية. وفي العام الحالي ٢٠٢٢ صدرت مجموعته الشعرية الأخيرة، وهي بعنوان « مقامات الصحو والشهادة ». وتضم بعض أشعاره التي لم ترد في الأعمال المذكورة.

ومن يقرأ أشعار العجلوني يلاحظ أن له صوتين مختلفين، أحدهما جهوري قوي، تغلب عليه الجزالة، وثانيهما خفيض باهت تغلب عليه نزعة التجريب، والخوض فيما لا يتفق مع طباعه الذاتية، وسجايه الأدبية. ونعني بذلك تلك القصائد التي اعتمد فيها وحدة التفعيلة بدلا من الوزن التقليدي المعروف. ففي واحدة من عُرر شعره يستعيد العجلوني الكثير الجم من الرموز المرتبطة بالفروسية العربية، والشهامة، والقوة، مستبعداً ما ينم على الحنين والبكاء والحسرة. فهو يخاطب بغداد بما يتناسب وأحوال حربها مع مجوس العصر، مذكرا بالرماح، والسيوف، والدياجير، والليوث، التي تغير على الأعداء إغارة الأسد على الفرائس، في يوم الروع الأكبر:

دعوتُ رماحِ العُربِ من كل مأسدٍ

وخضت بأقماري دياجيرها قُترا

ومنْ يجهل الجلىّ فهذي ليوثنا

ومن يستبين الموت يشقى به خُبرا

وما هي إلا صولةُ الحقِ صالحها

وما هي إلا الروح والفتنة الكبرى

فالراجل - عليه رحمة الله - لم يستطع أن يتحرّر من المعجم الشعري القديم وتأثيره. فألفاظ الشعراء المتقدمين تتواتر في الأبيات: مأسد، الروع، ليوث، دياجير، جلىّ، صولة الحق، وهي كلمات تغطي على قصائده الأخرى مثل: المكابد، وطريق الرجال، وأن الأوان، وجبل النار، وسيزيف والعبث، ودموع صعبة المراس.

في المقابل لا يجد القارئ في أشعاره الحرة - إذا جاز التعبير - ما هو قويّ، جزل، بمثل هذه الجزالة والقوة. وقد سُئل - رحمه الله - عن اختلاف شعره التفعيلي عن شعره الخليلي - نسبة للخليل بن أحمد - فقال إن ما أستطيعه من الشعر لا أرتضيه، وما ارتضيه من الشعر

لا أستطيعه. يذكرنا ما يؤثر عنه بهذا الشأن بالأصمعي الذي قيل له : « أنت تروي الكثير من الشعر فلم لا تقوله؟ فأجاب: الذي أريده لا يواتيني، والذي يواتيني منه لا أريده. أنا كالمسنن، أشحذ ولا أقطع ». ذكر هذه الرواية عن الأصمعي ابن عبد البرّ في إسناد له في كتابه بهجة المجالس ٢ / ٩٦.

وفي مجموعته الشعرية الأخيرة يجد القارئ نماذج لافتة للنظر. ففي مقام القرين يذكرنا بما كتبه المرحوم إحسان عباس عن قصيدة لسعدي يوسف تحت موضوع القرين. فالقصيدة « لنبي يقاسمني شقتي » وهي من ديوان الأخضر بن يوسف جيدة لحلم الشاعر في أن يكون له نظير، وهو يخوض في القصيدة صراعا مع نظيره. لهذا كانت القصيدة في رأي الناقد إحسان عباس جيدة لما فيها من التوتر بين صوت الشاعر وصوت القرين. وهو توتر يشدّ القارئ. ووجد بعض الدارسين قصيدة كقصيدة سعدي يوسف من حيث توظيف القرين، وهي قصيدة « مرثية الغبار » لشوقي بزيع. وفي «مقام القرين» يفترض العجلوني - رحمه الله - أن له قرينا، وأنهما مختلفان، ويظهر هذا الاختلاف في الجدل بين الاثنين:

هو صاحبِي وأكادُ أنكرهُ

لما بدا في عمق مرآتي

من أين جئت وأيّ مظلمةٍ

أمضتُك في قهري وإعناتي

قيدتني منذ كنتُ في قرنٍ

ومنعني أن أجتبي ذاتي

وإذا سموتُ وشاقني أملٌ

أطفأت في أفقي عزيماتي

ألزمتني ما ليس أقبله

وبعثت في قلبي عماياتي

بئس القريئُ وبئس ما احتملت

هذي الملامحُ من خطيئاتي

وأياً ما كان أمر شعره، فإن انصرافه إلى الفكر والبحوث والقراءات الفلسفية والمقالات شغله عن العناية بذلك الجانب من آثاره. فهو مشغول بالخطاب القرآني تارة، وتارة بالفكر القومي. وطورا بالثقافة، وعلاقتها بالحاضر والمستقبل وبالديمقراطية وأنظمة الحكم والسياسة. وطورا آخر بجدلوية العلاقة مع الآخر. وهذا ما أوحى له بمادة الكتاب « نحو حوار مع الأمريكان ». وشغل أيضا بالصحافة ومقالاتها التي جمع منها كتبا نشرت بعنوان الشذرات. وشغل بأعلام الأدب والفكر والشعر فنشر (كتبٌ وشخصيات) عام (٢٠٠٤) وشعر وشعراء (٢٠٠٤) وكتب القصة القصيرة وله منها (الوجه) ١٩٨٦ و(من مفكرة رجل يحتضر) ٢٠٠٠ ومن مظاهر اهتمامه بالصحافة ما نجده في كتابه « في الإعلام ومسؤولية الكلام » أما الفلسفة، فقد صنّف فيها وألّف: قطوف دانية، وصفوة الاعتبار، ومسلمون وصهاينة وأمريكان (٢٠٢١) وشيء من الفلسفة (٢٠١٩) والوعي المتمرد (١٩٩٤) ودفاعا عن العقل (١٩٩٢).

وإذا كان الأديب العجلوني قد فارقتنا جسدا فإنه باق بيننا روحا وشعرا وفكرا، رحم الله أبا سلطان وغفر له وعفا عنه ولترقد روحه بسلام.

إبراهيم العجلوني...

على روحه السلام والرحمة

مرَّ أربعون يوماً على وفاة نسيبي العزيز المفكر العربي الإسلامي إبراهيم خليل
العجلوني، على روحه السَّلام والرحمة

المحامي إبراهيم سليمان القطاونه

سَلامٌ عَلَى صَاحِبٍ قَد تَوَى
بَارِبَدَ تَحْتَ النَّدى وَالْمَدَى
سَلامٌ عَلَى الْقَبْرِ أَضْحَى بِهِ
كَرِيمُ السَّجَايَا طَوَاهِ الرَّدى
فَقَدْ كَانَ لِلْفِكْرِ نَبْرَاسَهُ
وَنَافَحَ عَنِ دِينِهِ الْمُفْتَدَى
وَجَادَلَ فِي الْحَقِّ أَهْلَ الضُّلالِ
وَكَانَ بِمَنْطِقِهِ مُرْشِداً
وَفِي الشَّعْرِ كَانَ لَهُ مَجْلِسٌ
قِصَائِدُ تَتَرَى بِهَا مُنْشِداً
فِي أَبَاسِ لَطَانَ هَذَا الْأَسَى
يُروِحُ وَيَغْدُو كَرَجَعِ الصِّدى

فَقَدْ كَانَ فَقْدُكَ مُرَّاً بِهِ
شُؤُونُ الْمَآقِي غَدَتَ مَوْرِدَا
فَلَيْتَ الْمَنَايَا الَّتِي فَرَّقَتْ
لِقَاءَ الْأَحِبَّةِ كَانَتْ سُدى
فِيَا فَيْلَسُوفَ الزَّمَانِ الَّذِي
يَمُوتُ النَّبِيلُ بِهِ كَمَدَا
فِيَا لَيْتَ أَنَّ الْمَنَايَا أَتَتْ
لِتَأْخُذَ ضَلِيلَ أَوْ مُلْحِدَا
وَتُبْقِيَ الصَّدُوقَ الَّذِي مَا انْحَنَى
وَلَا هَانَ فِي دِينِهِ أَبَدَا

كلمة رثاءٍ ووفاء

أحمد حسين السويطي

رحل إبراهيم العجلوني عن دار الدنيا بعد أن ترك لنا كنزاً نفيساً من خلال مؤلفاته في الشعر والأدب والنقد والفكر. ولقد أجاد حيثما صال وجال بفضل لغته العالية وأسلوبه المميّز ونهجه الثابت دفاعاً عن قضايا الإسلام والعروبة. وإبراهيم من أهل الريادة، فلا يكذب أهله أو يَظنُّ عليهم، فسخر قلمه وعصارة فكره وهو يدعوننا إلى التماسك والتعاضد وإلى الوقوف صفّاً واحداً من أجل الذّب عن حمانا والعودة إلى تراثنا فهو مصدر أصالتنا ومرجعيتنا. وأين لنا في الساحة كمثله، إذ يتصدّرنا أشباه المثقّفين ممن يتلوّنون في كل حقبةٍ كما تفعل الحرباء، وبعضهم يدعو للتّغريب. ولقد غدا مَوردنا آسناً، سُقياه سُمّ زعافٍ، فنحن على منزلتٍ خطيرٍ، وأمام هُوّةٍ سحيقةٍ يُراد لنا أن نساق إليها كالقطعانِ السّائبةِ وصولاً بنا إلى التّهلكة أو الضّياع في متاهات الأمم البائدة.

عشق إبراهيم لغة القرآن الكريم فنطق بلسان قومه وعاد إلى التراث مما أَلّف جهابذة العربية، فهذا هو معينه السلسبيل وهذا هو الرّضاب الذي يُشفي الغليل. ولكن الراحل استشعر أيضاً الخطر المحدق بثقافتنا وهويّتنا الحضاريّة فهو يخشى عليها أن تُجثّت من على حدة الأرض فنندثر. ولغتنا هي رافعتنا الحضاريّة والإنسانيّة وهي وسيلة التخاطب أيضاً، فلو أننا عجزنا عن رفدها وممالاتها فنحن أعجز عن الدخول في حوار الثقافات والحضارات لأننا سندخل المعركة مجرّدين من كل سلاح. وأمّتنا تقف على مفترق طرق، فهناك دعاة التّغريب في ناحية وهناك كهنة الجمود والتجبر يتّسمون بالبلادة والانغلاق. وبين هذين الفريقين نجد أجيالاً تائهة تبحث عن هويتها وتكتفي بقشور الآخرين تقتاتُ عليها، وكأنها قد

انتزعت من لِحْمَتِهَا فهذا ما يُسهِّل على أعدائنا العمل على استئصال شأفتنا حتى نتحوَّل إلى أشتاتٍ أو شراذمٍ قابلةٍ للترويض والتهجين والتطويع.

لقد غدا عالمنا أشبه بقريةٍ كبيرةٍ في ظل التطوُّرات التكنولوجية العديدة فلا يمكن التَّقوُّع، كما لا يجوز لنا التَّفرُّط بموروثنا الثقافي والحضاريِّ. والأصالة الحقة تستوعب الحدائث العلمية والتقنيَّة وتستفيد بل وتتلاقح معها دون أن تتخلَّى عن توليفتها فهي جماع الماديِّ والروحيِّ. وهكذا تصبح الحدائث القائمة على منظومة المبادئ والأخلاق وسيلة لتعزيز الأصالة وتفتُّحها ورحابة آفاقها. وما لم نعمل في هذا الاتجاه فإننا سنُدْفَع إلى هامش التاريخ لتتقرَّم شخصيَّتنا ويضمحلَّ تأثيرنا. ولا بد لنا أن نستنهض قوتنا الكامنة الرَّافعة لنواجه التحدِّيات المصيريَّة فنخلصُ أمتنا من هذه اللجاجة العمياء ونبادرُ في الوقت ذاته إلى الإصلاح بما يدفع شعوبنا إلى العمل والإنتاج فهذا هو سبيل التقدُّم.

كان العجلوني غيورا على أمته، فقد هاله طغيان أبواق التَّهريج التي تضلَّل العقول وتعبث بمسار الأمة. والدواء لا يتأتى بتبني علمانيَّة الغربِ فهي واهية الأركان وسطحيَّة المظهر بعد أن فقدت الجوهر وكَلَّت البصيرة. ولقد رأى فقيدنا إلى بعض من سقطوا منبهرين ببريق هذه العُلْمانيَّة حتى أصبحوا كجوقه عمياء، تعزف لها. كما رأى إلى أسراب جامحةٍ من أبواقِ أجادت فنون التزلف والادهان. وإبراهيم كالصقر لا يعرف إلاَّ التَّحليقَ عالياً فهو كان يربأ بنفسه الأبيَّة عن السقوط والابتذال. وكفى الله المؤمنين القتال.

واجه إبراهيم ظروفاً قاسية وجفاءً ممن سدَّ أمامه سُبُل التَّواصلِ مع قرائه أو لمن ضيَّق عليه الخناق، إلاَّ أنه بقي كالطود صلباً، يتعفَّف ولا يتزلف. ولقد انكشف أمامه العُوار، كما وضح له النَّهار، فاكتفى من دنياه بالقليل قنوعاً صابراً لا تستهويه البهارج والزخارف. ولقد كان ذا عاطفة جيَّاشة يذرفُ الدَّمع ويحنو على المستضعفين ويدافع عنهم ما وسعه ذلك. ولقد كان إبراهيم فارس الكلمة الصادقة المعبرة عن ضمير أمتنا في زمن عزَّ فيه إيجاد الفرسان، بعد أن تحولت الميادين فصارت وقفاً على المتلفعين بعباءة الثقافة يميلون إلى مظانِّ الهوى ويتميلون مع كل ريح طمعاً في نضارة العيش أو لنيل مجدٍ وشهرةٍ كاذبة.

تعرَّفْتُ على فقيدنا قبيل سنوات قليلة، فقد كان يجالِد ويجاهد بعد أن شعر بالخذلان. ولقد واجه صعوبات عديدة، فأزهقت جسمه الرقيق وكاهله أحمالاً وتبعاتٌ كلَّ تحت وطأتها

فناء بها لأنها كانت من الثَّقَلِ عليه. وتوقف قلبُ مُرهفٍ حسَّاسٍ عن الخَفَقانِ ليصعدَ الروح
إلى بارئه في صمت. ولقد تركَ الرجلُ لنا تراثاً زاخراً، فهل تقوم الأجيالُ الشَّابةُ بتدارسه
والإفادة منه في المستقبل؟

أحبَّ إبراهيم العجلوني بلده الأردن بكل حواضرها وبواديها كما تعشَّق توأمها فلسطين
غربيَّ النَّهرِ وتبني قضيتَها فهي قضية العرب الأولى. وإبراهيم ذو جذور عميقة تربطه بصفتي
النَّهر الخالد بل وبلدتي دورا في جبل الخليل كما كان يُذكِّرني بين الحين والآخر. ولقد فقدت
برحيله صديقاً عطوفاً صدوقاً، وجواداً خلوقاً يتمتَّع بسجايًا ومناقبيَّةٍ عالية.

رحم الله الفقيد وتغمَّده باللُّطف والغُفران والإحسان وأسكنه فسيح الجنان، وألهم آله
الصَّبر والسلوان، وإنا لله وإنا إليه راجعون.

في رثاء إبراهيم العجلوني

شعر الدكتور باسل الرفاعي

- جامعة مملكة البحرين

أيها الراحل المقيم سلاما
قَطَع القلب أن قطعت المقاما
لم فارقتنا وقد كنت ركنا
لنفوس تصارع الأياما
غاب عنا السنا وقد كنت فينا
كوكبا بالسنا يذود الظلاما
لم أخليت موضعا كنت فيه
للمعالي جنديها المقداما
نحن في ساحة الوغى وقد كنت فيها
في طعان المستغربين حُساما
لم فارقتها نحن إلى من
كان للمدلجين فيها إماما
أسئمت القتال؟ مثلك لا يسـ
أم ضربا ولا يمل صداما

أَكْرَهْتَ الْبَقَاءَ بَيْنَ أَنْاسٍ
تَكْرَهُ الْبِرَّ أَوْ تَسِيغُ الْأَثَامَا!
أَنَا لَا أَنْكُرُ الَّذِي كُنْتَ فِيهِ
مَنْ أَدَى يَجْعَلُ الْحَيَاةَ سَقَامَا
بِيدِ أُنِي فِيكُمْ فَفَقَدْتُ خَلِيلَا
فِي لَيْالٍ تَسَامِرُ الْأَحْلَامَا
يَنْشُدُ الْحَقَّ فِي زَمَانٍ غَرِيبٍ
يَتَبْنَى أَبْنَاءَهُ الْأَوْهَامَا
أَرْجُوْتُ الْخِتَامَ بَعْدَ جِهَادٍ
وَأَيَادٍ بَيْضٍ تَزِينُ الْخِتَامَا؟
مَا طَلَبْنَا الْحَيَاةَ إِلَّا اصْطَبَارَا
وَجِهَادَا بِهِ نَنَالُ الْمَرَامَا
نَحْنُ فِي الْحَقِّ عَصَبَةٌ إِنْ فَقَدْنَا
وَاحِدًا أَصْبَحَ الْجَمِيعُ يَتَامَى
وَإِذَا غَابَ وَاحِدٌ ضُرِبَتْ
فِي الْقَلْبِ ضَرْبًا يَذِيبُهُ آلَامَا
الْهَمُومِ الَّتِي دَهَتْكَ بِنَاتِ الْحَرْبِ
يَغْشَى غِبَارَهَا الصَّمْصَامَا
هِيَ فِي الْقَبْرِ زِينَةٌ لَكَ فَانْعَمْ
زَادَكَ اللَّهُ بِالرَّدَى إِنْعَامَا

وهي في ساعة الحساب شهود
لك في الصالحات تعلي المقاما
أنت أهديتنا حقائق شتى
من بنات الألباب تهدي الأناما
سترى الحق خالصا فتراها
درجات من النهى تتسامى
أتسوق الحديث عنها إلينا
فنريد الأخرى ونهوى الحماما؟
ونرى فتنة الرغام فلانبغى
عبيداله تساوي الرغاما
لست أنسى مجالسا جمعتنا
ولو ان اللقاء كان لماما
تلك كانت مجالسا زادت
الأشواق في الروح شدة وضراما
ونسمنافيهالووداد عبيرا
فاق في طيبه عبير الخزامى
كان طيب اللقاء فيهن جاما
وشجون الفراق من بعد جاما
جئت خيرا منها مجالس قوم
من كبار النفوس كانوا عظاما

بخل الدهر بالكرام ففارقت
بنيه لكي تلاقى الكراما
ما أرى الموت غير يد للحم
بق بيضاء قلدتك الوساما
قد تركت الصغار تحيا صغارا
رضيت فيه أن تعيش سواما
إن للصالحين بالموت يوما
من جلال يشرف الأياما
وعلى قدر ما تواضعت للحم
بق جزيت الإكبار والإكراما
ما وساد التراب مثل وساد
في حشا القلب فيه شخصك دام
قد تركت العداة دون انتقام
وكذا الحق ناب عنك انتقاما
قد طويت الكتاب لما رأيت
الأمر وافي فيما كتبت التماما

مرثية لسيد الفلك..

العجلوني إبراهيم

د. بسام الهلول

...يا سيد الفلك...

..غادرتنا...فمن يقف في وجه (الهزيمة)...

...غادرتنا..فمن يقف في وجه (الانهيار)...

...غادرتنا والجبناء يفرون..منها..

...وكنت اذ ذاك تلجم جواد المياه..وتنقل على كتفيك..القُلة والقلتين...لان الماء اذا

بلغ هذا الوزن..لايحمل خبثا...

..تستبق الزمن...تحاول بناء سدّ من الحجارة

...غادرتنا..وما زالت الكلمة منك..آنج من بلد..لم تعد فيه الروح..

..طوبى لك..ايها العجلوني..لقد طعمت خبز هذا الوطن ولم تدر له الظهر..وان أداروا

لك الظهر..

..أيها العجلوني..لم تصالح..على الدم..حتى بالدم..كنت يدا لم تتساوى..بيد سيف

أثكلك

...يا إبراهيم...كل الأشياء رضيت بها سوى الذل...

ساوموك أن يكون قلبك في قفص بنت السلطان..لكنك قنعت بأن يكون من الدنيا نصيبك

..نصيب طير..

...لم يرضَ السياسي الدون عنك.. لأن السياسي كما يقول (غرامشي).. لن يرضى عن
الفنان والأديب..

...وأصررت أن تفتح الدرب.. وكنت على قناعة أنها نهايتك...

..عرفتك كاتباً.. وحققت في كتابتك ما ارتقى اليه (باختين).. في زمنه (الكرونوتوب).

...إبراهيم... إنك حكاية وطن مستعاد من خاصرة (الالاهاه).. عبر ما كتبت في زمن (
البدد)..

...أيها العجلوني....

...لقد غمرت بعسجدك.. تراب الأردن.. ذلك أنك من طينه

وجسدك من مائه... رغم ما صنعوه ويصنعونه على أن يكون منازل (الأقنان)...

....أيها العجلوني...

..بيتي على كتف الريح..

..والليل ما خلا على شبكي حلم يرتاح.. والحيطان.. عم تحكي مع الجدران.. والأرض

عم بتسمع بكى وتنويح (نواح)..

..أيها الصخب... اخفضوا الصوت للجرس... خذني معك.. لمين تركتني..

...وجهك مثل حفلة قمح.. نيال ياللي نام..

..دقوا مهاييج البكا..

..انت البرج اللي جاي

وافتحني يا جنات خلدك.. وقولي خلّ... إبراهيم يفوت..

..وخلينا احنا.. عشب داشر فوق هالحيطان...،،، (بعينيّ قطامي). ...تأوّب العجلوني

مرقبا)...،،،، ابو سلطان والرفع اولى هنا... لانك (حكاية)... كما ورد عند ابن عقيل في

الفيتة النحوية ..

لماذا مضيت وتركتنا... ألم تك شوكة في جنوبهم وغصة في حلوقهم
لماذا لم تعلم كم هو ممض وجع رحيلك!!!! لم أخذت السيف...؟!
كنت منا... مسافته من قرابه

واستبقيت القُراب ؛ أي خروج هذا؟! أبا سلطان ... لم اخترت طريقا غفاريًا ؟ الان
عقلت كي تشهره... في وجوه من ولغوا وركنوا إلى سفالاتهم ...
...من ذا ينعني أن أكون هنا بين يدي غيبتك (مقاسبا) بل (مترحلا)... بل (شوموريا)...
هل تقبل مني اقتباسا من مرثية (درويش).. في (مرثاة).. (عدوان)... ذلك أي أخ له في اللطم..
وهي مسألة حجرية.. لا خلف في التوريث... يا... ابن الحياة... الحر المتعالي على المتعالي..
من فرط ما انحنيت التزام جندي أمام سنبلة..
... نظرت حزينا غاضبا... إلى نعال الفقراء المثقوبة فكنت منحازا إلى طريقها.. الممتليء
بغبار الشرف...

...كنت ساعتها معك وهو يحاورك أتذكره؟. فألحفت علي بالسؤال!!!
... ذلك الذي سألك ماذا تعني بكلمة (الشرف).. ما معنى هاته الكلمة ؟
...فتشت عنها فلم أجدها في معجمنا السياسي ذي الطبعة الجديدة...
...أيهذا الصديق... أتعلم كم هو حبك!؟؟... عاتب عليك....
لم مضيت؟؟!!!! وتركتنا... أيتاما في مأدبة لثام
...رحم الله أبو سلطان... (والرفع)... هنا أوجه ذلك أنك (حكاية)... كما يقول النحاة..
بل وأوجه... لا. تعدد للقراءات..

الفيلسوف الناقد

إبراهيم العجلوني رحمه الله

حارث الأزدي / العراق

فيضٌ من النورِ والإيمانِ يدنيني
من ساحةِ الطودِ إبراهيمَ عجلوني
فليرحمِ اللهُ نبراسًا أضياءً لنا
سوحًا من الفكرِ أغزوها فتغريني
لولا التفكرُ سادَ الجهلُ عالمنا
تلك الإضياءُ من فكرٍ ستحييني
الدهشةُ الآنَ في ترتيبِ قافيتي
قصائدُ الشعرِ أغزوها فتغزوني
قرأتُ سفرًا فما في السفرِ غيرُ يدٍ
عطاؤها كشرعٍ جدُّ مأمونٍ
يا بن الكرامِ إذا غبتم فإنَّ لكم
نورًا من الحقِ يُعليكم عن الدونِ

رحمأك رحمأك يا رباهُ إنَّ له
فهَّمًا هو الحقُّ جلَّ اللهُ يَحْمِينِي
ثَبَاتٌ عَزِمَ لَهُ فِي النِّقْدِ مَنْزِلَةٌ
بِفَلْسَفَاتٍ لَهُ مِنْ سِرِّ تَكْوِينِ
هَذَا قِصَائِدُهُ فِي بَوَاحِهَا أَلْقَى
تَكَادُ تَجْمَعُ بَيْنَ الْجِيمِ وَالسِّينِ
نَعِيشٌ مِنْ فَيْضِهَا مَعْنَى نَحْنُ لَهُ
يَذُوبُ فِي حَسَنِهَا حَرْفٌ بَتَلْحِينِ
عَلَّامَةُ الرَّأْيِ وَالْأَفْكَارِ رَائِدُنَا
يَدُومُ ذِكْرُكَ فَاقْبَلْ صِدْقَ تَأْبِينِي
هَذَا قِصِيدُ عِرَاقِيٍّ يُكِنُّ لَكُمْ
كُلَّ احْتِرَامٍ لِمَا نَافَحْتَ عَنْ دِينِي

في وداع

إبراهيم العجلوني

د. حسن جمعة حماد

وكالة عمون

١١-١٢-٢٠٢٢

بانتقال إبراهيم، إلى الرفيق الأعلى فقد طوى الموت علما من اعلام الثقافة والفكر والصحافة في الأردن، فقد كان رحمه الله نموذجا للمبدع الذي حمل هموم وطنه وأمته ودافع عن حقوق الإنسان وكرامته .

إن الأخ إبراهيم، الذي عرفته وزاملته بأكثر من ربع قرن، كان من الأشخاص الذين يضيئون الحياة بتواضعه وعزة نفسه وبما يملك من السماحة والوفاء، كما كان الإنسان الوفي غاية الوفاء لوطنه ودينه وأمته، فلقد سخر قلمه ولسانه لمصلحة وطنه وأمته والدفاع عن قضاياها والحرص على حرية وعزة الإنسان فيها، كما وقف حياته وفكره للذود عن الإسلام وحراسة قلاعه من المغيرين عليه من أعدائه الصرحاء في الداخل والخارج ومن المنافقين الذين يتمسحون بالإسلام وهم الأشد خطرا عليه وعلى المسلمين وتجلى هذا في ما سطره من كتب ومقالات ومن خطب ومحاضرات، تكشف عما يملكه الإسلام من قدرات هائلة ومتجددة على العطاء مهما يختلف الزمان والمكان.

وكان يؤمن أن الأمة التي لا يتصل حاضرها بماضيها خليقة أن تضل السبيل، وأن الأمة التي لا ماض لها لا مستقبل لها ..

إن إبراهيم رحمه الله، خلال حركته في الحياة قد عرف كيف يصمد في وجه المتاعب والعواصف التي مرت عليه ويتعالى عليها بالصبر والرضا، ولم تشغله عن هدفه السامي،

فاستطاع بكتبه التي تجاوزت الاربعين ومقالاته العديدة، أن يعيد الاعتبار لمفهوم المثقف الموسوعي، ويمكن القول بأمانة إن حياته وكتبه وتصويراته في الأدب والثقافة، جعلت منه في نهاية الأمر شاهداً أميناً على عصره ..

كان إبراهيم أديبا كبيرا وشاعرا وصحافيا مجيدا، شارك بقلمه وقلبه وفكره في صياغة وصناعة الثقافة، وتعميق الوعي من خلال المجالات الثقافية التي تولى المسؤولية فيها، فضلا عن إشرافه على الملاحق الثقافية في الصحف لسنين عديدة ولأهمية إنتاجه الأدبي والفكري، تم إعداد ثلاث رسائل ماجستير ورسالة دكتوراة - كما اعلم - في حياته.

ويقول عنه العلامة ناصر الدين الأسد: « إبراهيم العجلوني صاحب أسلوب لا يخطئه القارئ بين ما يقرأ من أساليب، فهو صاحب المعنى الغزير في اللفظ اليسير .. » .

رحمة الله عليك أبا سلطان، وطبت حيا وميتا، وغفر الله لك ورحمك وجزاك عن دينك ووطنك وأمتك خير ما يجزي به العاملين الصادقين وأن يدخلك مداخل الصالحين الأبرار ..

في رثاء الأستاذ المفكر الأديب:
إبراهيم العجلوني.. (أبو سلطان)

الشاعرة: حكمت العزة

فقل لي كيف يسعفني البيان
أمام الموت قد صمت اللسان
رحيلك كان خطبا أي خطب
ترجل فارس وذوى السنان
أبا سلطان لم تحفل بدنيا
عيفا كنت غايتك الجنان
نظرت إلى المعالي في كبير
وكنت لها الكبير، فلا يهان
وقد سطرت آدابا كنوزا
لها في الناس إكبار وشان
ومن عجلون إشعاع لشمس
تضاء بها على فرح معان
وكم أفنيت عمرك للمعالي
تعبت لها... يساورك افتتان

إلى أوج العلا قد كنت تسعى
ونجمك ما يزال له مكان
فما غيبت في موت فتنسى
أينسى من له هذا الكيان!!
أبا سلطان أردن النشامى
حصان ليس يبلغه حصان
فأنت الأرض سوسنة وشيخ
وقيصوم لها عزف الكمان
وفي كفيك فيض ... من رحيق
وفي الأعماق يختزل الجمان
وليس مماتك الأيام تطوى
سينشرها على الأخرى بنان
بكينا والدموع تسيل حرى
لمثلك بات يبكي الأقحوان
فكم أسقيته من نبع حب
يضمك إذ دعاه الامتنان
وإن عشنا سنينا من عجاف
سنابلك البشارات السمان
نفيس الحرف معدنها عقيق
حسان ليس يشبهها حسان

فإما قد جعلت الدين نهجا
وأخلاقا لها الشرف المصان
أصاحب والدي هل كان لقيا
كما الدنيا وفي الأخرى احتضان
فإن قصرت في حرفي فإني
أمام الفقد يهتز الجنان
لأسرتك المعزاء على اصطبار
جميل الصبر في البلوى امتحان
وإن الفقد تعجزه القوافي
وفي التفسير يعجز ترجمان
على الدنيا سلام حين نمضي
على الناس المحبة والأمان
فمن باب إلى باب رحيل
وإن عشنا سيطونا الزمان
سوى الذكرى عطور سوف تبقى
وينشرها يخلدها البيان
تهب عليك أنسام .. فتشدو
وفي عينيك يشتعل الحنان

رثاء العلامة إبراهيم العجلوني

رحمه الله رحمة واسعة

شعر : سعيد يعقوب

نَبَأَ أَطَارَ النَّوْمَ عَنْ أَجْفَانِي
وَأَسْأَلَ مِنْهَا الدَّمْعَ حِينَ أَتَانِي
أَذْمَى فُوَادِي حَسْرَةً وَتَفَجُّعًا
وَبِمُهْجَتِي أَدْكِي لَطَى النَّيْرَانِ
وَأَهَاجُ بِي مَا كُنْتُ أَحْسَبُ أَنَّهُ
قَدْ جَفَّ بَعْدَ تَتَابُعِ الْأُحْزَانِ
فِي كُلِّ يَوْمٍ رَاحِلٌ مِنْ إِخْوَتِي
لِلَّهِ نَابُ الْفَقْدِ كَمْ أَذْمَانِي
يَا مَوْتُ مَا أَبْقَيْتَ لِي مِنْ صَاحِبٍ
وَفَجَعْتَنِي فِي صَفْوَةِ الْإِخْوَانِ
إِنَّ الَّذِي يُرْخِي الزَّمَانَ زَمَامَهُ
يَضَلِّي بِفَقْدِ الْأَهْلِ وَالْخِلَانِ
وَكَأَنَّمَا مَنْ مَاتَ فِي عُمْرِ الصَّبَا
أَمِنَ الْأَسَى مِنْ لَوْعَةِ الْفُقْدَانِ

وَكَأَنَّمَا الْمَحْظُوظُ فِي الدُّنْيَا الَّذِي
 عُصِمَ الْأَدَى مِنْ فُرْقَةِ النُّدْمَانِ
 رَبَّاهُ هَذَا أَيُّ يَوْمٍ أَسْوَدٍ
 لَمَّا نَعَى النَّاعِي (أَبَا سُلْطَانَ)
 نَعِي أَصَمَّ مِنَ الْفَجَاءَةِ مَسْمَعِي
 وَهَوَى بِهِ صَبْرِي وَهَزَّ كِيَانِي
 مَا دَتْ بِي الدُّنْيَا وَخَارَ تَجَلُّدِي
 وَتَزَلَّزَلْتُ مِنْ وَقْعِهِ أَرْكَانِي
 لِيهِ أَيُّ عِمَادٍ عِلْمٍ قَدْ هَوَى
 لَيْتَ الَّذِي يَنْعَاهُ كَانَ نَعَانِي
 مَنْ كَانَ لِلْأَخْلَاقِ أَكْبَرَ قَلْعَةٍ
 وَمَثَابَةِ الْأَدَابِ وَالْإِيمَانِ
 فَإِذَا جَزَعْتُ عَلَيْهِ لَمْ أَجْزَعْ سِوَى
 لِأَخٍ كَرِيمٍ طَاهِرٍ الْأُرْدَانِ
 وَإِذَا بَكَيتُ عَلَيْهِ أَبْكِي لِلَّذِي
 أَعْطَى بِإِخْلَاصٍ وَكُلَّ تَفَانِ
 وَإِذَا رَثَيْتُ فَمَا رَثَيْتُ سِوَى فَتَى
 عَفَّ السَّرْبِرَةَ ثَابِتِ الْأَلْوَانِ
 يَمْضِي الزَّمَانُ وَمَا تَغَيَّرَ جِلْدُهُ
 كَتَغَيَّرَ الْحِرْبَاءُ كُلَّ أَوَانِ

رَجُلُ الْمَبَادِي لَمْ يَكُنْ مِمَّنْ يُبَا
عُ وَيُشْتَرَى بِالْأَصْفَرِ الرَّنَانِ
رَجُلُ الْمَوَاقِفِ كَمْ أَشَارَتْ نَحْوَهُ
كَفُّ، لِرَفْعَةِ قَدْرِهِ، بِبَنَانِ
لَمْ أَنْسَ يَوْمَ وَقَفْتَ وَقِفَةَ مُنْصِفِ
تُثْنِي عَلَيَّ مَا جَاءَ فِي دِيَوَانِي
فَرَفَعْتَ قَدْرِي مِنْ نَّةٍ وَتَكَرُّمًا
وَذَهَبْتَ بَيْنَ النَّاسِ تُعْظِمُ شَانِي
حَتَّى أَثَرْتَ عَلَيَّ حِقْدَ حَوَاسِدِي
وَأَغْظَتِ كُلَّ مُكَابِرٍ عَادَانِي
فَإِذَا أَتَيْتُ أَفِيكَ حَقًّا إِنَّنِي
أَجْزِي عَلَيَّ الْإِحْسَانَ بِالْإِحْسَانِ
مَا كُنْتُ أَنْكِرُ لِلْكَرِيمِ صَنِيعَةً
وَعَلَى الْجَمِيلِ أَرْدُ بِالنُّكْرَانِ
مَا كَانَ (إِبْرَاهِيمُ) إِلَّا قِصَّةً
لِلصَّبْرِ قَدْ كُتِبَتْ بِأَحْمَرَ قَانَ
شَقَّ الطَّرِيقَ مِنَ الصُّخُورِ بِعَزْمِهِ
فَإِذَا خُطَاهُ عَلَيَّ ذُرًّا كِيَوَانِ
وَهُوَ الْعِصَامِيُّ الَّذِي بَلَغَ الْمَدَى
مِنْ غَيْرِ رَافِعَةٍ وَلَا سُلْطَانِ

مَا كَانَ أَفْصَىٰ هَمِّهِ الدُّنْيَا وَمَا
فِيهَا رَأَىٰ إِلَّا مَتَاعًا فَنَانِي
بَلْ كَانَ مَطْلَبُهُ السُّمُورَ إِلَى السَّنَا
لِيَطِيرَ نَحْوَ الْعَالَمِ النُّورَانِي
قَتَلَ الْمُيُولَ بِنَفْسِهِ حَتَّى نَجَا
مِنْ هُوَّةِ الْأَهْوَاءِ وَالْأَذْرَانِ
مُتَطَلِّعًا لِلنَّغَايَةِ الْكُبْرَى الَّتِي
عَصَمَتْهُ مِنْ رُبْحٍ وَمِنْ خُسْرَانِ
حَمَلَتْهُ أَجْنِحَةُ الضِّيَاءِ لِمَنْزِلِ
سَامٍ بِقَلْبِ الْعَالَمِ الرَّوْحَانِي
طَلَبَ الَّذِي يَبْقَى وَلَا يَفْنَى عَلَى
مَا يَفْتَضِي مِنْ فَادِحِ الْأَثْمَانِ
وَرَأَى الْعَطَاءَ كَأَنَّهُ أَخَذَ وَلَمْ
يَوْمًا يَكُنْ بِالْأَسْفِ النَّدْمَانِ
وَالنَّفْسُ إِنْ تَكْبُرَ فَإِنَّ لِرَبِّهَا
لَذَّ الَّذِي يَلْقَاهُ مِنْ حِرْمَانِ
وَرَأَى الْمَسْرَةَ فِي الَّذِي يَلْقَاهُ مِنْ
عَنْتٍ وَمَا قَدْ كَانَ مِنْهُ يُعَانِي
يَا صَاحِبَ الْفِكْرِ النَّقِيِّ تَحِيَّةً
تَأْنِي إِلَيْكَ بِجَنَّةِ الرِّضْوَانِ

مَا بَيْنَ أَنهَارٍ وَظِلٍّ وَارِفٍ
فِي الْخُلْدِ بَيْنَ الرُّوحِ وَالرَّيْحَانِ
فَاهْنَأُ بِمَا نُوِّلتَ مِنْ أَعْلَى المُنَى
مُتَنَعِّمًا فِي رَحْمَةِ الرَّحْمَنِ
هَذَا هُوَ الفَوْزُ العَظِيمُ وَإِنَّ مَنْ
يَظْفَرُ بِهِ يَظْفَرُ بِكُلِّ أَمَانٍ
يَا صَاحِبَ الشَّيْمِ الرَّفِيعَةِ لَوْ أَنَا
أَخَصَيْتُهَا عَدَا لِكُلِّ لِسَانِي
مَاذَا أَحَدْتُ عَنْ نَقَاءِ سَرِيرَةٍ
وَطَهَارَةٍ وَتَسَامُحٍ وَحَنَانٍ
وَمُرُوءَةٍ وَشَهَامَةٍ وَأَصَالَةٍ
وَفَصَاحَةٍ وَبَلَاغَةٍ وَبَيَانٍ
وَجَرَاءَةٍ فِي الحَقِّ لَمْ تَرْهَبْ بِهَا
أَحَدًا وَلَمْ تَتَّبِعْ خُطَا شَيْطَانٍ
مَا كُنْتَ إِلَّا رَمَزَ كُلِّ فَضِيلَةٍ
وَكَذَا يَكُونُ العَالِمُ الرَّبَّانِي
شَهِدَتْ لَكَ الأَسْفَارُ وَهِيَ نَفِيسَةٌ
بِفَضَائِلٍ تَعَصِي عَلَى الكِثْمَانِ
فِكُرِّ طَلِيقٍ فِي الفَضَاءِ مُحَلَّقٌ
لَا قَيْدَ يَثْنِيهِ عَنِ الطَّيْرَانِ

تَجْتَابُ أَمْدَاءَ الزَّمَانِ مُسَافِرًا
وَتَغُوصُ فِي أَعْمَاقِ كُلِّ مَكَانٍ
دَافَعْتَ عَنِ قِيَمٍ لِحَيْرِ حَضَارَةٍ
هَدَفْتَ لِصَوْنِ كِرَامَةِ الْإِنْسَانِ
بُنَيْتَ عَلَى أُسُسِ الْعَدَالَةِ وَالتَّقَى
وَهُمَا عَلَى الْإِنْصَافِ خَيْرُ ضَمَانِ
أَنْتَى تُضَعِّضُهَا الْحَوَادِثُ إِنْ جَرَتْ
مِنْ حَوْلِهَا حَمَمًا مِنَ الْبُرْكَانِ
وَذَبَبَتْ عَنْهَا كُلُّ شُبُهَةِ زَائِغٍ
مِمَّنْ حَشَاهُ تَفِيضُ الشَّنَانِ
مُتَسَلِّحًا بِالْحَقِّ تُفْحِمُهُ بِمَا
أُوتِيَتْ مِنْ عَقْلِ وَنُورِ جَنَانِ
وَبِمَا تُقَدِّمُ مِنْ دَلِيلٍ وَاضِحٍ
وَتُقِيمُهُ مِنْ سَاطِعِ الْبُرْهَانِ
لِلَّهِ أَنْتَ مُدَافِعًا عَنِ أُمَّةٍ
مُنِيَتْ بِكُلِّ مَرَارَةِ الْخِذْلَانِ
يَا شَاعِرًا كَمْ قَدْ سَبَّانَا لَفْظُهُ
لَمَّا جَرَى كَالسُّحْرِ فِي الْأَذَانِ
صَوَّرْتَ بِالْمَعْنَى الدَّقِيقِ عَوَاطِفًا
كَمُنْتَ بِعُمُقِ الرُّوحِ وَالْوَجْدَانِ

كَمْ أَذْهَلْتَنَا فِي قَصِيدِكَ صُورَةً
لَمَّا جَلَّتْهَا رِيْشَةُ الْفَنَّانِ
وَشَغَفْتَنَا حُبًّا بِمُبْتَكِرِ الرَّؤْيِ
وَبِمَا تَقَدَّمُ مِنْ جَدِيدِ مَعَانِ
وَلَكُمْ ثَمَلْنَا مِنْ حَدِيثِ مَا تَعِ
وَبِمَا عَرَفْتَنَا مِنَ الْأَلْحَانِ
وَلَكُمْ سُرْرُنَا بِالذِّي أَتَحَفْتَنَا
مِمَّا يَفُوقُ نَفَائِسَ الْعَقِيَانِ
سَتَظَلُّ فِينَا خَالِدًا أَبَدًا عَلَى
طُولِ الْمَدَى وَتَعَاقِبِ الْأَزْمَانِ
وَكَذَلِكَ الْعُظْمَاءُ يَبْقَى ذِكْرُهُمْ
حَيًّا وَلَا يُطْوَى مِنَ النَّسِيَانِ

٢٠٢٢/١٢/٤

وقلتُ لسعيد :

شُكْرًا لِمَا أَنْشَأْتَ مِنْ بُنْيَانِ
عَالِي الْمَنَارَةِ رَاسِخِ الْأَرْكَانِ
أَسَكَنْتَ فِي عَالِيَّاهُ قَيْمًا وَفِي
عُرْفَاتِهِ أَفْسَحْتَ لِلْوَجْدَانِ
وَرَسَمْتَ لَوْحَتِكَ الْحَزِينَةَ مَبْدَعًا
وَكَأَنَّ نَظْمَكَ رِيْشَةُ الْفَنَّانِ

مرحى لموقفك النبيل وأنتَ مَنْ
حَفِظَ الْجَمِيلَ وَعَادَ بِالشُّكْرَانِ
أَسْعِدُ لِسْتُ مُحَابِيَا وَمَجَامِلَا
إِنْ قَلْتُ إِنَّكَ قَلْتَ مَا أَبْكَانِي
هُوَ ذَا الرِّثَاءِ عَوَاطِفٌ وَمَوَاقِفُ
وَشَهَادَةٌ فِي كِفَّةِ الْمِيزَانِ
صالح البوريني

في رثاء الصديق الأديب
إبراهيم العجلوني رحمه الله

عبد الرحمن المبيضين

كان الأديبُ زميلي في صحيفتنا
وكان يكتبُ عن أحوال أمتنا
في الرأي كان مناراً لا يطاوله
من قادة الفكر من أبناء جلدتنا
ما كان إبراهيم خوَّاراً ولا جَزَعاً
وكان يعرفُ أسباباً لحيرتنا
يستيقظُ الفجرَ يدعو الله خالقه
بأن (أقل لنا يا ربُّ عثرتنا)
رحمك ربِّي فإبراهيم ضيفُكم
زوج الأديبة بنتُ الأصل حُرَّتْنا
يا أختُ نرجسَ لا تبكي فليس له
إلا الدعاء فجودي بنتُ ديرتنا

يا أمّ فاطمةٍ لنْ انسى سيرته
فهو العزيز على قلبي ودُّرُّنا
وهو الحبيب الذي نشواق صُحبتَه
وهو الكبير الذي ما هانَ أو وهنا

عقاد الأردن

إبراهيم العجلوني في ذمة الله

(عبد الله خليل شبيب)

لقد فوجئنا برحيل أخ كريم وصديق حميم: المثقف الكبير والمفكر والكاتب والشاعر إبراهيم العجلوني (٢٠٢٢/١٢/٤) .. ولم نكن طويلي عهد بلقائه قبل وفاته رحمه الله رحمة واسعة.

ولا نبالغ إذا قلنا إن أبا سلطان كان من الصف الأول من مثقفي الأردن والعالم العربي.. واسع الاطلاع موسوعي الثقافة مطلعاً على معظم القضايا الفكرية والأدبية والفلسفية.. بل والاجتماعية والسياسية وغيرها.. وقد عالج بقلمه الكثير من تلك القضايا في مسار حياته المباركة التي طالما صال فيها وجال في مختلف تلك الميادين جولات حاذق خبير ومفكر عميق ومثقف موسوعي الاطلاع والمعرفة..

كان أبو سلطان -رحمه الله- من أشد المعجبين بالأديب الكبير عباس محمود العقاد - في وفرة اطلاعه وكثرة قراءاته وتنوعها وكتاباته التي لا يجهلها قارئ عربي؛ ولعله كان يحتذي به في سعة وشمول وتنوع اطلاعاته وثقافته.. وكان -رحمه الله- يحبني ويلقبني أحياناً (بالعقادي) لأنني كنت من أصدقاء العقاد ومن جلسائه فترة من الزمن حين كنت أدرس في مصر في خمسينيات القرن الماضي.. وكان قد اطلع على بعض كتاباتي عن العقاد وصورني معه في مجلة الأفق الجديد التي كانت تصدر في القدس ويرأس تحريرها الصديق المرحوم الأستاذ أمين شنار.

.. ويذكرني ذلك بالصديق الكبير الأستاذ الأديب محمد خليفة التونسي الذي كان أهم وألصق حواريين العقاد .. وقد اصطحبنا -بعد مجالس العقاد- سنين عددا في الكويت - حين كان يعمل في مجلة العربي هناك -رحمه الله- والذي كان يُعرّف علي - في المحافل والدواوين بقوله (أخونا في الله وفي العقاد)..

رحم الله أبا سلطان .. فقد كان علما من الأعلام. ولكنه كان شديد التواضع حسن الخلق طيب المعشر .. ولقد كتب وعمل في مواقع كثيرة وكان سليم العقيدة والتفكير .. يدافع عن أمته ودينها وقوميتها ومثلها.. ومن أهم المواقع التي أطل منها أهم جريدة يومية في الأردن (جريدة الرأي) .. حيث كان رئيس القسم الثقافي فيها .. وله زاوية يومية باسم (أفق) .. ولا أنسى له -رحمه الله- أنه كتب عني عمودا في تلك الزاوية .. بعنوان (شاعر من عين كارم) .. بعد أن اطلع على ديواني (بوارق الأمل) ..

ولأنه كان يجهر بكلمة الحق - في أدب جم - ولا تأخذه في الله والحق لومة لائم .. فقد لقي بعض العنت لبعض وقفاته الوطنية والإيمانية والإنسانية .. وكل ذلك .. في صحائف حسناته بإذن الله تعالى .

.. لا شك أن الأردن والعالم العربي والوسط الفكري والأدبي .. خسر خسارة كبيرة بغياب ذلك الأديب الفذ والمثقف الكبير .. الأستاذ إبراهيم العجلوني - أبي سلطان .. رحمه الله رحمة واسعة وخلده في جنات النعيم .. فما عرفنا عنه ولا سمعنا منه إلا خيرا .. ونشهد له بالخير والإيمان والأدب الجم .. ولا نزكي على الله أحدا. عوضنا الله والأهل والوطن عنه خير عوض .. وألهم أهله ومحبيه الصبر والسلوان.

وإنا على فراقك يا إبراهيم لمحزونون .. وإنا لله وإنا إليه راجعون.

في رثاء المرحوم بإذن الله العالم العلامة والأديب المفكر الكبير

الأستاذ إبراهيم العجلوني...

عدنان السعودي

يا حارسَ اللغةِ

الموتُ حقٌّ والحياةُ مَواجِعُ
والناسُ حيرى والمَصيرُ لَواقِعُ
والفَقْدُ أوجعُ ما يَكونُ لِعالمِ
أفنى حَياةً في الكِتابِ يُطالِعُ
كانَ الجَليسَ معَ الثِقافةِ سابِحاً
وهو الذي فوقَ السَحائبِ ساطِعُ
والموتُ قَدَرُهُ الإلهُ لِعابِدِ
دَمِثِ المَودَّةِ لا يَغيبُ الجامِعُ
هو حكمةٌ وحكيمٌ حَرفِ في المَلا
نعمَ الأديبُ الماتِعُ المُتَواضِعُ
يا حارسَ اللغةِ المَجيدهِ لم يَكنْ
فقدُ الكِبارِ بهيِّنَ يا زارعُ

فَلَقَدْ فُجِعْنَا بِالرَّهِيْفِ وَجَاءَنَا
 خَبْرٌ وَقَدْ رَفَّتْ إِلَيْهِ مَدَامِعُ
 حَتَّى السَّمَاءِ تَلَبَّذَتْ بِغَيُومِهَا
 وَأَسْوَدَّتِ الدُّنْيَا وَصَوْتُ فَاجِعُ
 وَالْإِسْمُ إِبْرَاهِيمُ عَالٍ فِي السَّمَاءِ
 حَمَلَ الْأَمَانَةَ ذَا الْأَرِيْبِ اللَّامِعُ
 مَاذَا أَحَدَّثْتَ عَنْ سَلِيلِ قَرِيْحَةٍ
 فَالشُّعْرُ رَوَاهُ الْفَرِيدُ الْوَاسِعُ
 وَمَلَامِحُ الْعُلَمَاءِ فِي وَجَنَاتِهِ
 وَالنَّفْسُ فَوْقَ الْعِزِّ لَا تَتَرَاغِبُ
 مَنْ ذَا الَّذِي مَنَعَ الدَّوَاءَ لِكَاتِبِ
 وَالْحَرْفُ يَطْلُبُهُ الْقَرِيءُ الْوَادِعُ
 شَلَّتْ عَقُولَ الصَّاعِرِينَ بِغَيِّهِمْ
 هُمْ كَالرُّوَاكِدِ آسِنٍ يَتَفَاقِعُ
 حَتَّى بَكَتْ مَلَأَ الْعَيُونَ جِرَائِدُ
 وَخِرَائِدُ قَدْ أَدْمَنْتْ وَسَوَامِعُ
 حَتَّى بَكَى الْقَلَمُ الْحَزِينُ أَنْامِلًا
 خُطَّتْ بِهَا وَعَلَى الصَّحِيفِ رَوَائِعُ
 فَهُوَ الْحَصِيفُ عِمَادُ قَوْلٍ وَاعْتَلَى
 فَوْقَ الصَّغَائِرِ يَبْتَغِيهِ الصَّانِعُ

مُتَمَرِّسٌ فِي الْحَرْفِ يَقْطِرُ لَوْلَاءَ
أَمَّا اللِّسَانُ فَدُرُّهُ مُتَلَامِعٌ
وَلَكُمْ سَعِدْنَا بِالتَّذْوُقِ نَسْتَقِي
مِنْ عَالِمٍ وَرِعٍ بَكَتْهُ مَجَامِعُ
وَالْحَرْفُ يَنْبُسُ فِي فَمٍ كَمُتَيِّمٍ
عَشِقَ اللِّسَانَ وَشَهْدُهُ مُتَنَاصِعُ
يَا أَيُّهَا الْقَبْرُ الْحَاضِنُ غَضَنْفَرَا
هَاقِدَ حَظِيَّتَ بِمِسْكِهِ يَا بَارِعُ
يَا أَيُّهَا الْكَفَنُ؛ الْمُسَجِّى طُهُرُهُ
فَاشْمُمْ عَبِيرَ الْعَطْرِ فَهُوَ الشَّائِعُ
يَتَضَوَّعُ الْمِسْكُ الْحَزِينُ بِفَيْهِ
وَبِمَرْمَرٍ وَبِعَنْبَرٍ يَارَاكِعُ
يَا مَنْ حَمَلْتُمْ نَعَشَهُ نَعَشَ النُّهَى
كَمْ مَرَّةً صَاحَ الْوَقَارُ الدَّمِيعُ
يَا مَنْ عَلَى أَكْتافِكُمْ حُمِلَ الْمُنَى
بِاللَّهِ كَمْ كَانَ الْفَضِيلُ يُسَارِعُ
فَهِيَ الْجِنَانُ وَقَدْ شَدَّتْ لِقُدُومِهِ
عَبْدُ عَمِيدٍ وَالْحَيَاةُ تُصَارِعُ
فَرِحَتْ جِنَانُ اللَّهِ يَا سُلْطَانَهُ
قَدْ عَمَّرَ الْعُلْيَا فِكْمَ هَوَارِئِ

وهي الحياةُ رَغِيْدَةٌ وَعَصِيَّةٌ
فاسْأَلْكَ سَبِيْلَ الدِّيْنِ عَلَّكَ قَانِعٌ
فالموتُ آتٍ والحياةُ قَصِيْرَةٌ
واللهُ يَقْضِي وَالْفِرَاقُ مَوَاجِعُ
يا أَيها الأَصْحَابُ أَنْتُمْ أَهْلُهُ
وعزَاؤُنَا إِرْثٌ لَه وَوَقَائِعُ
زَيْدٌ وَمَرْوَانٌ وَإِبْنُ مُبَيِّضٍ
قولوا لِنَامَنُ كانَ هَذَا الوَادِعُ
كَمْ مِنْ كِتَابٍ قَدْ رَوَاهُ قِرَاءَةً
وَكِتَابَةٌ وَلَكُمْ يَرْوِقُ السَّامِعُ
عَنْ صَوْمِهِ وَصَلَاتِهِ وَعَطَائِهِ
عَنْ فِكْرِهِ الْمَهْمُومِ وَهُوَ يُرَافِعُ
إِنَّا شَهِدْنَا وَالِدَيْكَ مَسِيْرَةً
عَقَّادُ أَرْدُنِّ الرِّبَاطِ الرَّافِعُ
شَهِدْتُ لَه بِذَوَاتِهَا أَقْلَامُهُمْ
وَعَوَالِمُهُمْ شَهِدْتُ لَه وَمَوَاقِعُ
وَمؤَلَّفَاتٌ عَذْبَةٌ فَخُرْتُ بِهِ
وَمَجَالِسٌ يَرْوِي بِهَا وَيُتَابِعُ
مَآذَا أَحَدْتُ عَنْ مَلِيٍّ بِاسِقٍ
مِثْلَ النَّخِيْلِ عَنِ الشَّمُوخِ يُدَافِعُ

عَنْ حَبْرِهِ الْمَكْلُومِ عَنْ أَوْرَاقِهِ
وَالرِّيشَةِ الشُّكْلَى وَكَيْفِ تُشَافِعُ
عَنْ مَكْتَبِ أَدْوَاتِهِ مَحْزُونَةٌ
تَبْكِي رَفِيقَ الدَّرْبِ كَيْفَ تُمَانِعُ
لَكِنَّهُ الْبَارِي تَجَلَّتْ ذَاتُهُ
عَلَامٌ غَيْبٌ يَرْتَجِيهِ الرَّاغِبُ
دَعَاؤُنَا لِلَّهِ فِي عِلْيَائِهِ
نُورٌ بِقَبْرِ رَوْضَةٍ وَوَدَائِعُ

عمان / ٢ / ١٢ / ٢٠٢٥

وداعية للأديب الصديق

إبراهيم العجلوني

علي البتيري

غبتَ عنّا وما أردنا غيابا
ولدى الفقد ما احتملنا مصابا
كيف غادرتَ دونَ علمِ صديقٍ
بفراقٍ رأيتَ فيه انسحابا
من حياةٍ غدت حياةً شقاءٍ
وبلاءٍ يُجرِّعُ الحرَّ صابا
يا صديقي وأنتَ أغلى صديقٍ
رائع الصدق شيبتهً وشبابا
رحمتَ لكن لجنتهٍ وخلودٍ
وبئمني اليدين نلتَ كتابا
فهنيئاً لك الجنانُ هنيئاً
بنعيمٍ وجددتَ فيه ثوابا
لصنيعٍ ونورٍ فكرٍ حصيفٍ
قد بذلتَ وصغتَ فيه خطابا

لصلاح النفوس والعقلِ دوماً
دونَ جهلٍ طغى وزادَ خرابا
كم تحمّلتَ في المسيرِ ضبابا
كم تخطيتَ في الظلامِ ذئابا
وبلغتَ المنالَ في كلِّ دربٍ
ورأيتَ الوصولَ يأتي غلابا
بارتقاءٍ إلى فضاء الأمانِ
قد تجاوزتَ في العلوِّ سحابا
بالسطوعِ النقيِّ جوهرتَ فكراً
عربيَّ الحضورِ للعقلِ طابا
ومن القلبِ رحتَ تغرُفُ شعراً
يبهرُ السمعَ رقّةً وانسيابا
لك سعيٌّ بعالمِ الفكرِ أضحى
حلمَ مَنْ عقله إليك استجابا
عملٌ صالحٌ وبذلٍ سخيٍّ
هو ما رُميتَ جيئةً وذهابا
مطمئنّاً رسمتَ درباً وخطواً
وبعزمِ الخطأِ قهرتَ الصّعبا
دُم سعيداً على سريرِ خلودٍ
واجنِ من كوثرِ النعيمِ شرابا

رَحِمَ اللهُ فِىكَ رَوْحاً وَقَلْباً

وَعَلَى جَهْدِكَ الْعَظِيمِ أَثَابَا

يَا صَدِيقِي أَنْتَظِرُ لِقَاءَ صَدِيقِ

سَاعَةَ الشُّوقِ لِلِقَاءِ اسْتَطَابَا

رهين المحبسين

د. محمد الخليلي

في رثاء شاعر الفلاسفة وفيلسوف الشعراء المفكر إبراهيم العجلوني، رحمه الله،
وطيب ثراه:

يذكّرني غيابُ الشمسِ أمسي
وناساً ضمّهم أمس برمسٍ
مضوا في غيبٍ جَوْنٍ شَعاعاً
؛ مع الماضين من جنٍّ وإنسٍ
وكم من غائبٍ ولّى سِراعاً
بدون هنيهةٍ لوداعِ أنسٍ
و «وإبراهيمُ» قد لبّى نداءً
كما كلُّ الجوّاري رهنِ كنسٍ
«أبأسلطان» قد جاوزت حدّي
إذا خَطَّتْ يداي بمتنِ طرسٍ
رثاءً - ويح شعري - من رثاءٍ
أرثي في دجى الأهوالِ نفسي؟

«معري» الزمانِ فَدَتِكَ نفسي

وهل ترثي البدورُ رُواءَ شمسٍ؟

فأنت الشمسُ قد طَمَسَتْ ليالي

من الإبحارِ في تيهٍ ورجسٍ

ونورِ الشمسِ مهما طالَ يومٌ

سيأوي بعدهُ لنداءٍ وكسٍ

وكلُّ لابسٍ أبداً بياضاً

: إذا جاءَ الرسولُ لقبضِ نفسٍ

ذَبَبَتْ عن المعالي كلَّ نَدٍّ

فخرٌ إلى السفاسفِ قيدَ نحسٍ

نذرتِ العمرَ تنشرُ فيضَ نورٍ

من القرآنِ في نهجِ التأسّي

سَطَرَتْ المجدَ تبياناً لحقٍّ

وعَفَّتِ الغثَ في دَرَكٍ لنكسٍ

طرزَتِ من الفرائدِ عِقْدَ ماسٍ

؛ قريضاً قد روئتهُ جموعُ عبسٍ

وذبياناً روئتهُ نشيدَ سلمٍ

؛؛ طويتَ حرورَها في جنحِ غلسٍ

سمقتِ إلى الفضا تُزجي المعالي

،، وغيرُك في الدُّنا يجري لبخسٍ

«فأحمدُ»^(١) منك قد رضي المعالي

؛غراساً للفضائلِ أيِّ غرسِ

،،وحاججتَ الخصومَ بلا تِوانٍ

؛، إياسٌ في الخطابةِ، أو، كقُسِّ^(٢)

حباكُ اللهُ في الدارينِ نوراً

رهينَ المحبسِينَ، وأي حبسٍ!؟

عمّان ٦ / ١ / ٢٠٢٣

(١) أحمد بن عبد الله، الملقب بالمعري، الشاعر المعروف

(٢) إياس بن معاوية، قس بن ساعدة الإيادي

رثاء الراحل الكبير الأستاذ

ابراهيم العجلوني

أبا سلطان

م. محمد الصلاحات

أنا نعي رأس العارفينَا

فأوقدَ شعله الأحران فينا

ترجل فارس الكلمات فجراً

وبث صديقه خيرا يقينا

سميرُ أيها الناعي تمهلُ

فليتك مانعيت الأقربينا

فأدمى مقلّةً واضاف حزناً

على الأسد الذي ترك العرينا

نعي عَلماً تقدره البرايا

فديتك يا إمام الخالدينا

أبا سلطان كيف تركت ربّعاً

مكانك فيهمو فوق الجبينا

فقدنا اليومَ نحريراً عظيماً
رفيعَ الشأنِ شيخَ الكاتِبينا
أخا شعرٍ وذا أدبٍ رفيعٍ
مكانته سمّت في العالمينا
مضى هامُ الرجالِ كريمٌ طبعٍ
وخلف في الورى خلقاً ودينا
وخلف ثروةً من فيضِ فكرٍ
وشعراً شاملاً أدباً رصينا
له في كل معضلةٍ كتابٌ
يفصلُ فيه علمَ العالمينا
بكت عيني عليه دماً وفاضتُ
وأبقت في الحشا ألماً دينا
أباً سلطان ياطودا تولى
ولبى أمر رب العالمينا
أمير الفكرِ يا ربَّ القوافي
سنذكركم بخيرٍ ما حيننا

أبو زيدون ٥/١٢/٢٠٢٢

في رثاء شقيق الروح والفكر والأدب
المرحوم إبراهيم العجلوني أبي سلطان

شعر : محمد سمحان

نَجْمٌ أَضَاءَ فِضَاءَ الْفِكْرِ وَالْأَدَبِ
أَوْ مَنْجَمٌ مِنْ عَرُوقِ الْمَاسِ وَالذَّهَبِ
لَمَّا نَعَاهُ لَنَا النَّاعِي تَمَلَّكْنَا هـ
وَلُ الْمُصَابِ فَمِلْنَا فِيهِ لِلْكَذِبِ
يَامُوتُ مَا زَلَّتْ بِالْأَحْبَابِ تَفَجَّعُنَا
وَتَتْرَكَ الصَّحْبَ بَيْنَ الْحُزْنِ وَالْغَضَبِ
وَكَيفَ غَيَّبَتْ «ابْرَاهِيمَ» فِي عَجَلٍ
وَكَانَ كَالنَّجْمِ لَمْ يَأْفَلْ وَلَمْ يَغِبِ
لَمْ يَثْنِهِ الْفَقْرُ عَمَّا كَانَ يَشْغَلُهُ
أَوْ يَثْنِهِ الْقَهْرُ عَمَّا جَدَّ فِي الطَّلَبِ
وَكَانَ كَالسَّيْفِ بَتَّارًا بِحُجَّتِهِ
وَكَانَ كَالرَّمْحِ نَفَّاذًا إِلَى الْأَرْبِ
أَعْطَى الْعَرُوبَةَ وَالْإِسْلَامَ حَقَّهُمَا
فَائِمَرَ الْجَهْدُ فِي فَيْضٍ مِنَ الْكُتُبِ

قضى ثرياً بما فاضت مواهبُهُ
 كأنه الغيثُ في فيضٍ من السَّحْبِ
 وأنَّه عاشَ في الدُّنيا بلا كَلَلٍ
 ولم يبالِ بما لاقاهُ من تعبٍ
 وعاشَ عفاً وكان الزَّهْدُ دَيْدَنَهُ
 لم يُلقِ بالآ إلى الأضواءِ والرُّتبِ
 لم يشكُ للنَّاسِ ما يلقاهُ من سَغَبٍ
 ولم يبادرُ رفاقَ الزُّورِ بالعتَبِ
 كم راودوه لكي ينسى مبادتَهُ
 وغيره باعها واعتاشَ من سَلَبِ
 الجاحدونَ وإن أبدوا مودَّتَهُم
 وكم أداروا له ظهراً بلا سَبَبِ
 هذا زمانُ الألى باعوا ضمائرَهُم
 لكي يفوزوا على ما بيعَ باللَّقبِ
 ضاقتُ عليه وما ضاقتُ رسالَتُهُ
 شأنَ الذين قَضَوْا من قبلُ في سَغَبِ
 وكانَ قَدوتَهُ الهادي وأسنوتَهُ
 وكان مِيراثُهُ في الفِكرِ والأدبِ
 هذا رثاءُ شقيقِ الرُّوحِ أُرْسِلُهُ
 من عمقِ رُوحِ لِرُوحِ الفارِسِ العَرَبِي

إلى روح الصديق الكاتب والمفكر

« إبراهيم العجلوني »

د. محمد مقدادي

إنه الموت .. يا صاحبي

رفيق الخطى منذ أن أينعت في الدروبِ خطانا

يسافرُ في كلِّ ثانية من دمانا

ويأخذنا .. واحداً .. واحداً

على عجلٍ من حنايا صباننا .

كأننا نفتشُ عن غابة،

نلوذ بأشجارها،

ونقصفُ أغصانها،

كي نضيف لأعمارنا عمرها

كأننا ضيوفاً على دارها

كأننا ... ومن هذه الأرض نمشي سراعاً

ويأخذنا الموتُ متتدين،

إلى أصلِ طينِ الحقيقة .. يا صاحبي،
ويكون الذي مرَّ من عمرنا ... نبعُ نورٍ،
أتينا على بعضه فأتانا !!

وقورُ قبرك يا إبراهيم

بكائيةُ الشاعرة نرجس القطاونة

زوجة الفقيد ..

سأبقى أقاوم حقيقة رحيلك

حتى ألقاك

سيتقى اسمك مخلداً في حروفي الحزينة

أيها الزاهد الغافي في حنايا تراب الصريح الحبيبة

صباح الخير يا إبراهيم

عذبةً مثل عطر القرويات الوفيات

صباح الخير لهذا التراب الذي يشبه الحناء

والشمس تشرق عليه

صباح الخير للصبر والصابرات

رحم الله من تعطرت التربة حين عانقت مُحياه الحبيب

رحم الله من طواه الغياب

رحم الله الجريء الجميل الفتى السيدا

رحم الله رفيق دربي

وإنني بهذا الصباح أحضن النسيم الآتي من الصريح

صباح الخير يا (ابو سلطان)

وقورٌ قبرك يا إبراهيم

ووقورة هي الصريح

مثل قصيدة بدوية حزينة

عزفتها الربابة

على لحن الشروقي

حين سطرها قلبي الجريح

صباح الخير يا (ابو سلطان)

صباح الخير عذبه مثل عطر القرويات

ها أنا ومن على نوافذِ غربتي بعدك،

أتخيل صوت تلاوتك للقرآن مع فجة الضحى،

وأبكي عليك يا أبا سلطان بنحيبٍ يمزق أركان القلب،

وحرقة يرق لها الصخر الأصم،

وأبحثُ عنك في زوايا المكان ولا أجذك ..

وما استطاعت الأيام أن توقف مد الحزن في داخلي

خبزي في رمضان مغموس بالدموع

فأين أنت؟؟ كنا نتسابق من يختم القرآن قبل الآخر!!

وأحر قلبي عليك !!

ولا أملك إلا الدعاء

اللهم اجعل إبراهيم ممن يطوف عليهم الولدان المخلدون

واجعله يا الله من ساكني الفردوس الأعلى

وامنحني الصبر بنفحةٍ من جلالك

آمين آمين

سؤال / إبراهيم العجوني

أماناً أيها الزمنُ فإني فيك ممتهنٌ

ولي قلبٌ براهُ الفقدُ للآهاتِ مرهونٌ

فلا كهفٌ ألوذُ بهِ ولا ركنٌ ولا وطنٌ

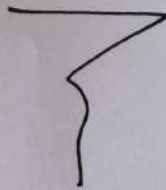
تقاذفني القفارُ ضمىً وتثقلُ خطوي الرسنُ

ولي نفسٌ ترومُ سناً وتحدو خطوها النطنُ

فأيُّ بالرضى يحظى وأيُّ باللظى قمنُ

سؤالٌ أستمجُ بهِ جوابك أيها الزمنُ

الجمعة ١٥/٧/٢٠٢٤م



في وصف الحال

عَبَّ عَلَى عَمَّانٍ عَتَبٌ مَوْدِعٌ

أَمْضِيَّةٌ فِيهَا الْحَادِثَاتُ قِرَاعًا

أَضَاعَتِي الْأَيَّامُ فِيهَا وَلَوْ دَرَّتْ

لَعَزَّ عَلَيْهَا أَنْ أَكُونَ مُضَاعًا

لَقَدْ أَرْضَعْتَنِي كُلَّ حَسْفٍ وَوَاتَنِي

لَا أَشْكُرُهَا أَنْ لَمْ تُتَمِّمْ رِضَاعًا

وَمَا أَنَا بِالْجَانِي عَلَيْهَا وَإِنَّمَا

نَهَضْتُ خِصَامًا دُونَهَا

وَدَفَاعًا

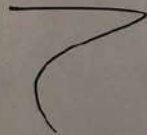
وَأَعْمَلْتُ أَقْلَامِي بِهَا عَرَبِيَّةً

فَلَمْ تُبَدِّ إِصْفَاءً لَهَا

وَسَمَاعًا..

.. مع الاعتذار لمعروف الرصافي...

ابراهيم العجلوني



« لَوْ »

لَوْ كُنْتُ أَمْلَكُ أَنْ أَرْفِقَ إِلَى زُجَلٍ
أَوْ أَيُّ رُكْنٍ بِهِ أَبْرَأُ مِنَ السَّفَلِ
لَكُنْتُ أَسْعَدَ مَنْ فِي الْكُونِ قَاطِبَةً
وَكَانَ ذَلِكَ أَقْصَى مُنْتَهَى أَمَلِي
لَكِنِّي لِي رُصْدًا فِي كُلِّ زَاوِيَةٍ
وَلِي احْتِسَابَ خَطِيءٍ فِي كُلِّ مَرْتَلٍ
فَكَيْفَ كَيْفَ تُرَى تَنْجِيكَ قَافِيَةٍ
فِي حَوْمَةِ الشُّهْبِ أَوْ دَوَامَةِ الشُّعْلِ
وَكَيفَ يَغْدُو ضِيَاءٌ طَيِّبٌ مُظْلَمَةٍ
إِلَّا وَكَانَ حَبِيصًا رَهْنًا مَعْتَقَلٍ

ابراهيم العبدوني

٢٠٠٤ / ٧ / ١٩



الواقعة

هي يا صديقي الواقعة وما لها من دافعة
ولون تنصل كل أصابع الوجوه المفاقة
ولون تقط في مدار الصحو كل الاقنعة
ما تم غير بيوت أقنات وباذخ مزرعة
أو أظهوراً عارية تبلوسياً طامسرة
فإلام تغشى هذه الأعلام أوهام الدعة
ولم التناوم والتناوب في صميم المعمة
ألكون للحمر الذي في هذه البلوى سعة
أم يرتضي في ذلة وصف الدني الإمعة
مذعوك دهرأ عن ضميرك فانتبه أن تخدعه
ومخذ الحففة صفتها ودع التناوب أجمعه
وأعلم، فديك، اننا هي يا صديقي الواقعة

(ملحق)

مؤلفات إبراهيم العجلوني

- ١- تقاسيم على الجراح، شعر، دار عويدات، بيروت ١٩٧٣م.
- ٢- نظرات في الواقع الثقافي الأردني، دراسات، دار البيرق، عمان ١٩٧٩م.
- ٣- وحينما نلتقي، شعر (مشترك)، المطبعة العربية، حلب ١٩٨٠م.
- ٤- مسلمات في ضوء التحقق، دراسات رابطة الكتاب الأردنيين، عمان ١٩٨٤م.
- ٥- في الفلسفة والخطاب القرآني، دراسات، وزارة الثقافة، عمان ١٩٨٤م.
- ٦- في الفكر القومي، دراسات، وزارة الثقافة، عمان ١٩٨٥م.
- ٧- الوجوه، رواية وقصص، دار الكرمل، عمان ١٩٨٦م.
- ٨- فصول في الفكر العربي، دراسات، دار الكرمل، عمان ١٩٨٨م.
- ٩- الرافضون، مواقف ومخاطبات، دار النسرة، عمان ١٩٨٨م.
- ١٠- نحن وثقافة المستقبل، دراسات، وزارة الثقافة، عمان ١٩٨٩م.
- ١١- يوميات عراقية، مقالات، دار الكرمل، عمان ١٩٩٠م.
- ١٢- طائر المستحيل، شعر، دار قدسية، إربد ١٩٩٢م.
- ١٣- هموم أردنية، مقالات، مؤسسة رم للنشر، عمان ١٩٩١م.
- ١٤- في المسألة الديمقراطية، دراسة، مؤسسة رم للنشر، عمان ١٩٩١م.
- ١٥- نحو حوار معقول مع الأمريكيان، دراسة، مؤسسة رم للنشر، عمان ١٩٩١م.
- ١٦- دفاعاً عن العقل، دراسات، مؤسسة رم للنشر، عمان ١٩٩٢م.
- ١٧- فسيفساء أردنية، شعر مترجم، د. ديتير جلادة، معهد جوته، عمان ١٩٩٣م.
- ١٨- الوعي المتمرد، دراسات، مطابع الإيمان، عمان ١٩٩٤م.
- ١٩- أحزان مسيحية، سيرة ذهنية وجدانية، دار أزمنة، عمان ١٩٩٥م.
- ٢٠- في عبقرية البساطة (جولات في فكر جمعة حماد وأدبه)، المؤسسة الصحفية الأردنية (الرأي)، عمان ١٩٩٥م.
- ٢١- الشذرات: الكتاب الأول، مطابع الإيمان، عمان ١٩٩٨م.
- ٢٢- الشذرات: الكتاب الثاني، مطابع الإيمان، عمان ١٩٩٩م.

- ٢٣- في مرآة الإسلام، دار البشير، مؤسسة الرسالة، بيروت/ عمان ١٩٩٩ م.
- ٢٤- من مفكرة رجل يحتضر (مسرحية وقصص)، أمانة عمان ٢٠٠٠ م.
- ٢٥- الشذرات: الكتاب الثالث، دار البشير، عمان ٢٠٠٠ م.
- ٢٦- رجال ومناهج، دار البشير، مؤسسة الرسالة، بيروت/ عمان ٢٠٠١ م.
- ٢٧- اللا حوار مع السادة الأمريكان، دار الأبرار، عمان ٢٠٠٢ م.
- ٢٨- شعر وشعراء، دار الأبرار، عمان- الأردن، ٢٠٠٤ م.
- ٢٩- كتب وشخصيات، أمانة عمان الكبرى، ٢٠٠٤ م.
- ٣٠- الكتائبون في ظلال الإسلام، مركز الرأي للمعلومات والدراسات، ٢٠٠٤ م.
- ٣١- العقل والدولة، دار الأبرار، عمان ٢٠٠٤ م.
- ٣٢- إضاءات في حوار الآخر واحترام الذات، دار المأمون، عمان، ٢٠٠٧ م.
- ٣٣- وحي الآفاق -ثلاثة أجزاء- دار أروقة، عمان، ٢٠١٥.
- ٣٤- فصول من النقد، أمانة عمان الكبرى، ٢٠٠٨ م.
- ٣٤- نحن ومفكر و الغرب «نظرات في المختلف»، ٢٠١٨.
- ٣٥- الأعمال الشعرية، ٢٠١٨.
- ٣٦- إسلام ومسلمون، ٢٠١٨.
- ٣٧- دون مقام الرضا، ٢٠١٩.
- ٣٨- في الثقافة الأردنية، ٢٠١٩.
- ٣٩- شيء من الفلسفة، ٢٠١٩.
- ٤٠- في الإعلام ومسؤولية الكلام، دار هبة للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٢٠.
- ٤١- مسلمون وصهاينة وأمريكان، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٢١.
- ٤٢- رؤى نقدية في الثقافة الأردنية، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٢١.
- ٤٣- صفو الاعتبار من حصائد الأنظار، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٢٢.
- ٤٤- مقامات للصحو والشهادة، دار الخليج للنشر والتوزيع، عمان، ٢٠٢٢.
- ٤٥- هذه الكتب القيمة، ملاحظات أولية، دار الخليج، عمان، ٢٠٢٢.

المحتويات

- ٧ • الإهداء
- ٩ • المقدمة
- ١٣ • الدراسات
- ١٥ - د. سمير الدروبي: إضاءة على كتاب إبراهيم العجلوني «هذه الكتب القيمة»
- ٤٣ - د. زياد أبو لين: إبراهيم العجلوني.. المثقف الحاضر الغائب
- ٤٩ - د. يوسف محمد عبده: القضية الفلسطينية في مقالات إبراهيم العجلوني
- ٧٣ - معتصم النداف والدكتورة إيمان محمد ربيع: اللغة في شعر إبراهيم العجلوني
- ٩٧ - رنا الناشف: إبراهيم العجلوني مقالياً (وحي الآفاق) أنموذجاً
- ١٢٧ - معتصم النداف: الرؤيا في شعر إبراهيم العجلوني
- ١٣٧ - فوزي الخطبا: الشذرات للأستاذ إبراهيم العجلوني
- ١٤٥ • الحوارات
- ١٤٧ - لقاء خاص على قناة الرافدين
- ١٦٥ - الميثاق الوطني العراقي يحاور المفكر والأديب والكاتب الأستاذ إبراهيم العجلوني
- ١٧١ - عبد الرحمن نجم: سياحة ثقافية مع إبراهيم العجلوني
- ١٧٩ - سليم النجار: الإعلام صدى لأي خطاب فكري وفلسفي وسياسي
- ١٨٣ • الشهادات
- ١٨٥ - إبراهيم السواعير: إبراهيم العجلوني: رسالة الكاتب المفكر
- ١٨٨ - إسماعيل أبو البندورة: إبراهيم العجلوني.. المثقف النقدي السجالي
- ١٩٠ - بلال حسن التل: عن إبراهيم الذي رحل
- ١٩٢ - جلال أبو صالح: إبراهيم العجلوني.. المفكر العروبي المنحاز للعقل واحترامه
- ١٩٤ - أ. د. جمال الشلبي: إبراهيم العجلوني الغائب الحاضر ومستقبل كنهه المعرفي
- ١٩٨ - د. حسام العفوري: وكأنه كان يقول لي: «لا تفعل كما فعلت، وكن حراً»
- ٢٠٠ - د. حسن المبيضين: الأردن يودع المفكر الكبير إبراهيم العجلوني
- ٢٠٤ - د. حكمت النوايسة: إبراهيم العجلوني يحمل صخرته ويقاوم كل شيء
- ٢٠٨ - د. راشد عيسى: رؤية في شاعرية إبراهيم العجلوني
- ٢١٤ - د. رائد عكاشة: أصالة التفكير عند إبراهيم العجلوني

- ٢١٦ - زياد أحمد سلامة: إبراهيم العجلوني.. وداعاً
- ٢٢٠ - زياد الزعبي: إبراهيم العجلوني.. بحثاً عن أفق
- ٢٢٣ - د. زيد أحمد المحيسن: رافعو الأردن في ذمة الله
- ٢٢٥ - سمير اليوسف: إبراهيم العجلوني «المقدسي»
- ٢٣٠ - صالح البوريني: أقوال وشهادات في إبراهيم العجلوني
- ٢٣٦ - د. صلاح جرار: إبراهيم العجلوني.. المثقف المثل
- ٢٣٨ - عامر الصمادي: إلى أخي الذي أشبهه ولا يشبهني
- ٢٤٢ - د. عبد الكريم أبو دلو: إبراهيم العجلوني.. «عبق الأدب الأردني»
- ٢٤٤ - د. عبد الله الخطيب: إبراهيم العجلوني.. مات واقفاً
- ٢٤٦ - علي القيسي: إبراهيم العجلوني.. قامته أدبية وثقافية
- ٢٤٨ - د. عمر القيام: إبراهيم العجلوني.. «ذلك القمر الذي غاب»
- ٢٥٢ - د. غالب الفريجات: العجلوني الذي افتقده الجميع
- ٢٥٥ - غالب عبيدات: إبراهيم العجلوني.. الإنسان والأديب والشاعر والمفكر
- ٢٥٧ - غالب مدادحة: وداعاً أبا سلطان
- ٢٥٩ - فوزان الحوراني: الكاتب المفكر القومي الأردني.. إبراهيم العجلوني
- ٢٦٢ - فوزي الخطبا: إبراهيم العجلوني.. «أيقونة أردنية»
- ٢٦٦ - د. فيصل غرايبه: إبراهيم العجلوني.. فقيده الوطن والكلمة
- ٢٧١ - م. محمد الصلاحات: إبراهيم العجلوني.. نبراس العلم الساطع
- ٢٧٣ - د. محمد القواسمة: سلاماً عليك يا إبراهيم
- ٢٧٦ - محمد المشايخ: إبراهيم العجلوني.. عضواً في الهيئة الإدارية لرابطة الكتاب الأردنيين
- ٢٨٠ - محمد سلام جميعان: إبراهيم العجلوني.. الحي بفكره
- ٢٨٢ - د. محمد ناجي عمارة: إبراهيم العجلوني كما عرفته
- ٢٨٦ - م. مروان الفاعوري: في وداع بحر المعرفة إبراهيم العجلوني
- ٢٨٩ - معن البياري: معلمنا إبراهيم العجلوني
- ٢٩٢ - منذر شرراش: إبراهيم العجلوني الصحفي الكبير
- ٢٩٤ - نايف النوايسة: من فيوض الفكر.. الأستاذ إبراهيم العجلوني
- ٢٩٧ - أ. د. همام غصيب: صديقي إبراهيم العجلوني جزالة ورهافة وموسوعية

- ٣٠٧ - د. إبراهيم خليل: إبراهيم العجلوني وداعاً
- ٣١١ - إبراهيم سليمان القطاونة: إبراهيم العجلوني.. على روحه السلام والرحمة
- ٣١٣ - أحمد حسين السويطي: كلمة رثاء ووفاء
- ٣١٦ - د. باسل الرفاعي: في رثاء إبراهيم العجلوني
- ٣٢٠ - د. بسام الهلول: مرثية لسيد الفلك.. العجلوني إبراهيم
- ٣٢٣ - حارث الأزدي: الفيلسوف الناقد إبراهيم العجلوني رحمه الله
- ٣٢٥ - د. حسن جمعة حماد: في وداع إبراهيم العجلوني
- ٣٢٧ - حكمت العزة: في رثاء الأستاذ المفكر الأديب.. إبراهيم العجلوني (أبو سلطان)
- ٣٣٠ - سعيد يعقوب: رثاء العلامة إبراهيم العجلوني
- ٣٣٨ - عبد الرحمن مبيضين: في رثاء الصديق الأديب إبراهيم العجلوني
- ٣٤٠ - عبد الله خليل شبيب: عقاد الأردن إبراهيم العجلوني في ذمة الله
- ٣٤٢ - أ. عدنان السعودي: يا حارس اللغة
- ٣٤٧ - علي البتيري: وداعية للأديب الصديق إبراهيم العجلوني
- ٣٥٠ - د. محمد الخليلي: رهين المحبسين
- ٣٥٣ - م. محمد الصلاحات: رثاء الراحل الكبير الأستاذ إبراهيم العجلوني
- ٣٥٥ - محمد سمحان: في رثاء شقيق الروح والفكر والأدب المرحوم إبراهيم العجلوني
- ٣٥٧ - د. محمد مقدادي: إلى روح الصديق الكاتب والمفكر إبراهيم العجلوني
- ٣٥٩ - نرجس القطاونة: وقورٌ قبرك يا إبراهيم

S A M E E R A L Y O U S E F
S A L E H A L B O R I N I

في وصف الحال

عتبتُ على "عمّان" عتبٍ مودّعٍ
أمضتُه فيها الحادثاتِ قِراعا
أضاعتني الأيامُ فيها ولو دَرَت
لعزَّ عليها أن أكونَ مُضاععا
لقد أَرْضعتني كلَّ حَسْفٍ وإنني
لأشكرها أن لَمْ تُتِمَّ رضاعا
وما أنا بالجاني عليها وإنما
نهضتُ خصاماً دونها ودفاعا
وأعملتُ أفلامي بها عربيّةً
فلَمْ تُبَدِ إصغاءً لها وسماعا
... مع الاعتذار لمعروف الرصافي ...

إبراهيم العجلوني

دار الخليج للنشر والتوزيع

الأردن: عمّان، العبدلي تليفاكس: 00962 6 464 7559

daralkhalij@gmail.com daralkhalij1998 daralkhalij

تتوفر إصداراتنا على:   



Designed By
S. Alyousef